"أول كتاب غيَّر مفهومي عن البشر كُليًا" - الغارديان

البشر

مكتبة

مات هيغ
MATT HAIG

طريفة
الغارديان

مضحكة
التايمز

رائعة
دايلي ميل

ترجمة:
دلال نصرالله

kalemat

عصير الكتب

إهداء لـ .. *Howraa A.*

لن ننسى تشرين . . 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

البشر

البشر

The Humans

مات هيغ

Matt Haig

ترجمة: دلال نصر الله

دار كلمات للنشر والتوزيع

بريد إلكتروني:

Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www. kalemat.com

Copyright © Matt Haig, 2013

مكتبة

t.me/soramnqraa

18 12 23

رقم الإيداع: 3740 /2023

الترقيم الدولي: 5-251-992-977-978

البشـر

THE HUMANS

مكتبة سُر مَن قرأ

مات هيغ

MATT HAIG

ترجمة:

دلال نصرالله

2023

Kalemat

إلى آندريا ولوكاس وپيرل.

فكرت للتو بنظرية جديدة للخلود.

(ألبرت أينشتاين)

الجزء الأول
قبضت على قوتي بيدي

مكتبة
t.me/soramnqraa

إذن، ما هذا؟

مستعد؟

جيد. تنفس بعمق. سأخبرك.

هذا الكتاب، هذا الكتاب الملموس، وقعت أحداثه هنا، على كوكب الأرض. إنه عن معنى الحياة والعدم. إنه عما هو مطلوب لقتل الآخرين وإنقاذهم. إنه عن الحب والشعراء الأموات، وزبدة الفول السوداني غير منزوعة القشر. إنه عن المادة ونقيضها، كل شيء ولا شيء، الأمل والكراهية. إنه عن مُؤرخة في الحادية والأربعين من عمرها تدعى إيزوبِل، وابنها غليڤر الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، وعن أذكى عالم رياضيات في العالم. بإيجاز، يعلمك هذا الكتاب كيف تكون بشرًا.

لكن دعني أخبرك بما هو جلي للأفهام؛ لم أكن إنسانًا. في ليلتي الأولى على الأرض، في البرد والعتمة والرياح، كنت في منطقة مقطوعة. لم أرَ هذه اللغة المكتوبة قبل قراءة مجلة كوزموبوليتان في المرأب. أُدرك أن قراءتك كتابًا بهذه اللغة قد تكون مرتك الأولى أنت أيضًا. ولأمنحك فكرة عن طريقة انتقال القصص بين الناس هنا، ألفت هذا الكتاب على طريقة البشر؛ كلمات بشرية مطبوعة بخط بشري، منظمة بأسلوبهم. أعلم علم اليقين أنك ستفهم محتواه، نظرًا لقدرتك الآنية على ترجمة وفهم أعجب وأكثر التراكيب اللغوية بدائية.

الآن، أعاود تذكيرك، لم أكن البروفسور أندرو مارتن. كنت مثلك.

البروفسور أندرو مارتن مجرد دور مثلته. تمويه. شخص احتجت أنْ أكونه لإتمام المهمة؛ مهمة بدأت باختطافه وموته. (أعرف أن هذا سيثير امتعاضك، ولهذا أنوي عدم ذكر الموت مرة أخرى حتى انتهاء هذه الصفحة على الأقل).

بيت القصيد هو أني لم أكن عالم الرياضيات في الثالثة والأربعين من عمره، ولم أكن ذلك الزوج والأب والأستاذ في جامعة كمبردج، الذي أفنى الأعوام الثمانية الأخيرة من حياته في حل مسائل حسابية لم تُحل آنذاك.

لم أملك قبل وصولي إلى الأرض شَعرًا بني اللون ذا فرق جانبي طبيعي. كما لم يكن لدي رأي في سيمفونية الكواكب من غناء [غوستاف] هولتس، أو ألبوم فرقة توكنغ هيدز الثاني؛ إذ لم أتفق مع مفهوم الموسيقا، أو يجدر بي فعل ذلك عمومًا. وكيف لي أنْ أُصدق أن النبيذ الأسترالي أقل مرتبة من أي نبيذ مصدره أماكن أخرى على الكوكب وأنا لم أشرب في حياتي شيئًا غير النيتروجين السائل؟

انتميت إلى كائنات تتكاثر بالتزاوج، ومن نافلة القول أني لم أكن زوجًا مهملًا لأسرته، وعلى علاقة بإحدى تلميذاته، ومتخذًا من تنزيه كلبه الذي من نوع سبرينغر سبانيل الإنجليزي[1] عذرًا للخروج من المنزل. كما لم أكتب كتبًا متخصصة بالرياضيات،

---

1 - تصنيف لمعبود منزلي يُطلق عليه أيضًا اسم كلب.

ولم ألح على ناشري كتبي ليستخدموا صورة فوتوغرافية شارفت الذكرى الخامسة عشرة على التقاطها.

لا، لم أكن ذلك الرجل.

لا مشاعر لدي نحوه بتاتًا، ومع هذا كان حقيقيًا، مثلي ومثلكم، كائن حقيقي من الثديات، ثنائي الكروموسومات، حيوان رئيس حقيقي النواة قبل انتصاف الليل بخمس دقائق كان يُحدق في شاشة حاسوبه ويرتشف قهوة سوداء (لا تقلق. سأشرح لك معنى قهوة وتجربتي المريرة معها لاحقًا). كائن لعله قفز أو لم يقفز من كرسيه فجرًا عند حدوث الاختراق الناتج عن وصول عقله إلى مكان لم يبلغه أي بشري قبله؛ مُنتهى الإحاطة بأمر ما.

بعد كشفه الجديد خطفه القادة؛ أرباب عملي. كنت قد قابلته دقائق معدودات. قرأتُه فيها قراءة غير مكتملة؛ تامة فيزيائيًا لا عقليًا. كما تعلم، يمكن استنساخ أدمغة البشر عدا ما هو مُخزن فيها، لا يوجد الكثير فيها على أي حال، ولهذا وجب علي تعلم كثير من الأمور بنفسي. كنت وليدًا في الثالثة والأربعين من عمره على كوكب الأرض. سيزعجني لاحقًا عدم مقابلته بطريقة مناسبة، إذ كان ليكون في التعرف إليه بطريقة لائقة فوائد جمة؛ كان ليخبرني عن ماغي، مثلًا. (ليته أخبرني عنها!)

على أي حال، أي معرفة اكتسبتها منه لم تكن لتغير حقيقة بسيطة تكمن في أن عليّ كبح تطور البشر؛ وجودي على كوكب الأرض. تدمير البرهان على الاختراق الذي توصل إليه البروفسور أندرو مارتن. ذلك البرهان الذي مستودعه الحواسيب والبشر.

فمن أين نبدأ الحكاية؟

أعتقد أن هناك مكانًا واحدًا فقط؛ يجب أن نبدأ من لحظة اصطدام سيارة بي.

نعم كما ذكرت، يجب أنْ نبدأ من لحظة اصطدام سيارة بي.

يجب أنْ نفعل، حقيقة. لأنه لم يكن هناك شيء قبل ذلك. لم يكن هناك شيء، ولا شيء، ولا شيء، ثم شيء.

أنا، واقفًا هناك، على (الطريق).

اعترتني ردود أفعال فورية متتالية فور وصولي. أولاها، ما مشكلة الطقس؟ لم أكن معتادًا على طقس يشغل مساحة من التفكير. لكن، هذه إنجلترا، بقعة من الأرض، فيها يُعدّ التفكير في الطقس نشاطًا بشريًا أساسيًا، ولسبب وجيه. ثانيها، أين الحاسوب؟ كان من المفترض أن يكون هناك حاسوب. ناهيك بأني لا أعرف شكل حاسوب البروفسور مارتن. لعل الحاسوب يشبه الطريق. ثالثها، ما كان ذلك الصوت؟ أقرب إلى ضجة مكتومة. رابعها، كان الوقت ليلًا. لم أعتد على الليل، لأني كائن بيتوتي. وحتى لو كنت معتادًا عليه، ليس لهذا الليل مثيل؛ ليل لم أعرف مثله قط. ليلٌ يؤدي إلى عظمة الليل إلى هيمنة الليل. ليل مكعب. سماء سوادُها حالك بلا نجوم أو أقمار. أين الشموس؟ البرد دليل على انعدام وجودها. البرد صادم. البرد أذى رئتي، والرياح العاتية التي اصطدمت بجلدي جعلتني أرتجف. تساءلت إذا كان البشر يخرجون وقت الليل. مجانين لو فعلوا.

في البداية، واجهت صعوبة في التنفس، وهذه مسألة مقلقة. فالتنفس أحد أهم خواص الإنسان، لكني ما لبثت أن تحكمت فيه.

قلق آخر اعتراني؛ لم أكن حيث يفترض أنْ أكون، أزداد يقينًا من هذا. كان يفترض أنْ أكون في مكان آخر؛ في مكتب، وهذا ليس مكتبًا. عرفت ذلك فور وصولي. لعلي في مكتب يتسع لسماء كاملة اكتمالها بالظلام وتكدس الغيوم وتواري القمر.

احتجت إلى زمن -طويل جدًّا- حتى أفهم الموقف. كنت أجهل معنى الطريق آنذاك، لكن يمكنني أنْ أخبركم الآن أنه شيء يربط نقاط مغادرة بنقاط وصول. دوره محوري؛ إذ لا يمكنك الانتقال من مكان إلى آخر لحظيا على الأرض. لم تصل التكنولوجيا إليها بعد، وليست قريبة منها بعد. تحتاج إلى زمن طويل على الأرض للانتقال بين الأماكن، سواء على الطُرق أم على السكك الحديدية، أم في وظائف، أم علاقات شخصية.

الطريق الذي أقف عليه يُصنف على أنه طريق رئيس. الطرق الرئيسة هي أكثر أنواع الطرق تقدمًا هناك، وهي كأغلب أشكال التطور البشري تعني ازدياد احتمال الوفاة. قدماي العاريتان وقفتا على شيء يُسمى إسفلت، شعرت بتكوينه الغريب القاسي. نظرت إلى يدي اليسرى. بدت شديدة الخشونة والغرابة، فضحكت ضحكة متقطعة حين أدركت أن هذا الشيء الغريب ذا الأصابع جزء مني. كنت غريبًا عني. أوه، بالمناسبة، الضجة المكتومة ما زالت مستمرة، ينقصها السكون.

لحظتئذٍ أدركت ما كان يقترب مني بسرعة كبيرة.

الضوآن.

أبيضان، عريضان، ومنخفضان. لعلهما عينا مكنسة سهول سريعة، سطحها فضي اللون. أصدرت صريرًا. كانت تحاول تخفيف سرعتها والانحراف.

لا أملك الوقت للابتعاد عنها. امتلكت وقتًا في الماضي، لا في الحاضر. انتظرت أكثر من اللازم.

وبهذا ارتطمت بي ارتطامًا قويًا. ارتطامٌ رفعني عن الأرض وطيّرني. ليس طيرانًا حقيقيًا، لأنّ البشر لا يطيرون مهما خفقت أطرافهم. الخيار الحقيقي الأوحد كان التّوجع الذي شعرت به حتى هبوطي، بعدما عدت إلى لا شيء مرة أخرى.

لا شيء ولا شيء...

ثمّ شيء.

وقف رجل يرتدي ثيابًا فوقي. ضايقني دنو وجهه مني.

لا، بل أكثر من الشعور الضيق ببضع درجات.

كنت مشمئزا، مرعوبًا. لم أشاهد شيئًا مثل هذا الإنسان من قبل. وجهه غريب كل الغرابة عني، مملوء بمنافذ غامضة وأجزاء بارزة. الأنف خاصة. أزعجني. كأن في عينيّه البريئتيّن شيئًا آخر داخله، يحاول المرور. أخفضت بصري. لاحظت ثيابه. ارتدى أشياء عرفت لاحقًا أنها قميص، وربطة، وبنطال، وحذاءان. الثياب المعتادة لبني البشر، ورغم هذا بدا شديد الغرابة لم أعرف إذا كان عليّ الضحك أم الصراخ. كان ينظر إلى إصاباتي، أو بالأحرى يبحث عنها.

تفقدت يدي اليسرى. لم تُمسَسْ بسوء. اصطدمت السّيارة بقدمي، ثم بجذعي، لكن يدي بخير.

«معجزة!» قال بهدوء. كأن الأمر سر.

لكن كلمته كانت بلا معنى.

حدق في وجهي، ثم رفع صوته ليتغلب على أصوات السّيارات.

«ماذا تفعل هنا؟»

مرة أخرى، لا معنى. مجرد فم يتحرك، ويُصدر ضوضاء.

أعرف أنها لغة بسيطة، لكنّي بحاجة إلى سماع مئات الكلمات من أي لغة جديدة قبل فهم قواعدها. لا تحكموا عليّ بالبطء. أعرف أن منكم من يحتاج إلى عشر كلمات أو مركب نعتي واحد فقط. لكن لم يستهوني تعلم اللغات بتاتًا، ولعلها السبب الرئيس لمقتي السفر. أذكركم أيها القراء: جئت إلى هنا مجبرًا. مهمّة يجب أن ينجزها شخص. بعد حديثي المجحف في متحف المعادلات الحسابيّة من الدّرجة الثّانية، أطلقوا على جريمتي اسم معاداة الحساب النّقي. اتّفق القادة على أن هذا العقاب الأمثل لي. علموا علم اليقين أن لا عاقل سيقبل بهذه المهمّة. عرفوا (كما تعرفون) أني أنتمي إلى أكثر الأعراق تطورًا في الكون المعلوم، وسأنجزها باقتدار.

«شاهدتك من قبل. وجهك مألوف. من أنت؟»

شعرت بالإرهاق. كانت تلك مشكلة الانتقال الآني وتحول المادة والإعداد الحيوي. إنهاك بكل ما تعنيه الكلمة. ستستعيدون طاقاتكم، إلا أنّ نضوبها هو الثمن دومًا.

اكتنفني ظلام وآنستني أحلام فيها اللونان البنفسجي والأزرق ومنزلي. حلمت ببيض مهشّم وأرقام أوليّة وآفاق لا تستقر على شكل.

ثم استيقظت.

كنت داخل عربة غريبة، مقيدًا بجهاز بدائي لقراءة نبضات القلب. بَشريّان؛ رجل وأنثى (مظهر الأنثى بعث السكينة فيّ. لا

فرق في القبح بين الجنسين البشريّين)، ارتديا اللون الأخضر. سألاني بتوتّر، ربما لأني كنت أستخدم طرفي العلويّين الجديدين لنزع جهاز التّخطيط الكهربائي للقلب ذي التّصميم البسيط. حاولا تقييدي، لكن من الظاهر أنّ استيعابهما للرياضيات المطلوبة الآن ضئيل، ولهذا تمكّنت من طرحهما أرضًا بسهولة نسبيّة، جعلتهما يتلويّان ألمًا.

وقفت على قدمي، فانتبهت إلى قوّة الجاذبيّة على هذا الكوكب، ثم التفت السائق ليسألني أسئلة أكثر إلحاحًا. كانت المركبة تتحرّك بسرعة كبيرة، وصوت الإنذار قد شتت انتباهي قطعًا، لكنّي فتحت الباب وقفزت على النّباتات النّاعمة المحاذية للطّريق. تقلّب جسدي، ثمّ اختبأت، وحين تأكدت من أنّي بمأمن، وقفت على رجلي مرّة أخرى. القدمان غير مزعجتان مقارنة باليدين؛ فأصابع القدم في اتّجاه واحد.

وقفت هناك ردحًا من الزّمن، محدّقًا فقط في كل تلك السّيارات الغريبة المجذوبة إلى الأرض التي اعتمدت على الوقود الأحفوري، وأصدرت ضجيجًا يفوق ضجيج مُولّدات التّرددات. أمّا المشهد الأكثر غرابة، فكان رؤية البشر داخلها وهم يرتدون ثيابهم، ويمسكون بأداة القيادة، وأحيانًا بأجهزة اتّصالات لا سلكية غير بيولوجيّة.

جيء بي إلى كوكب يُفترض أنّ فيه أكثر أشكال الحياة ذكاء، لكنّي ما وجدت إلا أشخاصًا يقودون سيّاراتهم بأنفسهم...

لم أُقدّر قبل هذا اليوم روعة معيشتنا البسيطة؛ ذلك النّور السّرمدي، وحركة المرور الانسيابيّة، ودورة النّباتات المتطوّرة،

والهواء المُحلّى، وانعدام التّقلّبات الجويّة. أيّها القُرّاء اللطفاء: كلماتي عاجزة عن وصف مشاعري.

أطلقت السّيارات أبواقًا عالية التّردد في أثناء مرورها بي. شاهدت وجوهًا أعينها جاحظة وأفواهها مفتوحة تحدّق من النّوافذ. لم أفهم السّبب؛ إذ كنّا في القبح سواء. ما سبب عدم اندماجي معهم. هل ارتكبت خطأ؟ ألأني لست داخل سيّارة؟ لعلّ البشر يعيشون في السّيارات دون الخروج منها، أو لعلّ السّبب عائد إلى عدم ارتدائي ثيابًا مثلهم. هل السّبب فعلًا عدم ارتدائي غطاء مُصنّعًا! لا، لا يمكن أنْ يكون السّبب بسيطًا إلى هذا القدر.

نظرت إلى السّماء.

رأيت بِضعةً من القمر تحجبها سحابة رقيقة حسبتها تنظر إليّ بدهشة أيضًا. لا تزال النجوم مُستترة. أردت رؤيتها. أردتها أنْ تواسيني.

زاد الطّين بلّة وجود دلالات على قرب هطول المطر. كرهت المطر. بالنسبة إليّ -وإليك يا من تسكن تحت القبّة- للمطر رعب أبعاده شبه أسطوريّة. أحتاج إلى العثور على ضالتي قبل الإمطار.

كانت أمامي لوحة من الألومينيوم. فيها أسماء بلا سياق عصيّة على فهم أي متعلم جديد للغة، لكن السّهم يشير إلى اتّجاه واحد فقط، فاهتديت به.

لم يتوقف البشر عن إخفاض نوافذ سيّاراتهم، والتّفوه بكلمات بصوت أعلى من أصوات محركاتهم. استظرفتهم أحيانًا في أثناء بصقهم سائلًا باتجاهي، كما يفعل مخلوق الأورمينوك، لهذا

بصقت عليهم بكل مودة وسرعة. رد فعلي جعلهم يصرخون بصوت أعلى، لكنّي حاولت ألا أعيرهم بالاً.

سرعان ما قلت لنفسي أني سأفهم معنى تحيّة «ابتعد عن الطّريق أيّها المُستَمْني» المنطوقة بقوة. واصلت المسير متجاوزًا اللوحة، وشاهدت مبنى مضاء أريكني لثباته على جانب الطّريق.

سأذهب إليه، قلت لنفسي. سأذهب إليه لأجد الإجابات.

تِكساكو

أُطلق على البناء اسم (تِكساكو). لم يبرح مكانه خلال الليل، كأنه انتظر أن تدب الحياة فيه.

خلال مشيي باتّجاهه، لاحظت أنّه نوع من محطات إعادة التّعبئة. السّيارات مركونة تحت مظلة أفقية متمركزة إلى جانب أنظمة وقود بدائية الشّكل. قضي الأمر؛ السّيارات لا تفعل شيئًا لنفسها. أدمغتها ميّتة، هذا إذا كانت لديها أدمغة.

حدق فيّ البشر الذين كانوا يعيدون تعبئة مركباتهم في أثناء دخولي المبنى. حاولت التّأدب معهم قدر الإمكان رغم محدوديّة ألفاظي، فبصقت كميّة من اللعاب عليهم.

دخلت المبنى. شاهدت بشريًا ارتدى ثيابًا خلف آلة الحساب. غطى شعره السّفلي من وجهه عوضًا عن تغطية الجزء العلوي من رأسه. جسده مُكور أكثر من باقي البشر، ولهذا كان أفضل شكلًا منهم. من رائحة حمض الهيكسانوبيك عرفت أنّ النّظافة الشّخصيّة ليست من أولويّاته. حدّق (بمقتٍ صريح) في عُضوي، ثم ضغط على شيء خلف طاولة المحاسبة. بصقت عليه، لكنّه لم يرد التّحية. لعلّ فهمي لمعنى البصق خاطئ.

تفريغ اللعاب أشعرني بالعطش، فتوجّهت إلى وحدة تجميد لها طنين ملأى بأشياء أسطوانية ألوانها بهيجة. أمسكت بأحدها، ثم فتحته. علبة فيها سائل اسمه (كولا للحِمية). طعمه شديد الحلاوة، فيه شيء من حمض الفوسفوريك. كان مقرفًا. تقيّأته

لحظة دخوله فمي. استهلكت بعدها شيئًا آخر؛ طعام مغلف تغليفًا اصطناعيًّا. عرفت لاحقًا أنّ هذا كوكب التّغليفات؛ الطّعام داخل أغلفة، والأجساد داخل ثياب، وامتعاض يتوارى خلف ابتسامات. كل شيء مستتر. اسم الشّيء (مارس). واجهت صعوبة في بلعه؛ ما جعلني أكتشف أنّي عانيت (منعكسًا بلعوميا). أغلقت الباب وشاهدت علبة كُتب عليها (برنغلز) و(باربكيو). فتحتها وبدأت آكل. طعمهما مقبول –مثل طعم الكعك– أدخلت الكم الذي أقدر عليه في فمي. تساءلت متى كانت آخر مرة أكلت فيها بنفسي، بلا مساعدة. لا أتذكر حقيقة. منذ الرضاعة أكيد.

«لا يمكنك فعل هذا. لا يمكنك أكل الأشياء هكذا. عليك دفع ثمنها».

كلّمني المحاسب. لم أفهم معظم كلامه، لكن درجة وتردد صوته أشعراني أن الأمر سيّئًا. لاحظت أيضًا تغير لون جلده في الأماكن الظاهرة من وجهه.

ولاحظت إضاءة فوق رأسي، فرمشت.

وضعت يدي على فمي، وأصدرت ضجيجًا. مددت يدي ورفعتها وأصدرت ذات الصّوت. سيّان.

من المريح معرفة أنّ قوانين الصّوت والضّوء لا تخضع لأحد حتّى في أقصى زاوية من الكون، رغم ضعف أدائها بعض الشّيء هنا.

هناك رف مملوء بما عرفت لاحقًا أنّها مجلات، على أغلبها وجوه وابتسامات متطابقة. ستّة وعشرون أنفًا. مشهدٌ مفزعٌ.

أمسكت بأحدها، وأمسك الرّجل بالهاتف.

علـى كوكـب الأرض، لا تـزال وسـائل الإعـلام فـي عصـر يسـبق الكبسـولة، ومعظمهـا يجـب أنْ يُقـرأ عبـر أجهـزة إلكترونيّـة، أو وسـيط مطبـوع علـى عجينـة مصدرهـا الأشـجار اسـمها (ورق). المجـلات شـديدة الـرّواج، رغـم عـدم شـعور المـرء بالراحـة بعـد قراءتهـا. فـي الحقيقـة، هدفهـا الرئيـس هـو توليد إحسـاس بالدّونيّـة في القراء ممّا يُرغّبهـم بشـراء مُنتـجٍ مـا، وهـو مـا سـيفعلونه، ثـم سيشـعرون بشـعور أسـوأ مـن ذي قبـل، فيحتاجـون إلـى شـراء مجلـة أخـرى ليحـددوا مـا يمكنهـم شـراؤه فيمـا بعـد. إنهـا دوّامـة أبديّـة مُحزنـة وشـديدة الذّيـوع، اسـمها: الرّأسـماليّة. كان اسـم المطبوعـة المقصـودة كوزموبوليتـان. أدركـت أنّهـا سـتعينني علـى الإلمـام باللغـة.

لـم أسـتغرق وقتًـا طويـلًا. بسـاطة اللغـات البشـريّة المكتوبـة مدهشـة، فهـي تتكـون مـن كلمـات علـى الأغلـب. ابتلعـت اللغـة المكتوبـة [المُسـتخدمة فـي هـذه البقعـة الجغرافيـة مـن الأرض] كاملـةً مـع انتهـاء المقـال الأوّل. عرفـت أنّ للملـذات الجنسـيّة القـدرة علـى تعزيـز أمزجـة النـاس وعلاقاتهـم إلـى الأفضـل، كمـا عرفـت أهميّتهـا الجوهريـة هنـا. لعلهـا المعنـى الوحيـد الـذي يمتلكـه البشـر فـي هـذه الحيـاة. هدفهـا ببسـاطة هـو التّثقيـف الجنسـي. لحظـات معـدودات مـن الرّاحـة بمعـزل عـن النّـاس.

لكـن القـراءة لـم تجعلنـي أتكلـم، وأداتـي الصّوتيـة فـي مكانهـا؛ فـي فمـي وبلعومـي كالطّعـام الـذي لـم أعـرف كيفيّـة ابتلاعـه.

أعـدت المجلـة إلـى الـرّف. هنـاك قطعـة رأسـيّة رقيقـة مـن معـدن عاكـس إلـى جانـب العمـود، مكّنَتنـي مـن رؤيـة جـزء مـن شـكلي. عنـدي أنـف بـارز كالآخريـن، وشـفتان، وشـعر، وأذنـان. أجـزاء خارجيـة

كثيـرة. عـلاوة علـى وجـود كتلـة فـي منتصـف رقبتـي، وحاجبيـن شـديدي الكثافـة.

وصلتنــي معلومــة، شــيء تذكرتــه ممّــا قالــه القــادة: البروفســور أنــدرو مارتــن.

تســارعت نبضــات قلبــي. نوبــة رعــب. هــذه هيئتــي الآن، هــذا مــا أصبحـت عليـه. حاولـت مواسـاة نفسـي بتذكيـر نفسـي أنّهـا مسـألة مؤقتـة.

أسـفل حامـل المجـلات هنـاك بعـض الصحـف. فيهـا صـور لوجـوه مبتسـمة بعـدد أكبـر، وأجسـاد ميتـة أيضًـا، إلـى جانـب أنقـاض مبـان. مجموعــة خرائــط صغيــرة بجانــب الصحــف. الطّريــق إلــى الجــزر البريطانيّــة بينهــا. لعلّــي الآن علــى الجــزر البريطانيــة. أمســكت الخريطـة وحاولـت مغـادرة المبنـى.

أغلق الرّجل سماعة الهاتف.

الباب مقفل.

وصلتني معلومة تلقائيّة: كلية فيتزويليام؛ جامعة كمبردج.

«لـن تغـادر نهائيًـا» قـال الرّجـل بكلمـات بـدأت أفهمهـا. «الشّـرطة فـي الطّريـق. أقفلـت البـاب».

توجهــت إلــى البــاب لفتحــه وظــل يراقبنــي بذهــول. خرجــت وســمعت صــوت صفّــارة إنــذار بعيــدة. أصغيــت، وأدركــت أنّــه علــى بعــد ثلاثمئــة متــر ويقتــرب بســرعة. بــدأت أتحــرك، أركــض بأقصــى ســرعة ممكنــة بعيــدًا عــن الطّريــق، وصعــدت إلــى ســاتر عشــبي نحــو منطقــة منبســطة أخــرى.

شاهدت مركبات كثيرة مركونة بترتيب هندسي.

هـذا عالـم غريـب. بـلا شـك، هنـاك عوالـم غريبـة، ولا بـد أن هـذا أغربهـا. حاولـت رؤيـة مواطـن التّشـابه. حدَّثْت نفسـي بـأن كل الأشـياء هنـا لا تـزال مصنوعـة مـن ذرات، وهـذه الـذّرات لـن تختلـف عـن باقـي ذرّات الكون. سـيتحرّك بعضهـا نحـو بعـضٍ إذا كانـت هنـاك مسـافة بينهـا. هـذا هـو القانـون الأسـاسـي للكـون، وهـو ينطبـق علـى كل الأشـيـاء، حتّـى هنـا. فـي معرفـة هـذا سـلوان. هنـاك تجـاذب وتنافـر بينهـا. تمعّنـوا فيمـا حولكـم، وسـترون مواطـن التّشـابه.

لكنـي لـم أبصـر إلّا الاختـلاف حينذاك.

توقّفـت السّـيارة التـي لهـا صافـرة إنـذار فـي محطـة التّعبئـة، ووَمَـضَ مصباحهـا باللـون الأزرق، فاختبـأت بيـن الشـاحنات المركونـة بضـع دقائـق. كـدت أتجمّـد بـردًا، فتكـوّرت، وارتجـف جسـدي كلـه، وتقلـص عضـوي التّناسـلي. (أدركـت أن خصيتـي الذّكـر همـا أكثـر الأشـياء جاذبيـة فيـه، ولـم تنـالا التقديـر الملائـم بيـن البشـر الذيـن فضلـوا رؤيـة الوجـوه الباسـمة عليهمـا). قُبيْـل مغـادرة سـيّارة الشّـرطة سـمعت صوتًـا خلفـي. لـم يكـن شـرطيًا، بـل كان صـوت سـائق الشّـاحنة التـي تكـوّرت خلفهـا.

«مـاذا تفعل؟ انقلـع عـن شاحنتي»

هربـت، قدمـاي العاريتـان ضربتـا بقـوة أرضًـا عليهـا قطـع حصـى عشـوائيّة، ثـم وجدتنـي علـى عُشـبٍ، فواصلـت الرّكـض حتّـى وصلـت إلـى طريـق آخـر. طريـق أضيـق لـم توجـد بـه أي سـيّارة.

فتحـت الخريطـة، ووجـدت الخـط الـذي يطابـق منحنـى هـذا الطريـق، وشـاهدت كلمـة: كمبـردج.

انطلقت إلى المكان.

في أثناء مشيي وتنفسي الهواء المشبع بالأكسجين، تكونت لدي صورة عن شخصيتي: بروفسور أندرو مارتن. مع الاسم، وصلتني حقائق أرسلها من أرسلوني إلى هنا عبر الفضاء:

رجل متزوّج، في الثّالثة والأربعين من عمره - منتصف العمر البشري تمامًا - لديه ابن. بروفسور حلّ للتّو أهمّ عمليّة حسابيّة واجهها البشر على الإطلاق. لدي ثلاث ساعات قصيرة لإيقاف تطوّر الجنس البشري لدرجة تتجاوز مخيلة أي كائن.

حقائق أشعرتني بالغثيان، لكنّي واصلت المشي باتجاه كمبردج، لأعرف ما الذي يخبئه هؤلاء البشر لي أيضًا.

لم يُطلب مني كتابة هذا التّوثيق للحياة البشريّة. لم يكن هذا من مهامي. ومع ذلك، شعرت بأني مجبر على فعل ذلك لشرح القليل من سمات الوجود البشري الرّائعة. آمل أن تتفهّموا دافعي الذي بات يعرفه بعضكم الآن.

على أي حال، لطالما عرفت أنّ الأرض مكان حقيقي في هذه المعمورة. عرفت هذه الحقيقة بلا شك، وكيف لا أعرف وقد ابتلعت كبسولة كُتيّب السّياحة الكونيّة الشّهير: الحمقى المتحاربون: رحلتي مع بشر كوكب الماء (سنة 7081). كنت أعلم أنّ الأرض حقيقيّة في نظام شمسي ممل وبعيد، وخيارات السّفر لسكانه محدودة جدًّا. عرفت أيضًا أنّ على الأرض حياة، وسكانها في أحسن الأحوال متوسطو الذكاء وعرضة للعنف، والحَرَج الجنسي، والقصائد السّيئة، والتّسويف.

بدأت أدرك أن أي تحضير مسبق لم يكن ليكون كافيًا.

وصلت عند الصباح إلى هذا المكان الذي اسمه كمبردج.

أثار دهشتي. المباني هي أول ما لاحظت. أذهلتني معرفة أن مرأب السيارات لا يستخدم مرة واحدة فقط. كل التّكوينات - سواء أكانت عمرانيّة أم استهلاكيّة، للسّكن أم لاستخدامات أخرى- كانت ساكنة وثابتة على الأرض.

من المفترض أن تكون هذه بلدتي. المكان الذي عشت فيه بانقطاع، لأكثر من عشرين عامًا. وكان عليّ أن أتصرف دون إثارة للشبهات، رغم أنّه أغرب مكان رأيته في حياتي.

الافتقار إلى الخيال الهندسي مثير للعجب. لا يوجد شكل عشري الأضلاع في مدى بصري. لاحظت أنّ بعض المباني أكبر نسبيًا وذات زخارف أكثر من غيرها.

خلتني في معابد النّشوة الجنسيّة.

المتاجر توشك أن تفتح أبوابها. في القرى البشريّة، سأتعلم عما قريب، أن كل مكان هو متجر. المتاجر بالنّسبة إلى قاطني كوكب الأرض كأشكاك المعادلات بالنّسبة إلى الڤونادوريين.

في أحد هذه المتاجر رأيت الكثير من الكتب عبر النّافذة. ذُكّرت بأنّ على البشر قراءة الكتب. هم بحاجة إلى الجلوس والنّظر إلى كلمات متتاليات، وذلك يستغرق وقتًا. وقتًا طويلًا. لا يمكن للإنسان ابتلاع كل كتاب، ولا يمكنه مضغ مجلدات مختلفة في وقت واحد، أو ابتلاع المعرفة اللا متناهية في غضون ثوانٍ. لا يمكنهم وضع كبسولة كلمات في أفواههم مثلنا. تخيلوا! أنْ تكونوا فانين ومجبرين على قضاء بعض أوقاتكم الثمينة في القراءة. لا عجب في كونهم شبه بدائيين. بحلول الوقت الذي يكونون قد قرؤوا فيه ما يكفي من الكتب للوصول إلى معرفة تمكنهم من تحقيق أي شيء، سيكونون قد فارقوا الحياة!

يحتاج الإنسان إلى معرفة نوع الكتاب الذي يوشك أن يقرأه. يحتاج إلى معرفة إن كان قصّة حب، أو جريمة قتل، أو عن الفضائيين!

للبشر تساؤلات أخرى في المكتبات: هل هو أحد تلك الكتب التي إذا قرؤوها ستشعرهم بالذكاء؟ أم أنه أحد الكتب التي سيتظاهرون بأنهم لم يقرؤوها بتاتًا من أجل الحفاظ على

ذكائهم؟ هل سيضحكهم أم سيبكيهم؟ أم أنه سيجبرهم ببساطة على التحديق من النافذة وهم يشاهدون مسارات قطرات المطر؟ هل قصة الكتاب حقيقية أم مُتخيلة؟ هل تستهدف تفكيرهم أم أعضاءهم السفلية؟ هل هو أحد تلك الكتب التي تجذب أتباعًا دينيين أم يحرقها المتدينون؟ هل هو كتاب عن الرياضيات أم -كأي شيء آخر في الكون- بسببه؟

نعم، هناك أسئلة كثيرة، وكتب أكثر. كثيرة جدا.

البشر بطريقتهم البشرية التي تميزهم قد كتبوا الكثير ليتجاوزوا مشاق الحياة. القراءة تضاف إلى تلك المشاق: عمل، حب، والبراعة الجنسية، والكلمات التي لم يقولوها وقت الحاجة حين شعروا بعدم الرضا عنها.

إذن، فالبشر يحتاجون إلى معرفة محتوى الكتاب قبل قراءته، كما يحتاجون إلى معرفة إذا كانت الوظيفة التي تقدموا عليها ستفقدهم عقولهم في عمر التاسعة والخمسين وتدفعهم إلى إلقاء أنفسهم من نافذة مكاتبهم، أو إذا خرجت فتاة في الموعد الأول مع شاب يتصنع الذكاء عن عام قضاه في كمبوديا وسيتركها من أجل امرأة اسمها فرانشيسكا تدير عملًا خاصًا في مجال العلاقات العامة وتتشدق بكلمة «كافكوي» في حديثها دون قراءة مؤلفات كافكا.

على أي حال، دخلت المكتبة، وفي أثناء إلقائي النظر على مجموعة كتب على الطاولات، لاحظت أن اثنتين من الإناث اللواتي يعملن هناك كن يضحكن ويُشرن إلى نصف جسدي السفلي. حرت مرة أخرى. هل يُمنع ذهاب الرجال إلى المكتبات؟ هل

هنـاك حـرب تهكـم بيـن الجنسـيْن؟ أيقضـي البائعـون أوقاتهـم فـي التنـدر مـن العمـلاء؟ أم لأنـي لا أرتـدي ثيابًـا؟ مـن ذا الـذي يعلـم؟ علـى أي حـال، فعلهـن قـد شـتت انتباهـي، خاصـة أنّ الضّحـك الوحيـد الـذي سـمعته فـي حياتـي هـو ضحـكات إبسـويد. حاولـت التركيـز على الكتـب لا غيـر، وقـررت النظـر إلـى تلـك الكتـب التـي علـى الرفـوف.

سـرعان مـا لاحظـت أن النظـام المسـتخدم لترتيـب الكتـب أبجـدي، ويتعلـق بـأول حـرف مـن اسـم عائلـة كل مؤلـف. فقـد كان نظامًـا شـديد البسـاطة، لأنّ الأبجديّة البشـريّة تحتوي على 26 حـرفًا فقـط. سـرعان مـا وجـدت حـرف العيـن. أحـد الكتـب عنوانـه العصـور المظلمـة مـن تأليـف إيزوبِل مارتـن. سـحبته مـن الـرف. عليـه علامـة صغيـرة مكتـوب عليهـا (كاتـب محلـي). لا توجـد إلا نسـخة واحـدة منـه، وهـذا أقـل عـدد النسـخ التـي مـن تأليـف أنـدرو مارتـن بفـارق كبيـر. علـى سـبيل المثـال، هنـاك ثـلاث عشـرة نسـخة مـن كتـاب ألفـه أنـدرو مارتـن اسـمه الدائـرة المربعـة وإحـدى عشـرة نسـخة مـن كتـاب آخـر اسـمه البـاي الأمريكـي (ط: عـدد ثابـت فـي الرياضيـات ورمـزه π). كلاهمـا عـن الرياضيـات.

أمسـكت هذيـن الكتابيـن، ولاحظـت أنـه كتـب علـى غلافهمـا الخلفـي: 8.99 جنيهًـا. ابتلاعـي للغـة كاملـة بمسـاعدة مجلـة كوزموبوليتـان عرفنـي علـى أن هـذا سـعر الكتابيـن، لكنـي لا أملـك المبلـغ، فانتظـرت لحظـة عـدم تحديـق أي شـخص إلـي، ثـم ركضـت خـارج المتجـر.

خففـت سـرعتي فـي نهايـة المطـاف، لأن الركـض غيـر مريـح بوجـود خصيتيـن خارجيتيْـن، ثـم بـدأت القـراءة.

بحثت في الكتابيْن عن نظريتيْ ريمان، لكني لم أتمكن من إيجاد أي شيء باستثناء مراجع لا علاقة لها بعالم الرياضيات الألماني بيرنار ريمان الذي توفي قبل زمن طويل. أسقطت الكتب على الأرض.

بدأ الناس بالتوقف والتحديق. حولي أشياء لا أفهمها: سلة قمامة، إعلانات، ودراجات هوائية. متعلقات بشرية صرفة.

مررت برجل ضخم ارتدى معطفًا طويلًا وجهه مشعر. بناءً على مشيته غير المتكافئة، بدا مصابًا. نحن نعرف الألم لوقت قصير قطعًا، لكن هذا الألم مختلف. تذكرت أن هذا مكان الموت. الأشياء هنا تتدهور، وتفسد، وتموت. الظلمة تكتنف حياة الإنسان. كيف يتأقلمون؟

تبلدهم بسبب القراءة البطيئة. إنه التبلد ولا غير.

هذا الرجل لا يتأقلم مع الحياة. عيناه تفيضان حزنًا وشقاء.

«يا يسوع» قال الرجل. لا بد أنه يحسبني رجلًا يعرفه. «رأيت كل الأعاجيب في حياتي الآن». تفوح منه رائحة العدوى البكتيرية وأشياء بغيضة أخرى لم أتعرف عليها.

فكرت في أنْ أسأله عن الاتجاه، فالخريطة تعرض بُعدين فقط وغامضة بعض الشيء، لكني لا أعرف كيفية نطق الكلمات. لعليً قادر على نطقها لكني لا أملك شجاعة قولها لوجه قريب كهذا، ذي أنف بارز وعينين ورديتيْن. (كيف عرفت أن عينيْه حزينتان؟ سؤال مثير للاهتمام، خاصة أننا -نحن الڤونادريين- لا نشعر بالحزن بتاتًا. الإجابة هي: لا أعرف. مجرد شعور. شبحٌ داخلي، لربما شبح الإنسان الذي أصبحته. لا أملك كل ذكرياته، لكن لدي

أشياء أخرى. هل التعاطف مكوّن بيولوجي؟ كل ما أعرفه هو أنه أربكني، أكثر من مشاهدة الألم. الحزن بالنسبة إلي كالمرض، وخشيت أنْ يكون معديًا). فمررت بجانبه، ولأول مرة منذ زمن طويل، حاولت أنْ أجد طريقي إلى مكان ما بنفسي.

عرفت الآن، أن البروفسور مارتن يعمل في الجامعة، لكني أجهل شكل الجامعة. خمّنت أنّها لن تكون محطات فضائية مكسوة بالزركونيوم تحوم خارج الغلاف الجوي، لا أعرف شيئًا غير هذا. أفتقد قدرة تحديد نوع المبنى من شكله، ولهذا واصلت المشي، متجاهلًا اللهاث والضحك، والشعور بأي واجهة من الطوب أو الزجاج مررت بها، كما لو أن اللمس يحمل إجابات أكثر من الإبصار.

ثم حصل أسوأ شيء. (تماسك أيها القارئ الڤاندوري).

أمطرت.

الشّعور بالمطر على جلدي وشعري كان مريعًا، وأردته أنْ ينتهي حقيقة. شعرت بأني منكشف. بدأت أهرول بحثًا عن مدخل إلى أي مكان. أي مكان. مررت بمبنى كبير بوابته ضخمة وله علامة في الخارج. كتب عليها: كلية كوربس كريستي ومريم العذراء المباركة. قرأت كلمة «عذراء» في كوزموبوليتان، وأفهم معناها تمامًا، لكني واجهت صعوبة في فهم الكلمات الأخرى. كوربس وكريستي بدا لي أنهما من زمان يسبق اللغة. كوربس لها علاقة بالجسد، ولهذا ربما كوربس كرستي قد تعني نشوة الجسد. لا أعرف فعلًا. هناك كلمات أصغر أيضًا، وعلامة مختلفة كُتب عليها: جامعة كمبردج. استخدمت يدي اليسرى لفتح البوابة ومشيت على العشب باتجاه الذي لا تزال فيه أنوار مضاءة.

دلائل على وجود حياة ودفء.

العشب رطب. بلله الناعم أزعجني، ففكرت في الصراخ.

كان مقصوصًا بعناية. أدركت لاحقًا أنّ البستان المُشذّب بعناية يعني الاهتمام الشديد به، ويجب أنْ يولد في التقدير والهيبة، خاصة إذا اندمج بمبنى ضخم كهذا. حينها، كنت ظاهرًا لكل من العشب المشذّب والبناء الضخم فواصلت المشي باتجاه المبنى الرئيس.

توقفت سيارة في خلفي. مرّة أخرى، هناك أنوار زرقاء خلفي، أمام كوربس كريستي.

(الأضواء الزرقاء على الأرض = مشكلة)

ركض رجل نحوي. حشدٌ بشرٍ خلفه. من أين جاؤوا؟ بدوا أشرارًا، ويرتدون ثيابًا غريبة الشكل. غرباء عنّي، وكنت غريبًا عنهم. في نهاية المطاف، أشبههم. ربما هذه مزية أخرى في البشر؛ قدرتهم على الانقلاب على بعضهم. ينبذون بنيّ جنسهم، قد أثقل أدائي لمهمتي. جعلني أفهم أكثر.

على أي حال، كنت هناك، على العشب الرطب، مع رجل يركض نحوي والنّاس بعيدًا. كان بإمكاني الركض أو القتال، لكن كان هناك الكثير منهم - بعضهم بمعدات تسجيل قديمة المظهر. أمسك بي الرجل. «تعال معي يا سيدي». فكرت في هدفي. لكن في ذلك الوقت كان عليّ الامتثال. في الواقع، كل ما أردته هو الخروج من المطر.

«أنا البروفسور أندرو مارتن»، قلت العبارة بثقة تامة، حينها فهمت القوة المرعبة التي في ضحك الآخرين.

«لدي زوجة وابن» قلت، وأعطيتهم اسمهما. «أحتاج إلى رؤيتهما. هل يمكنك أخذي إليهما؟»

«لا. لا ليس الآن. لا نستطيع»

قبض على ذراعي. أردت ابتعاد يده البشعة عني أكثر من أي شيء آخر. أن يلمسني أحدهم - بغض النظر عمن يمسكني - أمر لا يُطاق. ومع ذلك لم أحاول مقاومته في أثناء اقتيادي إلى المركبة.

كان من المفترض أنْ أجتذب أقل قدر من الانتباه إلى نفسي قدر الإمكان في أثناء إنجاز المهمة الموكلة إلي، وقد فشلت في هذا.

- جاهد لتكون طبيعيًا.

- حاضر.

- يجب أنْ تكون مثلهم.

- أعرف.

- لا تهرب قبل الأوان.

- لن أفعل. لكني لا أريد أنْ أكون هنا. أريد العودة إلى الديار.

- تعرف أنه لا يمكنك هذا. ليس الآن.

- سينفد الوقت مني. يجب أنْ أذهب إلى مكتب البروفسور ومنزله.

- أنت على حق. يجب أن تذهب، لكن حافظ على هدوئك أولًا، وافعل ما يقولونه لك. اذهب إلى حيث يريدون، وافعل ما يريدون. يجب ألا يعرفوا من أرسلك. لا تذعر. البروفسور أندرو مارتن ليس بينهم الآن. إنه أنت. سيكون هناك وقت. إنهم يموتون، ولهذا ليس لديهم صبر. حيواتهم قصيرة. حياتك طويلة. لا تصبح مثلهم. استخدم قدراتك بحكمة.

- سأفعل، لكني خائف.

- لا تلام في خوفك؛ فأنت بين البشر.

أجبروني على ارتداء الملابس.

جهل البشر بالعمران أو الوقود غير المشع المعتمد على نظائر الهيليوم عوضوه بمعرفتهم عن الثياب. إنهم نوابغ في هذا المجال، ويعرفون كل شيء عن دقائق تفاصيله، وهناك -أجزم لك- الآلاف منها.

طريقة عمل الثياب هي كالآتي: هناك طبقة داخلية وأخرى خارجية. تتكون الطبقة السفلية من «سراويل» و«جوارب» تغطي مناطق تنبعث منها روائح مركزة من الأعضاء التناسلية والقاع والقدمين. هناك أيضًا خيار ارتداء «سترة» التي تغطي منطقة الصدر الأقل مخزية بشكل هامشي. تضمنت هذه المنطقة نتوءات حساسة في الجلد تُعرف باسم «حلمتيْن». لم أكن أعرف فائدتهما، رغم استمتاعي بلمسهما برفق.

الطبقة الخارجية من الملابس أكثر أهمية من الطبقة السفلية. غطت هذه الطبقة خمسة وتسعين في المئة من الجسم، تاركة الوجه وشعر الرأس واليدين فقط بلا ثياب. بدا أن هذه الطبقة الخارجية من الملابس هي مفتاح القوة على هذا الكوكب. على سبيل المثال، الرجلان اللذان أخذاني بعيدًا في السيارة ذات الضوء الأزرق الوامض ارتديا طبقات خارجية متطابقة، تتكون من أحذية سوداء فوق جواربهما، وسراويل سوداء فوق سروالهما. فوق أجسامهما العلوية، هناك «قميص» أبيض و«سترة» لونها أزرق داكن. على هذه السترة -مباشرة فوق منطقة الحلمة اليسرى-

شارة مستطيلة مصنوعة من نسيج أرقى قليلًا مكتوب عليها: شرطة كمبردج. السترتان متطابقتان في اللون والشارة. من الواضح أن ارتداء هذه الثياب إجباري.

سرعان ما أدركت معنى كلمة «شرطة». إنها تعني شرطة!

لم أصدق ذلك. لقد انتهكت القانون بعدم ارتداء ثياب ببساطة. كنت متأكدًا تمامًا من أن معظم البشر يعرفون شكل الإنسان العاري. لم أعتقد أن عدم ارتدائها خطأ. على الأقل، ليس بعد.

أدخلوني غرفة صغيرة، مساحتها متوافقة مع جميع الغرف البشرية، وأقرب إلى شكل المستطيل. المضحك هو أنه على الرغم من أن هذه الغرفة لم تكن على وجه التحديد أفضل أو أسوأ من أي شيء آخر في مركز الشرطة هذا، أو على هذا الكوكب، بدا أن الضباط يعتقدون أنها عقوبة استثنائية. يجب وضعي في هذا المكان -«زنزانة»- عوضًا عن أي غرفة أخرى. أضحكوني؛ إنهم في أجساد فانية، لكن حبسهم في غرفة يقلقهم أكثر من أي شيء آخر!

هذا هو المكان الذي طلبوا مني ارتداء الملابس فيه. «تغطية نفسي»، ولهذا التقطت تلك الثياب وبذلت قصارى جهدي في ارتدائها، وبعد ذلك، ما إن حددت أي طرف من أطرافي سيدخل في أي فتحة، أمروني بالانتظار ساعة كاملة. وهو ما فعلت. كان بإمكاني الهروب بلا شك. لكنني أدركت أن من المرجح أن أعثر على ضالتي في هذا المكان، مع الشرطة وأجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم. كما تذكرت ما قيل لي. استخدم قدراتك بحكمة. يجب أن تحاول أن تكون مثلهم. يجب أن تسعى لتكون طبيعيًا.

ثم فتح الباب.

أسئلة

كان هناك رجلان.

رجلان مختلفان لم يرتديا ذات الثياب، لكن وجهيهما متشابهان. لا، العينان فقط، والأنف البارز والفم، بل تشاركا أيضًا في الشقاء. لم أشعر بشيء من الخوف في النور القوي. أخذوني إلى غرفة أخرى للاستجواب. معلومة شائقة: بإمكانك أن تسأل أسئلة في غرف محررة فقط. كانت هناك غرف للجلوس والتفكير، وغرف للاستجواب.

جلسا.

توتري شديد. نوع من القلق الذي تشعر به على هذا الكوكب فقط، الذي منبعه حقيقة أن من يعرفون حقيقتي بعيدون جدا عني. بعيدون كل البعد.

قال أحد الرجال وهو مستند إلى كرسيه: «بروفسور أندرو مارتن. بحثنا عن اسمك باستخدام محرك بحث غوغل. أنت أشهر من نار على علم في الدائرة الأكاديمية».

لعق الرجل شفته السفلية، وأظهر راحتي يديه. أرادني أن أقول شيئًا ما. ما الذي سيفعلانه إذا لم أتكلم؟

فكرتي واهية عن معنى «محرك بحث غوغل»، لكن أيا كان يمكنني أنْ أقول إني شعرت بمعناه. لكني لم أفهم حقيقة معنى «أشهر من نار على علم في الدائرة الأكاديمية». أعترف أني وجدت - نظرًا لأبعاد الزنزانة- السلوان في معرفتهم معنى الدائرة.

أومـأت رأسـي بالإيجـاب، بانزعـاج بسـيط مـن التكلـم لأنـه تطلـب تركيـزًا شـديدًا وتنسـيقًا.

ثـم تكلـم الرجـل الآخـر. نقلـت بصـري إليـه. فـي ظنـي أن الفـارق الرئيـس بينهمـا هـو خطـوط الشـعر فـوق عينيْهمـا. رفـع هـذا الرجـل حاجبيْـه باسـتمرار، مـا جعـد جلـد جبينـه.

«هل لديك ما تقوله لنا؟»

فكـرت طويـلًا وبتركيـز. حـان وقـت التكلـم. «أنـا أذكـى إنسـان علـى الكوكـب. أنـا عبقـري فـي الرياضيـات. قدمـت إسـهامات مهمـة لكثيـر مـن فـروع الرياضيـات، مثـل: نظريـة التجميـع، نظريـة الأرقـام، والهندسـة. اسـمي هـو البروفسـور أنـدرو مارتـن».

تبادلا النظرات، ثم أطلقا قهقهة فيها هواء من أنفيهما.

«أتعتقـد أن هـذا مضحـكًا؟ قـال الرجـل الأول بعنـف. «ارتكابـك جنحـة علنيـة؟ أيبهجـك هـذا؟ هـا؟»

«لا. كنت أخبرك من أنا فقط»

«نعـرف مـن تكـون»، قـال الضابـط الـذي أبقـى حاجبيْـه منخفضيْـن ومقطبيْـن، كتقـارب طيـور فصيلـة دونـا فـي فتـرة التـزاوج. «الجـزء الأخيـر علـى أي حـال. مـا لا نعرفـه هـو: مـاذا كنـت تفعـل بتعرّيـك عنـد الثامنـة والنصـف صباحًـا؟»

«أنـا بروفسـور فـي جامعـة كمبـردج. أنـا متـزوج مـن إيزوبِـل مارتـن. لـدي ابـن؛ غليفـر. أريـد رؤيتهمـا، مـن فضلـك. اسـمح لـي برؤيتهمـا».

نظـرا فـي أوراقهمـا. قـال الأول: «أجـل، فهمنـا أنـك أسـتاذ مشـارك فـي كليـة فيتزويليـام. لكـن هـذا لا يفسـر عريـك فـي أرجـاء كليـة كوربس كريسـتي. إمـا أنـك مجنـون أو خطـر علـى المجتمـع، أو كلاهمـا».

قلت له بنبرة قاطعة: «لا أحب ارتداء الثياب. تسبب الحكة. مزعجة حول خصيتي». ثم تذكرت كل ما تعلمته من مجلة كوزموبوليتان، ملت نحوهما وأضفت ما اعتقدت أنه سيكون النقطة الفاصلة: «قد تعطل فرصي بتحقيق المتعة الجنسية الكاملة تعطيلًا تامًا».

حينها اتخذا قرارًا، والقرار كان إخضاعي إلى اختبار نفسي؛ أي الذهاب إلى غرفة أخرى مستقيمة الأضلاع للنظر إلى إنسان آخر له أنف بارز أيضًا. كانت أنثى. اسمها بريتي [Prity]، ويُلفظ بريتي [Pretty]، ويعني جميلة. تعيسة لكونها بشرية وشكلها مثير للاستفراغ.

قالت: «الآن، أريد أن أسألك سؤالًا بسيطًا. أتساءل إذا تعرضت لأي ضغط مؤخرًا؟»

حرت. أي نوع من الضغط تقصد؟ متعلق بالغلاف الجوي؟ بالجاذبية الأرضية؟ أجبتها: «نعم. ضغوطات كثيرة. في كل مكان، هناك شيء من الضغط».

بدت الإجابة الصحيحة عن سؤالها.

قالت لي إنها تواصلت مع الجامعة. فعلها معقول بدرجة بسيطة. كيف تواصلت معهم؟ قالت لي: «أخبروني أنكَ قد عملت ساعات أطول مؤخرًا مقارنة بزملائك. يبدو أنَ عُريّكَ قد أزعجهم، لكنهم قلقوا عليك، كما تقلق عليك زوجتك».

«زوجتي؟»

عرفت أن لدي زوجة، وعرفت اسمها، لكنني لم أفهم حقًا ما يعنيه في الواقع أن يكون لدي زوجة. الزواج مفهوم غير مألوف بالنسبة إلي. ربما لا توجد مجلات كافية على هذا الكوكب لفهمه. أوضحت لي معنى الزواج، فزاد تحيري. الزواج يعني (ارتباط محبة)، أي؛ بقاء شخصين يحبان بعضهما معًا إلى الأبد. لكن يبدو أنه يشير إلى أن الحب قوة في غاية الهشاشة ويحتاج إلى الزواج لتدعيمه. أيضًا، يمكن كسر هذا الاتحاد بشيء اسمه (طلاق)، ما يعني منطقيا -على حد علمي- وجود فائدة بسيطة منه. لم يكن لدي أي فكرة حقيقية عن معنى (الحب)، على الرغم من كونها إحدى أكثر الكلمات استخدامًا في المجلة التي قرأتها. ظل معناها مُلغزًا؛ ولهذا طلبت من المرأة شرحه لي، ازداد تحيري عند أخذ جرعة زائدة من كل ذلك المنطق السيئ. كأنه محض وهم.

سألتني: «هل تريد قهوة؟».

فأجبتها: «نعم».

جاءت بالقهوة وتذوقتها، كانت حارة، كريهة، حمضية، من مركب سائل مزدوج الكربون، فبصقته عليها. في فعلي خرق كبير لآداب السلوك البشري؛ كان من المفترض أنْ أبتلعها.

«ماذا بحق الـ...» وقفَت لتنظف نفسها بقلق على قميصها. سألتني بعدها أسئلة أكثر. أمور تستحيل الإجابة عنها: ما عنوانك؟ ماذا تفعل في وقت فراغك للاسترخاء؟

كان بإمكاني خداعها دون أدنى شك. عقلها طري ومطواع. وذبذباته المحايدة ضعيفة بشكل ظاهر حتى مع إلمامي البسيط باللغة كان بإمكاني أنْ أقول لها إني بخير، وهذا ليس من شأنها، وأطلب منها أنْ تتركني وشأني. تمكنت من تحديد الإيقاع المناسب والتردد الأفضل لقول ما أريد، لكني لم أفعل.

لا تهرب قبل الأوان. لا تذعر. هناك وقت.

الحقيقة هي أني كنت في غاية الرعب. بدأت نبضات قلبي تتسارع دون سبب واضح. راحتا يدي تتعرقان. شيء ما يخص الغرفة وأبعادها، إضافة إلى كثير من الاتصال بهذه الأنواع غير العقلانية، كان يثير غضبي، كل شيء هنا كان اختبارًا.

إذا أخفقتَ في أحد الاختبارات، فسيكون هناك اختبار لمعرفة سبب إخفاقك. أعتقد أن البشر عشقوا الاختبارات لأنهم آمنوا بالإرادة الحرة.

ها!

البشر - بدأت أكتشف - آمنوا بأنهم مسؤولون عن حيواتهم، ولهذا شعروا بالرهبة من الأسئلة والاختبارات، لأنها تشعرهم بالفوقية على الناس الذين فشلوا باختياراتهم، والذين لم يتهيؤوا

بجد لإيجاد الإجابات الصحيحة. ومع نهاية آخر اختبار أخفقوا فيه، جلس كثيرون، كما سأجلس قريبًا، في مستشفى للأمراض العقلية، لأبلع حبوبًا تعطل التفكير اسمها «الديازيبام»، ووضعت في غرفة فارغة أخرى ملأى بالزوايا القائمة. هذه المرة فقط، استنشقت أيضًا رائحة كلوريد الهيدروجين المزعجة التي استخدموها للقضاء على البكتيريا. عزمت على أنْ تكون مهمتي في تلك الغرفة سهلة. أقصد الأهم منها، وسبب أنها ستكون سهلة هو أن لا مبالاتي بهم تقترن بلا مبالاتهم بكائنات وحيدة الخلية. يمكنني القضاء عليها، لا مشكلة، ولسبب أعظم من النظافة. لكن ما لم أدركه هو أني هش كالآخرين إزاء ذلك العملاق المستتر الذي لا يمكن القبض عليه والمعروف باسم «المستقبل».

مجانين

قاعدة عامة، لا يحب البشر المجانين إلا إذا كانوا ماهرين في الرسم وأمواتًا. لكن تعريف الجنون على كوكب الأرض يبدو غير واضح ومتناقض. العاقل في أحد العصور سيكون مجنونًا في عصر آخر. تجول البشر الأوائل عراة بلا مشكلات. وما زال بعض الناس -في الغابات المطيرة خاصة- يفعلون هذا. نستنتج أن الجنون أحيانًا مسألة وقت، وأحيانًا رمز بريدي.

القاعدة الجوهرية هي أنك إذا أردت أن تبدو عاقلًا على كوكب الأرض فعليك أنْ تذهب إليه في التوقيت المناسب، مرتديًا الثياب الملائمة، وتقول الأمور الصحيحة، وتطأ النوع الصحيح من العشب.

زارتني زوجتي إيزوبل مارتن بعد مدة. مؤلفة كتاب العصور المظلمة. أردتها أنْ تصدني، فذلك سيجعل كل شيء أسهل. أردت أنْ أكون مرتعبًا -مرتعب أنا بلا شك- لأن هذا الجنس بكامله مرعب بالنسبة إلي. في ذلك اللقاء الأول وجدتها قبيحة. أخافتني. كنت خائفًا من كل شيء هنا، الآن. حقيقة لا يمكن الطعن بها: الوجود على الأرض مرعب. مشاهدة يدي أخافتني أيضًا. لكن على أي حال، إيزوبل. حين شاهدتها أول مرة لم أشاهد شيئًا غير تريليون خلية متناهية الحجم سيئة الترتيب. وجهها شاحب، وعيناها متعبتان، وأنفها بارز أيضًا. هناك أمر صادق ومتوازن فيها؛ احترازها أشد من الآخرين. جف فمي من مجرد النظر إليها. أفترض لو أن هناك تحديًا سأواجهه مع هذه الإنسانة تحديدًا، فهو معرفتها معرفة تامة، وقضاء وقت أكبر معها، لأتحصّل على المعلومة التي أحتاج إليها قبل تنفيذ المهمة.

جاءت لتراني في غرفتي، في أثناء مراقبة الممرضة. كان بلا شك اختبارًا آخر. جل حياة الإنسان عبارة عن اختبار، وهذا يُعلل التعاسة على وجوههم.

خشيت أنْ تعانقني، أو تقبلني، أو تنفخ الهواء في أذني، أو تفعل أيا من تلك الأمور التي أخبرتني عنها المجلة، لكنها لم تفعل. لم يظهر أنها تريد فعل ذلك. ما أرادت فعله هو الجلوس هناك والتحديق إلي، كأني الجذر التربيعي لـ 912,673 وتحاول حلي.

وفـي الواقـع، سـعيت للتصـرف بوئـام. سـبع وتسـعون هـو العـدد الأولـي المفضـل لـدي.

ابتسـمت إيزوبـل وأومـأت برأسـها إلـى الممرضـة، لكـن عندمـا جلَسـت وواجهتـي أدركـت أنهـا تظهـر بعـض العلامـات الكونيـة المشـتركة الدالـة علـى الخـوف: ضيـق عضـلات الوجـه، وتوسـع حدقة العينيّـن، وسـرعة التنفس. بـدأت أولـي اهتمامًـا خاصًـا بشـعرها. كان شـعرها داكنًـا ينمـو مـن أعلـى وخلـف رأسـها الـذي امتـد إلـى أعلـى كتفيهـا مباشـرة حيـث توقـف فجـأة لتشـكيل خـط أفقـي مسـتقيم. تصفيفـة شـعر اسـمها (بـوب). جلسـت بظهـرٍ مفـرود علـى كرسـيها، وكانـت رقبتهـا طويلـة، كمـا لـو أن رأسـها قـد وقـع علـى جسـدها ولـم يكـن يريـد أن يفعـل شـيئًا أكثـر مـن ذلـك. اكتشـفت لاحقًـا أنهـا فـي الحاديـة والأربعيـن مـن عمرهـا، ومظهرهـا يصنـف علـى أنـه جميـل فـي هـذا الكوكـب، أو علـى الأقـل مقبـول. شـعرت بـأن لديهـا وجهًـا بشـريا آخـر. الوجـوه البشـرية هـي آخـر شـيفرة بشـرية سـأفكها.

تنفسَت بعمق، ثم سـألتني: «كيف حالك؟».

«لا أعـرف. لا أتذكـر أشـياء كثيـرة. ذهنـي مشـوش، خاصـة فـي الصبـاح. اسـمعي، هـل دخـل أي شـخص مكتبـي؟ منـذ البارحـة؟»

أربكهـا سـؤالي. «لا أعـرف. كيـف لـي أن أعـرف؟ لا أعتقـد أن أحـدًا سـيدخله فـي عطلـة نهايـة الأسـبوع. وعلـى أي حـال أنـتَ الوحيـد الـذي يملـك المفاتيـح. مـن فضلـك، أنـدرو، أخبرنـي مـاذا حـدث؟ هـل تعرضـت لحـادث؟ هـل اختبـروا فقدانـك الذاكـرة؟ مـا سـبب خروجـك مـن المنـزل فـي ذلـك الوقـت؟ أخبرنـي بمـا كنـت تفعـل. اسـتيقظت ولـم أجـدك».

أومـأتُ برأسـي. أرادت إجابـات، وليـس عنـدي إلا الأسـئلة، «أيـن ابننـا؟ غليفـر؟ مـا سـبب عـدم مجيئـه معـك؟»

أربكتهـا إجابتـي هـذه أكثـر. قالـت: «إنـه عنـد أمـي». «لـم أتمكـن مـن إحضـاره إلـى هنـا. إنـه مسـتاء جـدا. بعـد الأحـداث الأخيـرة، وحـدوث هـذا الأمـر صعـب عليـه كمـا تعلـم».

لا شـيء ممـا قالتـه يحتـوي علـى الإجابـة التـي أردتهـا. ولهـذا قـررت أن أطـرح سـؤالي بطريقـة مباشـرة أكثـر. «هـل تعرفيـن مـاذا فعلتُ أمـس؟ هـل تعرفيـن مـا الـذي أنجزتُـه حيـن كنـت فـي العمـل؟»

عرفـت أنهـا مهمـا حاولـت الإجابـة عـن سـؤالي، فسـتبقى الحقيقـة علـى حالهـا. علـيّ أنْ أقتلهـا. ليـس فـي ذلـك الوقـت ولا ذلـك المـكان. لكـن فـي مـكانٍ مـا، وقريبًـا. مـا زلـت راغبًـا فـي معرفـة مـا عرفتـه، أو مـا لعلهـا قالتـه للآخريـن.

كتبـت الممرضـة شيئًـا عندئـذ.

تجاهلـت إيزوبِـل سـؤالي ومالـت نحـوي أكثـر، وأخفضـت صوتهـا. «يعتقـدون أنـك قـد عانيـت انهيـارًا عقليـا. لا يسـمونه كذلـك بالطبـع. لكـن هـذا مـا يعتقدونـه. سـألوني أسـئلة كثيـرة. كان الأمـر أشـبه بمواجهـة كبيـر المحققيـن».

حدقـت فيهـا مـرة أخـرى وسـألتها أسـئلة أخـرى. «لمـاذا تزوجنـا؟ مـا هـدف الـزواج؟ مـا القواعـد التـي ينطـوي عليهـا؟» أسـئلة محـددة، حتـى علـى كوكـب مصمـم للأسـئلة، لـم يسـمعوا بهـا.

«أنـدرو، قلـت لـك منـذ أسـابيع -شـهور- أنـت بحاجـة إلـى التمهـل. انشـغلت كثيـرًا. سـاعاتك كانـت سـخيفة كنـت تجهـد نفسـك بحـق. شـيء يجـب أن يعطـى. لكـن مـع ذلـك، كان هـذا مفاجئًـا جـدًا. لـم

تكن هناك علامات تحذير. أريد فقط أن أعرف ما الذي أثار كل شيء. أنا؟ ما كان؟ أنا قلقة عليك».

حاولت التوصل إلى تفسير صحيح. «أعتقد أنني لا بد أنني نسيت أهمية ارتداء الملابس. هذه هي أهمية التصرف بالطريقة التي كان من المفترض أن أتصرف بها. لا أعرف. لا بد أني نسيت كيف أكون إنسانًا. من الممكن، صحيح؟ يمكن نسيان الأشياء في بعض الأحيان؟».

أمسكت إيزوبل يدي. لمس الجزء السفلي من إبهامها بشرتي. زاد فعلها من انزعاجي. تساءلت عن سبب لمسها لي. يقبض الشرطي على ذراعك ليأخذك إلى مكان ما، لكن لماذا تلمس زوجتي يدي؟ ما الهدف؟ ألهذا علاقة بالحب؟ حدقت في ألماسة صغيرة متلألئة على خاتمها.

«سيكون كل شيء على ما يرام يا أندرو. مجرد أزمة عابرة. أعدك. ستكون قويا كالمطر قريبًا».

«كالمطر؟» سألتها بقلق زاد من ارتعاش صوتي.

حاولت قراءة تعابير وجهها، لكنها كانت صعبة. لم تعد مرعوبة، ماذا كانت؟ حزينة؟ متحيرة؟ غاضبة؟ خاب ظنها؟ أردت أن أفهم، لكني لم أستطع. تركتني، بعد مئة كلمة أخرى من الحوار. كلمات، كلمات، كلمات قبلتني قبلة صغيرة على خدي، وعانقتني، وحاولت ألا أنكص أو التصرف بفظاظة، كعادتي. ابتعدت عني لتمسح شيئًا تسرب من عينيْها. شعرت أنه كان من المتوقع فعل أو قول أو الشعور بشيء ما، لكنني لم أكن أعرف ماذا. قلت لها: «رأيت كتابك في المتجر. بجانب كتابي».

قالت: «لا تزال هناك بضعة باقية منك حتى الآن إذن؟». نبرة صوتها رقيقة يشوبها التهكم، أو هذا ما اعتقدت. «أندرو، توخى الحذر. افعل كل ما يقولونه وسيكون كل شيء على ما يرام. كل شيء سيكون على ما يرام».

ثم غادرت.

أمروني بالذهاب إلى قاعة الطعام لآكل. كانت تجربة مريعة. لسبب واحد؛ إذ كانت المرة الأولى التي أواجه فيها عددًا كبيرًا من جنسهم في حيز ضيق. ثانيًا، الرائحة: رائحة جزر مسلوق، رائحة بازلاء، رائحة بقرة ميتة.

البقرة حيوان على الأرض، أليفة ولها منافع متعددة. يستفيد منها البشر في الطعام، والمرطبات السائلة، والتخصيب، وتصميم الأحذية. البشر يرعونها، وينحرون رقبتها، ثم يقطعونها إلى قطع، ويغلونها، ويجمدونها، ويبيعونها، ويطبخونها. من الواضح أن هذا الفعل قد أكسبهم حق تغيير اسمها إلى «لحم»، وهي كلمة أحادية المقطع بعيدة كل البعد عن بقرة، لأن آخر شيء يريد الإنسان تذكره هو أنه يأكل بقرة حقيقية.

لم أكترث بشأن الأبقار. لو كانت مهمتي قتل بقرة فسأفعل بكل سرور، لكن هناك انتقال من عدم الاكتراث بشيء إلى الرغبة في أكله؛ ولهذا أكلت الخضراوات أو بالأحرى قضمت جزرة مسلوقة قضمة واحدة فقط. أدركت أن لا شيء يمكنه أنْ يشعرك بالحنين الشديد لوطنك مثل أكل طعام مقزز غير مألوف. قضمة واحدة كافية. أكثر من كافية. كانت في الواقع، كثيرة جدًّا واستهلكتُ كل قوتي وتركيزي لمقاومة التقيؤ.

جلست بمفردي، إلى طاولة في الزاوية، بجانب أصيص نبات طويل. للنبات أعضاء ذات أوعية مسطحة خضراء واسعة ولامعة

وغنية تُعرف باسم «الأوراق» من الواضح أنها تخدم وظيفة التمثيل الضوئي. الأمر غريب بالنسبة إليّ؛ غرابة بسيطة. في الواقع، بدا النبات جميلًا إلى حدّ ما. نظرت لأول مرة إلى شيء لم يزعجني على الأرض. أشحت بنظري بعيدًا عن النبات، باتجاه الضوضاء. هناك بشر مصنفون جميعًا على أنهم مجانين. أشخاص تجاهل العالم وجودهم. إذا كنت سأتآلف مع أي شخص على هذا الكوكب، فمن المؤكد أنه سيكون في هذه الغرفة. في أثناء تفكيري بهذا الفكرة جاءتني شابة. شعرها وردي قصير، وفي أنفها قطعة فضية دائرية (كأن وجه الإنسان بحاجة إلى لفت الاهتمام)، وعلى ذراعيها ندبات برتقالية وردية، كان صوتها هادئًا خفيضًا كأن كل فكرة في دماغها سر مميتٌ. ارتدت قميصًا كُتب عليه: «كل شيء كان جميلاً (ولا شيء مؤلم)». اسمها زُوي. قالت اسمها لي فور تعارفنا.

سألتني: «جديد؟»

أجبتها: «نعم».

- «نهار؟»

قلت لها: «نعم. إنه كذلك. نحن باتجاه الشمس».

ضحكت ضحكة تختلف عن صوتها. ضحكة جعلتني أتمنى عدم وجود هواء ينقل الموجات المجنونة إلى أذني.

فور استعادتها هدوئها أوضحت: «لا، أقصد، أأنت هنا بشكل دائم أم لقضاء نهار واحد؟ مثلي؟ «التزام طوعي».

فأجبتها: «لا أعرف. أعتقد أني سأغادر قريبًا. لست مجنونًا كما تلاحظين. كل ما هنالك أن أمورًا قد أربكتني. عليّ اعتياد أمور كثيرة. إنجاز الكثير».

قالت: «رأيتك في مكان ما من قبل».

«حقًّا؟ أين؟»

تفحصت الغرفة بنظري. بدأت أشعر بالانزعاج. يوجد ستة وسبعون مريضًا، وثمانية عشر موظفًا. احتجت إلى الخصوصية، حقيقةً، الخروج من هناك.

«هل ظهرت في التلفاز؟»

«لا أعرف».

ضحكت. «لعلنا أصدقاء في فيسبوك».

«ربما».

خدشت وجهها القبيح. تساءلت عما كان تحته. لا يمكن أنْ يكون أسوأ. اتسعت عيناها بإدراك: «لا. أعرف. رأيتك في الجامعة. أنت البروفسور مارتن، أليس كذلك؟ أنت أسطورة. أنا في كلية فيتزويليام. رأيتك في محيطها. الطعام هناك أفضل من هنا، أليس كذلك؟»

«أأنتِ طالبة من طالباتي؟»

ضحكت مرة أخرى. «لا. لا. لم تكن الرياضيات مادتي المفضلة في المرحلة الثانوية. كرهتها».

أغضبتني. كرهتها؟ كيف لك أنت تكرهي الرياضيات. الرياضيات كل شيء».

- «لم أرَ الأمر على هذا النحو. أعني، فيثاغورث بدا مهما، لكن لا، لست جيدة في الأرقام. أحب الفلسفة، ولعل هذا سبب وجودي هنا. أعشق شوبنهاور».

- شوبنهاور!

- كتبَ كتابًا اسمه العالم باعتباره إرادة وتمثلًا. يُفترض أنْ أكتب مقالًا عنه. مُلخّصه أننا نتعرف على العالم عبر إرادتنا. تتحكم الرغبات الأساسية في البشر، وهذا يقود إلى المعاناة والألم، لأن رغباتنا تجعلنا نشتهي أشياء من العالم، لكن العالم ليس إلا فكرة؛ لأن الأشياء التي نشتهيها نغذيها من ذواتنا حتى نجن، وينتهي بنا المطاف هنا».

- هل تحبين المكان هنا؟

ضحكت مرة أخرى، لكني لاحظت أن ضحكها قد جعلها أحزن بشكل ما. «لا. هذا المكان أشبه بدوامة. تبتلعك إلى العمق. تريد

الخروج من المكان، يا رجل. القلم مرفوع عن كل شخص هنا».
أشارت إلى أشخاص مختلفين في الغرفة، وأخبرتني عما يعانونه. بدأت بامرأة بدينة، وجهها محمر عند أقرب طاولة منا. «تلك (آنا السمينة). تسرق كل شيء. انظر إليها مع الشوكة، أعلى كمها تمامًا... أوه، هذا (سكوت). يعتقد أنه ثالث وريث للعرش... و(سارة)، طبيعية تمامًا معظم اليوم وعند الرابعة والربع تصرخ بلا سبب. لا بد من وجود من يصرخ... وهذا (كريس) البَكّاء... وهناك (بريدجيت) القلقة التي تتحرك في المكان بسرعة الفكرة...».

قلت: «سرعة الفكرة، أهي بهذا البطء؟»

- «... و... ليزا المستلقية وريجاش المتأرجح. أوه، أوه أجل، أترى ذلك الرجل هناك، ذا الحروق الجانبية؟ ذلك الطويل التي يتمتم لصينية الطعام؟»

«أجل»

«يعتقد أنه كي-باكس كليًّا»

«ماذا؟»

«معتوه تمامًا. يعتقد أنه مخلوق من كوكب آخر»

«حقًّا؟»

«أجل. ثق بي. نوشك أن نكون جميعًا مجانين في هذا المكان وينقصنا أمريكي أصيل أبكم»

لم أفهم قصدها.

نظرت إلى طبقي. «ألن تأكل؟»

«لا. لا أعتقد أن بإمكاني». قد أحصل على معلومات منها فسألتها: «لو أني فعلت أمرًا؛ أنجزت شيئًا مهما، هل تعتقدين

أني سأخبر عددًا كبيرًا من الناس؟ أقصد أننا نحن البشر نحب التفاخر؟ أليس كذلك؟»

«أجل. أعتقد».

أومأت. دبّ الرعب في أوصالي عند تخيل عدد الأشخاص الذي عرفوا عن اكتشاف البروفسور أندرو مارتن. ثم قررت توسيع سؤالي. لأتصرف كإنسان يجب أنْ أفهمهم، فسألتها أعظم سؤال يمكنني التفكير فيه: «ما معنى الحياة برأيك؟ هل اكتشفته؟»

«ها! معنى الحياة. معنى الحياة. لا معنى للحياة. الناس يبحثون عن القيم الخارجية والمعنى في عالم عاجز عن توفيرها، ولا يكترث لسعيهم. هذا ليس رأي شوبنهاور تمامًا. على الأغلب رأي كيرغيغارد من خلال كامو. أؤيدهما. دراسة الفلسفة متعبة، وإذا توقفت عن الإيمان بالمعنى فستحتاج إلى مساعدة طبية».

«ماذا عن الحب؟ ما فحواه؟ قرأت عنه في كوزموبوليتان».

ضحكة أخرى. «كوزموبوليتان؟ أتمزح؟»

«لا، لا أمزح بتاتًا. أريد أنْ أفهم هذه الأشياء»

«من المؤكد أنّك تسأل الشخص الخطأ هنا. انظر، أخفضت صوتها بمقدار درجتيْن، ثم تابعت حديثها بغموض: «أنا أحب الرجال العنيفين. أجهل السبب. نوع من الإيذاء للذات. أتردد على مدينة بيتربورو كثيرًا. أشياء جيدة أحصل عليها بسهولة».

تعجبت «أوه» وأنا أدرك أن إرسالي إلى هنا صائب، فالبشر غريبوا الأطوار كما قيل لي، ويعشقون العنف. «إذن فالحب يعني العثور على الشخص الصحيح لإيذائك؟»

«تقريبًا»

«هذا يخالف المنطق»

«هناك بعض الجنون في الحب دائمًا، لكن هناك شيئًا من المنطق في الجنون دائمًا» أي... شخص ما.

عم الصمت. أردت المغادرة. ولأني أجهل آداب التهذيب، وقفت وغادرت.

تنهدَت تنهيدة بسيطة، ثم ضحكت من جديد. الضحك كالجنون بالنسبة إلى البشر؛ مخرج طوارئ.

ذهبت بتفاؤل إلى الرجل الذي يتمتم إلى الصينية؛ الذي لا ينتمي إلى الأرض. تكلمت معه قليلًا. سألته بأمل عظيم من أين جاء. قال من (تاتوين). مكان لم أسمع به من قبل. قال إنه عاش بالقرب من فوهة (كاركون) العظمى، على مقربة من قصر جابا. كان يعيش مع (سكايووكرز)، في مزرعتهم، لكنها أُحرقت.

«كم يبعد كوكبك؟ عن الأرض أقصد»

«بعيد جدًا»

«كم يبعد؟»

قال: «خمسين ألف ميل»، تحطمت أمنياتي، وجعلني أتمنى لو أني لم أشتت اهتمامي بعيدًا عن الكوكب ذي الأوراق الخضراء المدببة».

نظرت إليه. اعتقدت لوهلة أني لست وحيدًا بينهم، لكني أدرك أني وحيد.

قلت لنفسي في أثناء ابتعادي عنه، هذا ما يحدث إذا عشت على الأرض. تتحطم. تحمل الحقيقة بين يديك حتى تحترق، ثم تُسقط الطبق. (شخصٌ ما في مكان ما في الغرفة، بمجرد

تفكيري في هذا، قد أسقط طبقًا). أجل، يمكنني أنْ أراه الآن - كونك بشريًا يصيبك بالجنون. نظرت خارجًا عبر نافذة زجاجية مستطيلة وشاهدت أشجارًا ومباني، سيارات وبشرًا. من الواضح، أن هذا الكائن غير قادر على التحكم في الطبق الجديد الذي أهداه أندرو مارتن لهم. احتجت إلى الخروج من هناك وإنجاز واجبي. فكرت بإيزوبل؛ زوجتي. إنها تعرف ما أريد. كان يجب أنْ أغادر معها.

«ما الذي أفعله؟»

مشيت باتجاه النافذة، متوقعًا أنْ تكون كالنوافذ على كوكبي؛ ڤانادوريا، لكنها لم تكن. كانت مصنوعة من زجاج أصله من الصخور، وبدلًا من المشي عبره صدمت أنفي به، ما أضحك باقي المرضى. غادرت الغرفة، وأنا أتوق للهرب من كل الناس، ورائحة البقرة والجزر.

التصـرف كبشـري أمـر صعـب، لكـن إذا كان أنـدرو مارتـن قـد أخبـر النـاس عـن اكتشـافه، فـلا أسـتطيع إذن إضاعـة المزيـد مـن الوقـت فـي هـذا المـكان. نظـرت إلـى يـدي اليسـرى والقـدرات التـي تمتلكهـا، عرفـت مـا علـيّ فعلـه.

بعـد الغـداء، ذهبـت إلـى الممرضـة التـي راقبتنـي فـي أثنـاء حديثي مـع إيزوبـل. أخفضـت صوتـي إلـى التـردد المناسـب. أبطـأت الكلمـات إلـى السـرعة المناسـبة. تنويـم الإنسـان مغناطيسيًا سـهل، مـن بيـن كل الأجنـاس فـي الكـون، يتوقـون للإيمـان. أنـا عاقـل تمامًـا. أريـد رؤيـة الطبيـب المسـؤول عـن السـماح لـي بالخـروج. أحتـاج فعـلًا إلـى العـودة إلـى العمـل، لرؤيـة زوجتـي وابنـي، ومواصلـة عملـي فـي كليـة فيتزويليـام؛ جامعـة كمبـردج. كمـا أنـي لا أحـب الطعـام المقـدم إلـيّ هنـا. أجهـل مـا حصـل هـذا الصبـاح، لا أعـرف حقيقـةً. كان فعـلًا شـائنًا علـى المـلأ، لكـن أؤكـد لـك تأكيـدًا تامًـا أن أيًـا كان مـا عانيتـه فهـو مؤقـت. أنـا عاقـل، الآن، أنـا سـعيد. أشـعر أنـي سـليم معافـى حقيقـةً».

أومـأت، ثم قـالـت: «اتبعنـي».

أراد الطبيـب إخضاعـي إلـى بعـض الفحوصـات الطبيـة. أشـعة للمـخ. كانـوا قلقيـن بشـأن تضـرر محتمـل لقشـرة دماغـي قـد أدت إلـى فقـدان الذاكـرة. أدركـت أن هـذا هـو الأمـر الوحيـد المسـتحيل حدوثـه؛ لا يمكـن النظـر إلـى عقلـي، خاصـة فـي أثنـاء نشـاط قدراتـي.

لذلك، أقنعته أنني لا أعاني فقدانَ الذاكرة. اختلقت الكثير من الذكريات. اختلقت حياة كاملة.

أخبرته بأني تعرضت لضغوط كبيرة في العمل فتفهم ذلك، ثم سألني أسئلة أخرى، ولكن كما هو الحال مع جميع الأسئلة البشرية، كانت الإجابات موجودة فيها دائمًا، كوجود البروتونات داخل الذرة، عليّ فقط تحديد موقع الإجابات، ثم ادعاء كأنها من بنات أفكاري.

انتهى التشخيص بعد نصف ساعة. لم أفقد ذاكرتي. لقد عانيت ببساطة مدةً من جنون مؤقت. لم يوافق الطبيب على مصطلح «انهيار»، إلا أنه قال إني عانيت «انهيارًا عقليًّا» نتيجة شح النوم وضغوط العمل واتباع حمية غذائية، كما قالت إيزوبل له. نظام غذائي يشتمل على كمية كبيرة من القهوة السوداء القوية (مشروب، بالطبع، أعلم علم اليقين أني أكرهه).

ثم حفّز مشاعري بتساؤله عما إذا كنت قد عانيت نوبات هلع، أو مزاجًا سيئًا، أو أزمات عصبية، أو تقلبات سلوكية مفاجئة، أو مشاعر غير واقعية.

«غير واقعية؟» تظاهرت بالتفكير العميق. «أوه نعم، لقد شعرت بذلك بالتأكيد. لكنها انتهت. أشعر أني بخير. أشعر بأني حقيقي جدًا. بأني حقيقي كالشمس».

ابتسم الطّبيب، ثم أخبرني أنه قد قرأ أحد كتبي عن الرياضيات - وهي مذكرات «مضحكة حقًا» على ما يبدو عن الزمن الذي قضاه أندرو مارتن في التّدريس في جامعة برينستون. ذات الكتاب الذي رأيته في المكتبة، الذي عنوانه باي الأمريكي.

كتب لي الطبيب وصفة طبية فيها مزيد من الديازيبام، ونصحني بأخذه «مرة يومًا بعد يوم»، كما لو كانت هناك طريقة أخرى لعيش الأيام، ثم رفع أقدم وسيلة اتصال وأكثرها بدائية شاهدتها في حياتي، وطلب من إيزوبِل المجيء لأخذي إلى المنزل.

تذكر، خلال مهمتك، لا تتأثر ولا تفسد.

الجنس البشري مغرور، ويحكمه العنف والجشع. فرض البشر سيطرتهم على كوكبهم الأم، الكوكب الوحيد الذي يعرفونه، ووضعوه على طريق الدمار. خلقوا عالمًا من الانقسامات والفئات، وفشلوا باستمرار في رؤية أوجه التشابه بينهم. طوروا التكنولوجيا بمعدل سريع لا يستطيع علم النفس البشري مواكبته، ومع هذا، استمر سعيهم إلى التقدم؛ من أجل التقدم ذاته، ومن أجل المال والشهرة اللذين يتوقان إليهما.

لا تسقط في فخ الإنسان. لا تنظر إلى الفرد منهم بمعزل عن علاقته بجرائم جماعته. كل مبتسم منهم يخفي رعبًا، جميعهم قادرون على القيام به، وكلهم مسؤولون عنه، حتى لو بطريقة غير مباشرة.

لا تضعف، ولا تنكص عن أداء مهمتك.

حافظ على نقائك.

حافظ على منطقك.

لا تسمح لأي شخص بالتدخل في الموثوقية الحسابية لما يجب تنفيذه.

(4 كامبيون رو)

كانت غرفة دافئة.

هنـاك نافـذة، لكـن سـتائرها منسـدلة. رقيقـة لدرجـة سـماحها للإشـعاع الكهرومغناطيسـي بالدخـول مـن الشـمس الوحيـدة لديهـم، ويمكننـي رؤيـة كل شـيء بوضـوح تـام. الجـدران مطليـة بلـون السـماء الأزرق، وهنـاك (مصبـاح كهربائـي) سـاطع معلـق مـن السـقف لـه غطـاء أسـطواني مصنـوع مـن الـورق. اسـتلقيت علـى ذات السـرير أكثـر مـن ثـلاث سـاعات، ثـم.. نهضـت.

سـرير البروفسـور أنـدرو مارتـن فـي الطابـق الثانـي مـن منزلـه. منزلـه فـي 4 كامبيـون رو). مسـاحته كبيـرة، مقارنـة بالتّصميمـات الخارجيّـة للمنـازل الأخـرى التـي رأيتهـا. فـي الداخـل، كانـت جميـع الجـدران بيضـاء. فـي الطّابـق السّـفلي، فـي الرّدهـة والمطبـخ، الأرضيّـة مصنوعـة مـن الحجـر الجيـري، المصنـوع مـن الكالسـيت المألـوف لناظـري. المطبـخ، حيـث ذهبـت لشـرب بعـض المـاء، كان دافئًـا بشـكل كبيـر بسـبب شـيء اسـمه فـرن. كان هـذا النـوع المعيـن مـن الفـرن مصنوعًـا مـن الحديـد ويعمـل بالغـاز، مـع قرصيْـن سـاخنيْن باسـتمرار علـى سـطحه العلـوي. مـن طـراز AGA. لونـه كريمـي. أبـواب كثيـرة فـي المطبـخ وأيضًـا هنـا فـي غرفـة النـوم؛ أبـواب الفـرن، وأبـواب خزانـة الأوانـي، وأبـواب خزانـة الثيـاب. عوالـم كاملـة معزولـة خلـف الأبـواب.

فـي غرفـة النـوم، سـجادة لونهـا بيـج مصنوعـة مـن الصـوف؛ أي شـعر حيـوان. كمـا كان هنـاك ملصـق علـى الحائـط بـه صـورة رأسـيْن بشـريـيْن، أحدهمـا ذكـر والآخـر أنثـى، قريبيْـن جـدًّا مـن بعضهمـا. عليهـا عبـارة: عطلـة رومانيـة. قـرأت كلمـات أخـرى أيضًـا، مثـل: غريغـوري بِـكْ [ممثـل أمريكـي]، وأودري هيبـورن [ممثلـة أمريكيـة]، وبراماونـت بكتشـرز [اسـتديو إنتـاج سـينمائي].

كانـت هنـاك صـورة أخـرى. كانـا يقفـان فـي مـكان طقسـه حـار. لـم يرتـدِ أي منهـا ثيابًـا. كانـا بيـن أعمـدة حجريـة عملاقـة متداعيـة تحـت سـماء شـديدة الزرقـة. بنـاء مهـم مـن حضـارة إنسـانية سـابقة. (علـى الأرض، بالمناسـبة، الحضـارة تنتـج مـن اجتمـاع بشـر وقمعهـم لغرائزهـم) خمنـت أنّ الحضـارة التـي فـي الصـورة قـد أهملـت أو دُمـرت. كانـا مبتسـمين، لكـن ابتسـامتيهما مختلفتـان؛ محدودتـان فـي فميهمـا دون عينيْهمـا. بـدوا غيـر مرتاحيْـن، أظـن أن السـبب هـو جلدهمـا الرقيـق. كمـا كانـت هنـاك صـورة أخـرى، التقطـت فـي مـكان داخلـي مـا. بصحبتهمـا طفـل. ذكـر. شـعره داكـن مثـل والدتـه، ربمـا أكثـر قتامـة، مـع بشـرة أكثـر شـحوبًا. كان يرتـدي قطعـة ملابـس كتـب عليهـا: رعـاة البقـر.

إيزوبِـل معـي فـي الغرفـة معظـم الوقـت. إنهـا نائمـة إلـى جنبـي. التعاطـف معهـا بـأي شـكل لـن يخـدم مهمتـي. لـم يُحبـذ بإجمـاع القـادة. اختلافهـا الشـديد عنـي قـد أزعجنـي. كانـت غريبـة، لكـن الكـون كان مسـتبعدًا قبـل نشـأته، وقـد تكـون دون نـزاع تقريبًـا.

تشجعت ونظرت إلى عينيْها لسؤال واحد.

«متى رأيتني آخر مرة؟ أعني قبل الحادثة. البارحة؟»

«عند الإفطار، ثم ذهبت إلى عملك. عدت إلى المنزل عند الحادية عشرة، وفي السرير بعد نصف الليل بنصف ساعة».

«هل قلت أي أمرٍ آخر؟ هل أخبرتك بأي شيء؟»

«قلت اسمي، لكني تظاهرت بالنوم. هذا كل ما حدث. حتى استيقظت، ووجدتك قد غادرت».

ابتسمت. ارتحت، أعتقد، لكني لم أعرف السبب آنذاك».

شاهدت «التلفاز» الذي أحضرته لي. عانت في حمله. كان ثقيلًا بالنسبة إليها. أعتقد أنها توقعت مني مساعدتها. التفرج على شكل من أشكال الحياة البيولوجية تبذل هذا الجهد بدا خاطئًا. كنت في حيرة من أمري وتساءلت عن سبب فعلها هذا من أجلي. حاولت، بدافع الفضول الحركي المطلق، تخفيف الحمل عنها بعقلي.

قالت: «كان ذلك أسهل مما كنت أتوقع».

قلت لها وهي تنظر إلي: «أوه، التوقع أمرٌ مضحك».

«ما زلت تحب مشاهدة الأخبار، أليس كذلك؟»

مشاهدة الأخبار. كانت تلك فكرة جيدة جدًّا. قد أجد الفائدة فيها.

أجبتها: «نعم، أحب مشاهدة الأخبار».

شاهدت الأخبار، وراقبتني إيزوبِل، انزعج كلانا مما شاهدناه. كانت الأخبار مليئة بالوجوه البشرية، ولكنها أصغر حجمًا بشكل عام، وعلى مسافة بعيدة على أغلب.

خلال أول ساعة من المشاهدة، اكتشفت ثلاثة تفاصيل مثيرة للاهتمام:

1. مصطلح «الأخبار» على الأرض يعني عمومًا: «الأخبار التي تؤثر في البشر بشكل مباشر». لم يكن هناك -بالمعنى

الحرفي للكلمة- أي شيء عن الظباء أو حصان البحر أو السلحفاة ذات الأذن الحمراء أو الكائنات التسعة الملايين الأخرى على هذا الكوكب.

2. احتلت الأخبار أولوية بطريقة لا أستطيع فهمها. على سبيل المثال، لم يكن هناك شيء عن الملاحظات الرياضية الجديدة أو المضلعات غير المكتشفة، ولكن الكثير جدًّا عن السياسة التي أساسها على هذا الكوكب قائم على الحرب والمال. في الواقع، بدا أن الحرب والمال يحظيان بشعبية كبيرة في الأخبار التي يجب وصفها بدقة أكبر باسم: استعراض المال والحرب. ما قالوه لي صحيح. يطغى العنف والجشع على هذا الكوكب. انفجرت قنبلة في بلد اسمه أفغانستان. في أماكن أخرى، قلق الناس بشأن القدرة النووية لكوريا الشمالية. ما يسمى بأسواق الأسهم آخذ في الانخفاض. أثار هذا قلق الكثير من البشر، الذين كانوا يحدقون في الشاشات المليئة بالأرقام، ويدرسونها كما لو كانوا يعرضون الرياضيات الوحيدة المُهمة. أوه، وانتظرت أي شيء عن فرضية ريمان ولكن لم يعُرض شيء عنها؛ إما لأن لا أحد يعرفها وإما لأن لا أحد يكترث بها. كلا الاحتمالين مريح لي من الناحية النظرية، ومع ذلك لم أشعر بالراحة.

3. اكترث البشر أكثر بالأشياء إذا حدثت بالقرب منهم. كوريا الجنوبية قلقة بشأن كوريا الشمالية. الناس في لندن قلقون بشأن تكلفة المنازل في لندن. يبدو أن الناس لا يمانعون في أن يكون شخص ما عاريًا في غابة مطيرة طالما لم يكن

بالقرب من حديقتهم. ولم يهتموا على الإطلاق بما كان يحدث خارج نظامهم الشمسي، والقليل جدًّا مما كان يحدث بداخله، باستثناء ما كان يحدث هنا على الأرض. (من المسلم به أنه لم يحدث الكثير في نظامهم الشمسي، والذي ربما يكون قد قطع شوطًا ما لشرح مصدر الغطرسة البشرية. انعدام المنافسة). على الأغلب، أراد البشر فقط معرفة ما يحدث داخل بلده، وكلما كان ذلك محليًّا كان ذلك أفضل. بالنظر إلى هذا الرأي، فإن البرنامج الإخباري البشري المثالي لن يهتم إلا بما يحدث داخل المنزل حيث يعيش الإنسان الذي يشاهده بالفعل. يمكن بعد ذلك تقسيم التغطية وتحديد أولوياتها على أساس الغرف المحددة داخل ذلك المنزل، حيث تدور القصة الرئيسة دائمًا حول الغرفة التي فيها التلفاز، وعادة ما تتعلق بأهم حقيقة كان يراقبها إنسان. ولكن حتى يتبع الإنسان منطق الأخبار إلى هذا الاستنتاج الحتمي، كان أفضل ما لديهم هو الأخبار المحلية. لذلك، في كمبردج، أهم شيء في الأخبار هو قصة الإنسان المسمى البروفسور أندرو مارتن الذي عُثر عليه عاريًا في نطاق أراضي كلية كوربوس كريستي؛ جامعة كمبردج خلال الساعات الأولى من ذلك الصباح. الإعادة المتكررة لهذه التفصيل الأخير كانت سبب رنين الهاتف بشكل مستمر تقريبًا منذ وصولي إلى المنزل، وسبب حديث زوجتي عن رسائل البريد الإلكتروني الواردة إلى الكمبيوتر طوال الوقت.

جلست على السرير، مسّدت يدي أكثر. استنفرت بشرتي. تمنى جزءٌ مني أنْ أتمكن من القضاء عليها، في ذلك المكان. لكن هناك تسلسل، وعليّ اتباعه.

«الجميع قلقون جدًّا عليك».

سألت: «من؟».

«حسنًا، ابنك، في البداية. أصبح غليڤر أسوأ منذ ذلك الحين. «لدينا طفل واحد فقط؟»

أطبقت جفنيْها ببطء، وفي وجهها هدوء إجباري. قالت لي: «تعرف هذا. لا أفهم حقًّا كيف غادرت دون فحص الدماغ».

«قرروا أني لست بحاجة إلى فحص. قرار سهل جدًّا».

حاولت أكل القليل من الطعام الذي وضعته بجانب السرير. شيء يسمى شطيرة الجبن. طعام آخر على البشر أن يشكروا الأبقار عليه. كان سيئًا، لكنه صالح للأكل.

سألتها: «لماذا تفعلين هذا؟».

قالت: «أنا أعتني بك».

لحظة ارتباك. حسابها بطيء، لكني أدركت بعدها أننا معتادون على خدمة التكنولوجيا لنا، في حين يحتاج البشر إلى بعضهم.

«لكن ما بداخلها لك؟»

ضحكت. «سؤال ثابت لم يتغير طوال زواجنا».

سألتها: «لماذا؟ هل كان زواجنا سيئًا؟»

تنفسَت نفسًا عميقًا، كما لو كان بإمكانها الغوص تحت السؤال. «أنّهِ طعامك يا أندرو».

مكتبة
t.me/soramnqraa

أكلت شطيرتي، ثم فكرت في شيء آخر.

«هل هذا طبيعي؟ الحصول على واحد فقط. طفل، أعني».

«الأمر يتعلق بالشيء الوحيد، الآن».

خدشت يدها قليلًا. فقط قليلًا، لكن ذلك الفعل جعلني أفكر في تلك المرأة، زُوي، في مستشفى الأمراض العقلية، ذات الندبات على ذراعيْها، وأحبائها العنيفين، ورأسها المليء بالفلسفة.

عم المكان صمت طويل. اعتدت الصمت، إذ عشت وحيدًا معظم حياتي، لكن بطريقة ما كان هذا الصمت مختلفًا. كان من النوع الذي تحتاج إلى كسره.

قلت لها: «شكرًا لك. على الشطيرة. لقد أحببتها. الخبز، على أي حال».

لم أعرف بصدق لماذا قلت هذا، فأنا لم أحب الشطيرة. ومع ذلك، كانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشكر فيها أي شخص على أي شيء.

ابتسمت. «لا تعتد ذلك، أيها الإمبراطور».

ثم ربتت يدها على صدري، ولم تحركها. لاحظت تغيرًا في حاجبيْها، وظهور ثنية إضافية في جبهتها.

قالت: «غريب».

«ما الغريب؟»

«قلبك. غير منتظم. كأنه ينبض بصعوبة»

أبعدت يدها. حدقت في زوجها لحظة كما لو كان غريبًا عنها، وهو بالطبع كذلك. أنا الغريب حقيقة. غريب أكثر مما تعرف. بدت قلقة أيضًا، فاستاء جزء مني، عرفت أن الخوف -من بين كل المشاعر- هو ما تشعر به في تلك اللحظة.

قالت لي: «يجب أنْ أذهب إلى السوق المركزي. لا طعام في المنزل».

«حسنًا» قلت لها، وأنا أسأل نفسي إنْ كان عليّ السماح لها بالذهاب. اعتقدت أن عليّ ذلك. هناك تسلسل خاص يجب اتباعه وكانت بداية هذا التسلسل في كلية فيتزويليام، في مكتب البروفسور أندرو مارتن. إذا غادرت إيزوبِل المنزل، فيمكنني حينها مغادرة المنزل أيضًا، دون إثارة الشبهات.

قالت لي: «لكن تذكر، عليك البقاء في السرير. حسنًا؟ البقاء في السرير ومشاهدة التلفزيون لا غير».

أجبتها: «حاضر. هذا ما سأفعله. سأبقى في السرير وسأشاهد التلفاز».

أومأت برأسها، لكن جبهتها ظلت مجعدة. غادرت الغرفة، ثم غادرت المنزل. قمت من السرير وضربت إصبع قدمي في إطار الباب. تألمت. الألم ليس غريبًا، على ما أعتقد. الشيء الغريب هو استمرار الألم. لم يكن شديدًا. تأثرت إصبع واحدة فقط، لكنه لم يسكن حتى خرجت من الغرفة، ثم تلاشى واختفى بسرعة مريبة. تحيرت كثيرًا، فعدت إلى غرفة النوم. زاد الألم كلما اقتربت من التّلفاز، حيث كانت امرأة تتحدّث عن الطّقس، وتتنبأ به. أطفأته، واختفى الألم في إصبع القدم على الفور.

غريب. لا بد أن إشاراته قد تداخلت مع قدراتي؛ التكنولوجيا التي أملكها داخل يدي اليسرى.

غادرت الغرفة، معاهدًا نفسي ألا أقترب منه في أوقات الأزمات.

نزلت إلى الطّابق السّفلي. هناك غرف كثيرة هنا. في المطبخ، هناك مخلوق ينام في سلة. له أربع أرجل، وجسده مغطى بشعر بني وأبيض. كان كلبًا. بقي مستلقيًا هناك وعيناه مغمضتان، لكنه غرغر عندما دخلت الغرفة.

كنت أبحث عن حاسوب، ولكن لم يكن هناك أي حاسب آلي في المطبخ. توجهت إلى غرفة أخرى؛ غرفة مربعة الشكل في الجزء الخلفي من المنزل سرعان ما علمت أنها «غرفة الجلوس». معظم الغرف البشرية عبارة عن غرف جلوس إذا أردتم الحقيقة. يوجد حاسوب ومذياع. شغّلت المذياع أولًا. سمعت رجلًا يتكلم عن أفلام رجل آخر يدعى (فيرنر هيرزوغ). لكمت الحائط وآلمتني يدي، لكن عندما أغلقت المذياع توقف الألم. إذن، لا يتعلق الألم بأجهزة التلفاز. كان الحاسوب بدائيًا. عليه عبارة «MacBook Pro»، ولوحة مفاتيح مليئة بالأحرف والأرقام، والكثير من الأسهم التي تشير إلى كل اتجاه ممكن. بدا كأنه استعارة تشير إلى البشر.

بعد دقيقة تقريبًا، شغلته، وبحثت في رسائل البريد الإلكتروني والوثائق، ولم أجد شيئًا عن «فرضية ريمان». ولجت إلى الإنترنت؛ المصدر الرئيس للمعلومات على الأرض. لم أعثر على أخبار عما أثبته البروفسور أندرو مارتن، على الرغم من سهولة الوصول إلى تفاصيل كيفية الوصول إلى كلية فيتزويليام.

حفظتها، أخذت مجموعة مفاتيح وجدتها في الردهة ثم غادرت المنزل.

بدء التسلسل

«سيقايض معظم علماء الرياضيات أرواحهم للشيطان من أجل إثبات نظرية ريمان»

- ماركوس دو ساوتوي.

أخبرتني المرأة التي في التلفاز أن الطقس لن يكون ماطرًا، ولهذا ركبت دراجة البروفيسور أندرو مارتن إلى كلية فيتزويليام. كان الوقت مساء. إيزوبِل في السوق المركزي بالفعل، وهذا يعني أن لدي وقتًا قصيرًا.

كان يوم الأحد. يبدو أن معنى هذا هو أن الكلية ستكون هادئة، لكني كنت أعرف أن عليّ توخي الحذر. عرفت إلى أين يجب أنْ أتوجه، وعلى الرغم من أن ركوب الدراجة كان أمرًا سهلاً نسبيًا، إلا أني كنت لا أزال مرتبكًا بعض الشيء بسبب قوانين الطريق. نجوت بمشقة من الحوادث عدة مرات.

في النهاية، وصلت إلى شارع طويل هادئ تصطف على جانبيه الأشجار اسمه (ستوريز وي)، والكلية ذاتها. أسندت دراجتي إلى الحائط وسرت نحو المدخل الرئيس؛ أكبر المباني الثلاثة. كان هذا مثالاً واسعًا وحديثًا نسبيًا على عمارة الأرض، بارتفاع ثلاثة طوابق. في أثناء دخولي إلى المبنى مررت بامرأة كانت تمسك دلوًا وممسحة لتنظيف الأرضية الخشبية.

«مرحبًا» قالت لي، كأنها تعرفني معرفة لم تُسعدها.

ابتسمت. (اكتشفت في المستشفى أنّ التّبسم هو الرّد الأول المناسب على تحيّة الآخرين. اللعاب مرفوض). «مرحبًا. أنا أستاذ هنا. البروفسور أندرو مارتن. أعلم أن هذا يبدو غريبًا جدًّا لكنني تعرضت لحادث بسيط، لكنه سبب لي فقدان ذاكرة مؤقت. على أي حال، أنا في إجازة لمدة قصيرة، لكني أحتاج فعلًا إلى شيء ما من المكتب. مكتبي. شيء ذو قيمة شخصية. أتعرفين أي هو؟

تأملتني بضع لحظات، ثم قالت: «أتمنى أن الحادث لم يكن خطِرًا»، لم يبد لي أن هذه أصدق أمنياتها.

«لا. لا، لم يكن خطِرًا. وقعت من دراجتي. على أي حال، أنا آسف، لكن وقتي محدود».

«في الطابق العلوي، في الردهة. الباب الثاني عن يسارك».

«شكرًا لكِ»

مررت بامرأة على السلالم. شعرها رمادي اللون، سمينة بمعايير البشر، ارتدت نظارة حول عنقها.

قالت: «أندرو! يا إلهي. كيف حالك؟ وماذا تفعل هنا؟ سمعت أنك لست بخير».

درست وجهها عن قرب، وسألت نفسي كم من الأمور تعرف.

«أجل لدي صعرورة صغيرة في رأسي، لكني بخير الآن. صدقًا. لا تقلقي. أخرجوني من المستشفى، ويجب أنْ أكون بخير. سليمًا كالمطر».

«أوه» قالت المرأة دون اقتناع. «فهمت، فهمت، فهمت».

ثم سألتها سؤالًا مهمًّا بجزءٍ يتعذر تفسيره: «متى شاهدتني آخر مرة؟

«لم أشاهدك طوال الأسبوع. قبل أسبوع يوم الخميس».

«ولم نتواصل منذ ذلك الحين؟ مكالمة هاتفية؟ رسائل إلكترونية؟ أي وسيلة تواصل أخرى؟»

«لا، لا، لمَ عسانا نتواصل؟ شغلت ذهني»

«أوه، لا شيء. بسبب صدم رأسي تشوش تفكيري.

«عزيزي، هذه مريع. هل أنت متأكد من وجودك هنا؟ ألا يجب أنْ تكون في المنزل على سريرك؟»

«أجل، ربما عليّ فعل هذا. سأنتهي من أمر ما، ثم أعود».

«جيد. أتمنى أنْ تتحسن عما قريب».

«أوه. شكرًا لكِ».

«مع السلامة».

واصلت نزولها إلى أسفل، دون أنْ تدرك أنها قد أنقذت حياتها للتو».

بيدي مفتاح، فاستخدمته. لا فائدة من القيام بأي فعل يثير الشبهات فقد يراني أي شخص.

دخلت مكتبه/مكتبي. أجهل ما كان عليّ توقعه. كانت تلك المشكلة، الآن: التوقع. لا توجد نقطة مرجعيّة؛ كل شيء جديد؛ النّموذج الأولي الأقرب لسير الأمور سابقًا هنا على الأقل.

إذن: مكتب.

كرسي ثابت خلف مكتب ثابت. نافذة مسدلة. الكتب تملأ ما يقرب من ثلاثة جدران. كان هناك نبات وعاء بني الأوراق على حافة النافذة، أصغر وأعطش من ذلك الذي رأيته في المستشفى. على المكتب كانت هناك صور في إطارات وسط فوضى من

الأوراق والقرطاسـيـة التـي لا يمكـن فهمهـا، وكان الكمبيوتـر فـي منتصفهـا. السّـتارة المتحركـة مسـدلة. الكتـب تمـلأ ثلاثـة جـدران تقريبًـا. كان هنـاك أصيـص نبـات علـى حافـة النافـذة، أصغـر مـن الـذي شـاهدته فـي المستشـفى. علـى المكتـب صـور فـي إطـارات وسـط أكـوام مـن الـورق وأدوات مكتبيـة غامضـة، ووسـط هـذا كلـه كان هنـاك حاسـب آلـي.

لا أملـك وقتًـا طويـلًا، فجلسـت وشـغلته. هـذا الجهـاز متطـور بجزء بسـيط عـن الـذي فـي المنـزل. حواسـيب الأرض لا تـزال فـي مرحلـة تسـبق المشـاعر المرهفـة مـن تطورهـم، كل مـا عليـك هـو الجلـوس إليهـا وستسـمح لـك بأخـذ مـا تريـد منهـا دون أي يتذمـر.

وجدت غايتي بسـرعة. ملف اسمه «زيتا».

فتحتـه وشـاهدت سـتًا وعشـرين صفحـة مـن الرمـوز الحسـابية، أو احتـوى معظمهـا علـى الرمـوز. فـي بدايتـه مقدمـة كُتبـت بكلمـات:

إثبات نظريات ريمان

كمـا سـتعرف أن نظريـات ريمـان هـي أهـم عملية حسـابيّة لم تحل، وحلهـا يعنـي إحـداث ثـورة فـي تطبيقـات التّحليـل الحسـابي بطرائـق لا تحصـى مـن شـأنها أنْ تُغيـر حياتنـا وحيـوات الأجيـال القادمـة. فـي الواقـع، الرياضيـات هـي حجـر الأسـاس للحضـارة، شـوهد أثرهـا فـي البدايـة فـي بعـض الإنجـازات المعماريـة كالأهرامـات المصريـة، والملاحظـات الفلكيـة اللازمـة للعمـارة. وقـد تطـور فهمنـا للرياضيات منـذ ذلـك الحيـن، غيـر أن ذلـك التقـدم لـم يكـن بمعـدل ثابـت.

كالتطور ذاته، كانت هناك تطورات سريعة ونكسات معوقة. لو أن مكتبة الإسكندرية لم تحرق عن بكرة أبيها، فلعلنا كنا سنبني تقدمنا على إنجازات اليونانيين القدماء بتأثير أكبر وأبكر، وبالتالي كان من الممكن إرسال أول رجل إلى القمر في زمن كاردانو أو نيوتن أو باسكال. ولا يسعنا إلا أن نتساءل أين كنا سنكون. كنا سنُرمم ونستعمر الكواكب بحلول القرن الحادي والعشرين. أي تقدم طبي كنّا سنحققه. ربما لو لم تكن هناك عصور مظلمة، ولا إطفاء للضوء، لوجدنا طريقة لعدم التقدم في السن أبدًا، وعدم الموت أبدًا.

يتندر الناس -في مجالنا- عن فيثاغورس وممارسته الدينية القائمة على الهندسة المثالية والأشكال الرياضية التجريدية الأخرى، ولكن لو كنا سنعتق دينًا، فإن دين الرياضيات يبدو مثاليًا، لأنه إذا كان الرب موجودًا فما عساه أن يكون إلا عالم رياضيات؟

وبهذا يمكننا أنْ نقول إننا قد اقتربنا قليلًا من مرتبة الربوبية. في الواقع، من المحتمل أن تكون لدينا فرصة لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء وإعادة بناء تلك المكتبة القديمة حتى لا نبدأ من الصفر وننطلق من أفكار العباقرة الذين سبقونا(1).

1-فكرة مرجعها مقولة تُنسب إلى نيوتن: «If I have seen further, it is by standing on the shoulders of giants». [المترجمة].

استكملت قراءة المستند بهذه الطريقة المتحمسة وقتًا أطول. تعلمت المزيد عن ريمان، وهو طفل ألماني خجول جدًا من القرن التاسع عشر، وكان قد أظهر مهارة استثنائية في التعامل مع الأرقام منذ سن مبكرة، قبل أن يخضع للعمل في مجال الرياضيات ومعاناته من سلسلة انهيارات عصبية ابتُلي بها في مرحلة الرشد. اكتشفت لاحقًا أن هذه كانت إحدى المشكلات الرئيسة التي واجهها البشر في فهم الأرقام؛ فأجهزتهم العصبية ببساطة ليست بمستواها.

الأرقام الأولية، دفعت الناس إلى الجنون حرفيًّا، لا سيما أن الكثير من المسائل بقيت دون حل. كانوا يعلمون أن الرقم الأولي هو رقم صحيح لا يقبل تقسيمه إلا على واحد أو على نفسه، لكنهم واجهوا فيما بعد كل أنواع المشكلات.

على سبيل المثال، عرف البشر أن مجموع كل الأرقام الأولية يكافئ مجموع كل الأرقام، فكلاهما لا نهائي. هذه الحقيقة -بالنسبة إلى الإنسان- محيرة جدًّا، إذ تدل على وجود أرقام أكثر من الأرقام الأولية. لذلك كان من المستحيل التعامل معها. من النّاس من وضعوا مسدسًا في أفواههم، وضغطوا على الزّناد، وفجروا أدمغتهم لكيلا يفكروا فيها.

أدرك البشر أيضًا أن الأعداد الأوليّة تشبه هواء الأرض إلى حد كبير. كلما ارتفعت، قل عددها. على سبيل المثال، يوجد 25

عددًا أوليًا أقل من 100، لكن يوجد فقط 21 بين 100 و200، و16 فقط بين 1000 و1100. إلا أنه -على عكس هواء الأرض لا يهم ارتفاعك مع الأرقام الأولية- يظل هناك المزيد منها دائمًا. على سبيل المثال، 2097593 هو عدد أولي، وهناك الملايين بيْنه، لنقل:

4314398832739895727932419750374600193، هذا يعني أن بيئة الأعداد الأولية تملأ الكون الرقمي.

ومع ذلك، كافح الناس لشرح النّمط العشوائي الظاهر للأعداد الأولية. قلت، لكن بطريقة يعجز البشر عن فهمها. هذا أحبط البشر كثيرًا. كانوا يعلمون أنه إذا تمكنوا من حل هذا، فسيتمكنون من التقدم في شتّى المجالات، لأن الأعداد الأوليّة قلب الرياضيات، والرياضيات قلب المعرفة.

لكن البشر فهموا أشياء أخرى؛ الذرات، على سبيل المثال. كانت لديهم آلة اسمها مقياس الطيف سمحت لهم برؤية الذرات المُكونة للجزيء. لكنهم لم يفهموا الأعداد الأولية بالطريقة التي فهموا بها الذرات، استشعروا أنهم سيفهمونها فقط إذا عرفوا سبب انتشار الأعداد الأولية كما هي عليه.

وفي عام 1859، في أكاديمية برلين، أعلن ريمان الذي ازداد مرضه شدة عما سيصبح الفرضية الأكثر دراسة لها واحتفاءً بها في مجال الرياضيات برمّته. نصت على وجود نمط، أو على الأقل كان هناك نمط واحد لأول مئة ألف عدد أولي. كانت نظرية جميلة وبَرّاقة، وتضمنت على شيء اسمه «دالة زيتا»؛ أشبه بآلة عقلية في حد ذاتها؛ منحنى شكله معقد أفاد البشر في تقصي

خصائص الأعداد الأولية. ضع الأرقام فيه، وستكوّن ترتيبًا لم يلحظه أي شخص من قبل. نمط. توزيع الأعداد الأولية ليس خبط عشواء. كانت هناك شهقات –أزمة ذعر متوسطة– حين أعلن ريمان عن نظريته لزملائه المتأنقين الملتحين. آمنوا صدقًا بأن نهاية العالم أمام أعينهم، وأن البرهان الذي يحل كل الأرقام الأولية سيُكتشف في حياتهم. غير أن ريمان قد حدد مكان القفل فقط، ولم يعثر على المفتاح الحقيقي، وما لبث أنْ فارق الحياة بعد زمن يسير بداء السّل.

ومع مرور الوقت، زاد إحباط الرحلة. مسائل حسابية أخرى قد حُلت بعد برهة وجيزة، مثل نظريّة فيرمات الأخيرة وحدسيّة بوانكريه التي أثبتت نظريّة الألماني المدفون منذ مدة طويلة باعتبارها آخر وأعظم مشكلة حُلت. النّظرية التي ستصبح مكافئة لرؤية الذّرات في الجزيئات، أو التعرف على العناصر الكيميائيّة للجدول الدوري. النّظرية التي ستمنح البشر حواسيب فائقة القدرات، وشروحات للفيزياء الكميّة والتّنقل بين الكواكب.

بعد فهم كل ما سبق، بحثت في جميع الصّفحات المليئة بالأرقام، والرّسوم البيانية، والرموز الرياضية. لغة أخرى عليّ تعلمها، لكنها كانت أسهل وأكثر صدقًا من تلك التي تعلمتها بمساعدة مجلة كوزموبوليتان.

وفي نهاية الأمر، بعد لحظات معدودات من الفزع، تحسّن حالي. بعد علامة ∞ الأخيرة والقاطعة، لم يساورني شك في إثبات البروفسور للنظرية، وأن المفتاح قد فتح هذا القفل المهم جدًا.

قلت لنفسي: «لعلي تمكنت من إنقاذ الكون للتو». لكن دون أدنى شك، الأمور ليست بهذه البساطة بتاتًا، ولا حتى على الأرض.

$$\xi(1/2+it)=[e^{R\log(r(s/2))}\pi^{-1/4}(-t^2-1/4)/2]\,x\,[e^{iJ\log(r(s/2))}\pi^{-it/2}\zeta(1/2+it)]$$

طالعت رسائل أندرو مارتن الإلكترونية، آخر رسالة في مجلد الرسائل المُرسلة خصوصًا. عنوانها: بعد 153 عامًا، وإلى جانبها علامة تعجب حمراء صغيرة. محتوى الرسالة بسيط: «لقد أثبت نظرية ريمان، أليس كذلك؟ أنت أول من أبلغه. من فضلك يا دانيال، ألق نظرة على هذا. أوه، لا حاجة إلى أن أقول لك، هذا لعينيْك في هذه اللحظة. حتى ينتشر الأمر. ما رأيك؟ سيتغير البشر تمامًا؟ أعظم خبر منذ 1905؟ انظر المُرفقات».

كان المرفق هو الوثيقة التي حذفتها في مكان آخر، تلك التي قرأتها للتو، لذلك لم أضيع الكثير من الوقت، ونظرت إلى خانة المُرسل إليه: daniel.russell@cambridge.ac.uk.

سرعان ما اكتشفت أن دانيال راسل أستاذ رياضيات في جامعة كمبردج. كان يبلغ من العمر ثلاثة وستين عامًا. ألّف أربعة عشر كتابًا، تصدّر معظمها قائمة الأعلى مبيعًا على مستوى العالم. أخبرني الإنترنت أنه قد درّس في كل جامعة ناطقة باللغة الإنجليزية وأنّه ذائع الصيت - كمبردج (حيث يعمل الآن) وأكسفورد وهارفارد وبرينستون وييل وغيرها – كما حصل على جوائز وألقاب عديدة.

شارك أندرو مارتن في كتابة عدد كبير من الأوراق الأكاديمية، ولكن يمكنني أنْ أقول إن علاقتهما علاقة زمالة أكثر من كونها علاقة صداقة.

نظـرت إلـى الوقـت. فـي غضـون عشـرين دقيقـة، سـتعود «زوجتـي» إلـى المنـزل وستتسـاءل عـن مكانـي. تقليـل الشـكوك أفضـل فـي هـذه المرحلـة. هنـاك تسلسـل لتنفيـذ الأمـور. يجـدر بـي تتبـع التسلسـل بحذافيـره.

وأول جـزء مـن التسلسـل يجـب تنفيـذه الآن، ولهـذا حذفـت البريـد الإلكترونـي والمرفـق. بعـد ذلـك، ولمزيـد مـن الوقايـة، صممـت فيروسًـا علـى عجـل -نعـم، بمسـاعدة الأعـداد الأوليـة- لأضمـن عـدم اسـتعادة أي ملـف علـى هـذا الحاسـوب.

راجعـت الأوراق علـى المكتـب قبـل مغادرتـي. لا يوجـد مـا يثيـر القلـق؛ رسـائل غيـر مهمـة، جـداول زمنيـة، أوراق فارغـة، وورقـة كُتـب عليهـا رقـم هاتـف: 07865542187. دسسـتها فـي جيبـي، ثـم لاحظـت صـورة فوتوغرافيـة علـى المكتـب. إيزوبِل وأنـدرو والصبـي الـذي افترضـت أنـه غليڤـر. شـعره داكـن اللـون، والوحيـد الـذي لـم يبتسـم بيـن الثلاثـة. عينـاه كانتـا جاحظتيْـن، تختلسـان النظـر بيـن خصـلات شـعره. ملامحـه قبيحـة كباقـي أبنـاء جنسـه، أفضـل مـن معظمهـم. علـى الأقـل لـم يكـن سـعيدًا بشـكله، وهـذا يلفـت الانتبـاه.

مرت دقيقة أخرى. حان وقت المغادرة.

تقدمك يسعدنا. لكن يجب أنْ يبدأ العمل الحقيقي الآن.

حاضر.

محو الوثائق من الحواسيب ليس كمحو الحيوات. حتى لو كانت حيوات البشر.

أفهم هذا.

العدد الأولي قوي. لا يعتمد على الآخرين. إنه نقي وكامل ولا يضعف. يجب أنْ تكون مثله. لا تضعف، واعزل نفسك، ويجب ألا تتغير بعد مخالطة البشر. يجب أن تكون صحيحًا غير قابل للقسمة.

حاضر، سأفعل.

جيد. الآن، تابع مهمتك.

لـم تعـد إيزوبِل إلـى المنـزل عنـد عودتـي، فبحـث أكثـر. لـم تكـن عالمـة رياضيـات، بـل متخصصـة بالتاريـخ.

علـى الأرض، كان هـذا تمييـزًا ضروريًـا، فالتاريـخ لـم يعـد فرعًـا مـن الرياضيـات علـى الأرض، وهـو كذلـك بـلا شـك. كمـا اكتشـفت أيضًـا أن إيزوبِل، مثل زوجهـا، تعتبـر فـي غايـة الـذكاء بمقاييس بنـي جنسها. عرفت هـذا لأن أحـد كتبهـا الـذي كان علـى الـرف فـي غرفـة النـوم كان العصـور المظلمـة، ذات الكتـاب رأيتـه عبـر نـافـذة المكتبـة، عليـه اقتبـاس مـن مطبوعـة اسـمها نيويـورك تايمـز قالـت إنـه «ذكـي جدًّا». يقـع الكتـاب فـي 1253 صفحـة.

فُتـح بـاب فـي الطابـق السـفلي. سـمعت صـوت مفاتيـح معدنيـة ناعمـة توضـع علـى خزانـة خشـبية. صعـدت لترانـي. ذاك أول مـا فعلتـه.

سـألتني: «كيـف حالك؟»

«كنت أطالع كتابك الذي عن العصور المظلمة»

ضحكت.

«ما الذي يضحكك؟»

«إما أن أضحك وإما أبكي»

قلت لها: «اسمعي. أتعرفين أين يسكن دانييل رسل؟»

«طبعًا أعرف. ذهبنا إلى منزله لتناول العشاء»

«أين يقيم؟»

«في بابراهام. بيته ضخم. أحقًا لا تتذكره؟ كأنك لا تتذكر زيارة قصر نيرو»

«نعم. أتذكر، أتذكر. كل ما هنالك أن هناك بعض الأمور المشوشة في ذهني. أعتقد أنها بسبب حبوب الدواء. ولهذا سألت. هذا كل ما في الأمر. وهل أنا على وفاق معه؟»

«لا. أنت تكرهه. لا تطيقه. رغم أنك عدائي مع أكاديميين آخرين هذه الأيام، آري مُستثنى»

« آري؟»

«أوه. آري. آري بالطبع. آري. سمعي ثقيل. لم أسمعك جيدًا»

قالت بصوت أعلى قليلًا: «لكن مع دانييل، لو تجرأت أنْ أقول، الكراهية تعبير عن عقد نقص فيك. لكنك متوائم معه ظاهريًا. حتى إنك قد طلبت مشورته بضع مرات، فيما يخص أرقامك الأولية».

«صحيح. أرقامي الأولية. أجل، إلى أين وصلت فيها؟ أي كنت متى تحدثت آخر مرة معك؟» شعرت بحاجة إلى طرح السؤال صراحة. «هل أثبت نظرية ريمان؟»

«لا. لم تفعل. لا حسب علمي على الأقل. لكن تأكد، لأنك لو كنت فعلت فسنصبح أغنى بمليون باوند».

«ماذا؟»

«دولار، أليس كذلك؟»

«أنا...»

«جائزة الألفية، أو أيًا كان اسمها. حل نظرية ريمان أكبر قيمة لجائزة مسألة لم تُحل. هناك معهد في ماساشوتس؛ كمبردج

الأخرى، معهد كلاي.. تعرف قصدي يا أندرو. تُتمتم بهذه الأمور في نومك».

«طبعًا. أحتاج إلى تذكير قدر الإمكان. هذا كل ما في الأمر»

«إنها مؤسسة ثرية. يملكون مالًا كثيرًا قطعًا، لأنهم منحوا عشرة ملايين دولار أخرى لعلماء رياضيات آخرين. بغض النظر عن الرجل الأخير»

«الرجل الأخير؟»

«الروسي. غريغوري فُلان. ذاك الذي رفض جائزة لحله نظرية ما شيء ما»[1]

«لكن مليون دولار مبلغ كبير أليس كذلك؟»

«نعم. مبلغ رائع»

«إذن لماذا رفضه؟»

«كيف لي أنّ أعرف؟ لا أعلم. أنت من أخبرتني أنه منعزل يعيش مع أمه. يوجد أشخاص في هذا العالم دوافعهم ليست مادية في هذا العالم يا أندرو»

هذا (خبر أصيل) بالنسبة إليّ. «هل هم موجودون؟»

«أجل. موجودون. لأنك تعلم، هناك نظرية مبتكرة، وهناك نظرية جدلية بأن المال لا يمكن أن يبتاع السعادة لك.

1-غريغوري ياكوفلِفتش بيرلمان: ولد عام 1966 في روسيا. رفض جائزة في عام 1996، ثم رفض (وسام فيلدز) الذي قُدم له في 2006 لإيجاده حل معضلة حدسية بوانكريه وحدسية أخرى أعم اسمها Geometrization Conjecture، لكنه رفض الجائزة قائلًا: «لا يهمني المال أو الشهرة. لا أريد أنْ أُعرض كحيوان في حديقة الحيوانات». وفي عام 2010 فاز بمليون دولار قيمة (جائزة القرن الحادي والعشرين) التي رفضها بدافع أخلاقي: يجب أنْ يتقاسم الجائزة مع عالم آخر اسمه ريتشارد هاميلتون، لأن بيرلمان قد حل مسألة بوانكريه بناء على الأبحاث التي أجراها هاميلتون. (المترجمة)

قلت لها: «أوه»

ضحكت مرة أخرى. كانت تحاول الاستظراف، أعتقد، فضحكت أيضًا.

«إذن لم يحل أي شخص نظرية ريمان؟»

«ماذا؟ منذ البارحة؟»

«منذ الأبد؟»

«لا. لم يحلها أي شخص. كان هناك خبر كاذب قبل عدة أعوام. شخص من فرنسا. لكن لا. لا يزال المال موجودًا»

«إذن فهذا دافعه، أقصد دافعي.. المال؟»

شرعت في ترتيب الجوارب على السرير، بثنائيات. نظام غريب طورته.

أكملت حديثها: «ليس المال فقط. المجد هو دافعك. الأنا. تريد انتشار اسمك في كل مكان. أندرو مارتن. أندرو مارتن. أندرو مارتن. تريد أنْ تكون في كل صفحة من صفحات ويكيبيديا. تريد أنْ تكون أينشتاين. المشكلة هي أنك ما زلت في الثانية من عمرك يا أندرو».

حيرني كلامها. «صدقًا؟ أيعقل؟»

«لم تمنحك أمك الحب الذي احتجت إليه. ستنهل دومًا من ثدي لا يقدم لك أي حليب. تريد أنْ يعرفك العالم. تريد أنْ تكون رجلًا عظيمًا».

تكلمت بنبرة هادئة. تساءلت إذا كانت هذه طريقة كلام الآخرين مع بعضهم، أم أنه أسلوب متفرد بين الأزواج. سمعت مفتاحًا يدخل القفل.

نظرت إيزوبِل إلي بعينين مشدوهتيْن. «غليڤر».

كانت غرفة غليڤر في الجزء العلوي من المنزل. «العلية». المحطة الأخيرة قبل طبقة الثرموسفير (الغلاف الجوي). توجه إليها مباشرة، مرت قدماه بغرفة النوم التي كنت فيها، مع توقف بسيط قُبيل صعوده المجموعة الأخيرة من السلالم.

في أثناء ذلك خرجت إيزوبِل لتمشية الكلب، قررت الاتصال بالرقم الموجود على قطعة الورق في جيبي. فقد يكون رقم دانييل راسل.

سمعت صوت أنثى: «مرحبًا؟ من المتصل».

قلت لها: «البروفسور أندرو مارتن».

ضحكت الأنثى. «أهلًا يا بروفسور أندرو مارتن».

«من أنتِ؟ أتعرفيني؟»

«أنت في موقع يوتيوب. الجميع يعرفك. انتشرت قصتك. البروفسور العاري».

«أوه»

«لا تقلق، فالجميع يحبون المُستعرضين»

تكلمت ببطء. متوانية في نطق الكلمات كأنها تتذوقها.

«هل لي أن أعرف ما علاقتي بكِ؟»

لم تُجب عن السؤال بتاتًا، فلحظتئذ دخل غليڤر الغرفة، فأغلقت الهاتف.

غليڤر. «ابني». الفتى ذو الشعر الداكن الذي رأيته في الصورة الفوتوغرافية. بدا كما توقعت، لكن ربما أطول. كان بطولي تقريبًا. غطى شعره عينيْه. (الشعر، بالمناسبة، مهم جدًا هنا. ليس بذات أهمية الملابس، ولكنه مهم. بالنسبة إلى البشر، الشعر أكثر من مجرد مادة حيوية تشبه الخيوط تنمو من رؤوسهم. إنه يشير إلى كل الرموز الاجتماعية التي لم أتمكن من ترجمة معظمها). ملابسه سوداء كلون الفضاء، وعلى قميصه عبارة بالإنجليزية: «مسألة معتمة». ربما هذه طريقة تواصل بعض الناس مع بعضهم؛ باستخدام شعارات على قمصانهم. ارتدى «أساور معصم». يداه في جيبيْه وبدا غير مرتاح بالنظر إلى وجهي. (شعور متبادل، إذن). كان صوته خفيضًا. أو على الأقل خفيض بالنسبة إلى المعايير البشرية. يشبه تقريبًا عمق نبات الطنين الڤونادوري. جاء وجلس على السرير وحاول أن يكون لطيفًا في البداية، ثم زاد تردد صوته فجأة.

«أبي لماذا فعلت ذلك؟»

«لا أعرف؟»

«المدرسة ستضطرب الآن»

«أوه»

«أهذا كل ما لديك لتقوله؟ «أوه» صدقًا؟ اللعنة أهذا كل ما لديك؟»

«لا. نعم. أنا أنا، اللعنة، لا أعرف يا غليڤر».

«حسنًا، لقد دمرت حياتي. سيتندّرون علي. كان الأمر سيئًا منذ أنْ بدأت الدراسة عنك، لكن الآن..»

لـم أصـغ إلـى كلامـه. كنـت أفكـر فـي دانييـل رسـل، وحاجتـي الماسـة إلـى مهاتفتـه. لاحـظ غليڤـر انصـراف ذهنـي.

«لا يهـم. لـم ترغـب أبـدًا فـي الحديـث معـي، باسـتثناء الليلـة الماضيـة»

غـادر غليڤـر الغرفـة. صفـق البـاب خلفـه، وتنهـد تقريبًـا. كان فـي الخامسـة عشـرة مـن عمـره. هـذا يعنـي انتمـاءه إلـى تصنيـف فرعـي مـن البشـر اسـمه «مراهقـون»، مـن خصائصهـم الأساسـية: عـدم الثقـة بالنفـس، والتكلـم بهمهمـات، ونقـص الوعـي المكانـي، وممارسـات العـادة السـرية بكثـرة، والافـراط فـي تنـاول الحبـوب.

الليلة الماضية.

نهضـت مـن السـرير وتوجهـت إلـى العليـة فـي الطابـق العلـوي. طرقـت بـاب غرفتـه. لـم يجبنـي، لكنـي فتحتـه علـى أي حـال.

فـي الداخـل، ظـلام دامـس. شـاهدت ضابـط حـرارة الغرفـة وملصقات لموسـيقيين: سـكريليكس [Skrillex]، وفرقـة ذا فتِـد [The Fetid]، وفرقـة مـذر نايـت [Mother Night]، وفرقـة ذا دارك ماتـر [The Dark Matter] التـي اسـمها علـى قميصـه.

كانـت هنـاك نافـذة مائلـة علـى طـول السـقف، مسـدلة السـاتر، وكتـاب علـى السـرير اسـمه الشـطيرة، لمؤلفـه تشـارلز بوكوفسـكي، وثيـاب علـى الأرض. بـكل الأشـياء، الغرفـة عبـارة عـن سـحابة معلومـات مـن الاكتئـاب. شـعرت بأنـه يريـد أنْ يكـون خـارج تعاسـته، بطريقـة أو بأخـرى. ذلـك سـيأتي بـلا شـك، لكـن أولًا سـتكون هنـاك أسـئلة إضافيـة.

لـم يسـمـع دخولـي بسـبب ناقـل الترددات الموصـول بأذنيـه، ولـم يرنـي بسـبب نظـره إلـى حاسـوبه. علـى الشاشـة، صـورة ثابتـة منـي عاريًـا، بجـوار المبانـي الجامعيـة. كمـا كانـت هنـاك بعـض الكتابـات علـى الشاشـة. أولهـا عبـارة: «غليفـر مارتـن، لا بـد أنـك فخـور بوالـدك».

تحتهـا، تعليقـات كثيـرة دارجـة: «ههههههههـه أوه كـدت أنسـى هه!» قـرأت الاسـم إلـى جانـب ذلـك المنشـور المميـز.

«مـن هـو ثيـو «اللعيـن» كلارك؟» قفـز غليفـر حيـن سـمع صوتـي، والتفـت. أعـدت سـؤالي مـرة أخـرى ولـم يجبنـي.

«اخـرج»

«أريد التكلم معك. أريد التكلم عن البارحة»

أدار ظهره لي. تصلب جذعه. «اخرج يا أبي»

«لا أريد معرفة ما قلته لك»

قـام مـن كرسـيه، وكمـا يقـول البشـر: نفـس عـن غضبـه فـي. «اتركنـي وحـدي، مفهـوم؟ لـم تهتـم بـأي أمـر فـي حياتـي فـلا تـدعِ ذلـك الآن. لمـاذا تفعـل هـذا الآن؟»

شـاهدت ظهـره فـي المـرآة الصغيـرة الدائريـة التـي تحـدق مـن الجـدار كعينيّـن بليدتيّـن لا ترمشـان.

بعـد حـركات عنيفـة جلـس علـى كرسـيه، شـغل حاسـوبه مـرة أخـرى، وضغـط بإصبعـه علـى أداة أمـر غريـب مظهرهـا.

قلـت لـه: أريـد أنْ أعـرف شـيئًا. أريـد أنْ أعـرف مـا الـذي كنـت أفعلـه. الأسـبوع الماضـي فـي العمـل؟

«أبي فقط ــ»

«اسمع. هذا مهم. هل كنت مستيقظًا حين عدت من المنزل؟ تعرف قصدي، البارحة؟ هل كنت في المنزل؟ هل كنت مستيقظًا؟

همهم بشيء ما. لم أسمع ماذا. الإبسويد فقط يمكنه سماعه.

«غليڤر، هل أنت جيد في الرياضيات؟»

«أنت تعرف مستواي اللعين في الرياضيات»

«اللعنة، لا أعرف. ولهذا أسألك، اللعنة. أخبرني بما تعرف، اللعنة»

لا شيء. اعتقدت أني أستخدم لغته، لكن غليڤر جلس هناك، حدق إلى شيء بعيدًا عني، رجله اليمنى تتحرك بلا انتظام وبسرعة. لم يكن لكلماتي تأثير. فكرت بناقل الصوت الذي في أذنه. لعله يرسل موجات صوت. انتظرت مدة أطول وشعرت أن هذا وقت المغامرة. لكن مع توجهي إلى الباب قال: «أجل كنت مستيقظًا. لقد أخبرتني»

تسارعت نبضات قلبي. «ماذا؟ ماذا قلت لك؟»

«عن كونك منقذ النسل البشري أو شيء من هذا القبيل»

«أي شيء أكثر دقة؟ هل دخلت في التفاصيل؟»

«لقد أثبت نظرية فريمان القيمة»

«ريمان. ريمان. نظرية ريمان. قلت لك هذا؟ هل فعلت؟ اللعنة»

«أجل. بذات النبرة الكئيبة. أول مرة تكلمني فيها منذ أسبوع»

«أخبرت من؟»

«ماذا؟ أبي، أعتقد أن الناس أكثر اهتمامًا بمشيك عاريًا. لن يهتم أي شخص بمعادلة»

«لكن أمك؟ هل أخبرتها؟ لا بد أنها قد سألتك بعد غيابي إن كنت قد تكلمت معك. سألتك حتمًا؟»

هز كتفيه. (هزُّ الكتفيْن كما فهمت لاحقًا هو إحدى وسيلتين للتواصل بالنسبة إلى المراهقين) «أجل».

«وماذا؟ ماذا قلت لها؟ انطق، أخبرني يا غليفر. ما الذي تعرفه؟»

التفت ونظر إلي في عينيّ مباشرة. كان عابسًا. غاضبًا. متحيرًا. «لا أصدقك، اللعنة يا أبي»

«تصدق اللعنة؟»

«أنت الأب، وأنا الابن. أنا من يجب أن يختفي، لا أنت. أنا في الخامسة عشرة، وأنت في الثالثة والأربعين. إذا كنت مريضًا بحق يا أبي، إذن أريد مؤازرتك، لكن بعيدًا عن عشقك الجديد للعن وألفاظك النابية اللعينة فأنت تتصرف بشكل غريب، غريب، غريب كعادتك. لكن إليك الخبر المهم. مستعد؟ لا تهمنا أرقامك الأولية. لا يهمنا عملك القيم اللعين أو كتبك الغبية اللعينة أو عقلك الذكي أو قدرتك على حل أصعب المسائل الحسابية المميزة لأن، لأن، لأن كل هذه الأمور تضرنا».

«تضركم؟» لعل الطفل أحكم من شكله. ما الذي تقصده بهذا؟»

حدق فيّ. ارتفع صدره وهبط بعنف ملحوظ.

«لا شيء» قال أخيرًا. «لكن، الإجابة كانت لا، لم أخبر أمي. قلت لها إنك أخبرتني عن شيء يتعلق بنظريتك اللعينة»

«لكن المال. أتعرف شيئًا عنه»

أجل. أعرف طبعًا»

«ولم تعتقد أنه مهم؟»

«أبي، لدينا مال كثير في المصرف. لدينا أحد أكبر المنازل في كمبردج. لعلي أغنى صبي في المدرسة الآن، وهذا لا يعني شيئًا. إنها ليست (بيرسيه)، أتذكر؟»

«البيرسيه؟»

«المدرسة التي أمضيّت فيها عشرين عامًا مهمًا. هل نسيتها؟ من أنت بحق الجحيم؟ جيسون بورن؟»

«لا»

«لعلك نسيت أني قد فصلت من المدرسة أيضًا»

«لا». كذبت عليه. «لم أنس بلا شك»

«لا أعتقد أن مالًا إضافيًا سينقذنا»

حرت بشدة. كلامه يناقض كل ما نعرفه عن البشر.

قلت له: لا. أنت على حق. لا ينقذنا، إضافة إلى أنه خطأ. لم أثبت نظرية فريمان. أعتقد بسبب حقيقة لا يمكن برهنتها. اعتقدت أني قد فعلت. لهذا لا داعي لإخبار أي شخص».

وضع غليفر ناقل الصوت في أذنه وأغمض عينيّه. لم يرد المزيد مني.

«اللعنة عليك»، همست وغادرت الغرفة.

نزلت إلى الطابق السفلي ووجدت «دفتر عناوين». فيه عناوين وأرقام هواتف لأشخاص مدرجة أبجديًا. وجدت رقم الهاتف الذي كنت أبحث عنه. هاتفته وأخبرتني امرأة أن دانييل راسل خارج المنزل، لكنه سيعود في غضون ساعة تقريبًا. سيهاتفني إذا رجع. في أثناء انتظاره، طالعت مزيدًا من كتب التاريخ وتعلمت أشياء في أثناء القراءة بعمق.

بالإضافة إلى الدين، فإن تاريخ البشرية مليء بأشياء مُحبطة مثل: الاستعمار، والمرض، والعنصرية، والتمييز على أساس الجنس، والتغطرس الطبقي، والتدمير البيئي، والعبودية، والشمولية، والديكتاتوريات العسكرية، واختراع أشياء لا يعرف البشر استخدامها (القنبلة الذرية، والإنترنت، والفاصلة المنقوطة)، وظلم الأذكياء، وعبادة الأغبياء، والملل، واليأس، والانهيارات الدورية، والأزمات النفسية. يتخلل ما سبق أطعمة مريعة دائمًا. شاهدت كتابًا عنوانه: أعظم شعراء أمريكا.

كتب شخص يدعى والت ويتمان: «أعتقد أن ورقة العشب لا تقل أهمية عن رحلة النجوم». ملحوظة واضحة، لكن فيها شيء بديع. في ذات الكتاب، هناك كلمات كتبتها شاعرة أخرى. الشاعرة هي إميلي ديكنسون. الكلمات هي:

ما أسعد الحصى

هائم وحيد،

لا يبالي بالوظيفة،
ولا يهاب الأعباء؛
غطاؤه بني اللون
من أثر كون عابر؛
إنه مستقل كالشمس
يلمع وحيدًا أو في جماعة
يُنفّذ معاهدة مُطلقة
ببساطة تصادفيّة.

«يُنفذ معاهدة مُطلقة»، تأملت. لماذا تزعجني هذه الكلمات؟ نبح الكلب عليّ. قلبت الصفحة ووجدت حكمة أخرى مُستبعدة. قرأت الكلمات لنفسي بصوتٍ عالٍ: «أيما روح بابها موارب دائمًا، مُستعدة للترحيب بالتجربة المذهلة».

قالت إيزوبِل: «لست في سريرك».

قلت: «أجل». أنْ تكون بشرًا يعني أنْ تتكلم عما هو جلي للعين. بتكرار المرة تلو الأخرى، حتى انتهاء الزمن.

أضافت بعد تأمل وجهي: «يجب أنْ تأكل».

قلت: «أجل».

أخرجت بعض المكونات.

مر غليڤر بالباب.

«غليڤر إلى أين ستذهب؟ أنا أعد العشاء» لم يجبها الفتى وغادر. صفق الباب عنف كاد يهز المنزل.

قالت إيزوبِل: «أنا قلقة بشأنه».

في أثناء قلقها، أمعنت في المكونات على المنضدة. نباتات خضراء بشكل رئيس. لكن هناك شيئًا آخر. صدر دجاجة. صدر دجاجة. صدر دجاجة. صدر دجاجة.

قلت: «هذا يبدو كلحم».

«سأقلي الطعام».

«تقلين هذا؟»

«أجل»

«صدر دجاجة»

«أجل أندرو. هل أصبحت نباتيًا الآن؟»

اسم الكلب الذي في السلة: نيوتن. ما زال ينبح عليّ. «ماذا عن صدر كلب؟ هل سنأكله أيضًا؟»

قالت بإذعان: «لا».

«هل الكلب أكثر ذكاء من الدجاجة؟»

قالت: «أجل»، ثم أغمضت عينيّها. «لا أعرف. لا. لا أملك الوقت لهذا النقاش. على أي حال، أنت آكل لحوم شره».

انزعجت. «أفضل عدم أكل صدر دجاج».

أغمضت عينيها وتنفست بعمق. همست: «امنحني الصبر».

يمكنني فعل هذا بلا شك. لكني بحاجة إلى صبري.

ناولتني دواء ديازبام. «هل أخذت حبة مؤخرًا؟»

«لا».

«لربما عليك أنْ تفعل».

لاطفتها. فتحت العلبة ووضعت حبة دواء على راحة يدي. تبدو ككبسولة الكلمات. خضراء كالمعرفة. ابتلعتها.

احذر.

أكلت الخضار المطهية. رائحة تشبه فضلات جسد مخلوق بازادين. حاول تجنب النظر إليها، فنظرت إلى إيزوبِل. كانت المرة الأولى التي يكون فيها النظر إلى وجه بشري هو الخيار الأفضل. لكني كنت بحاجة إلى الأكل؛ فأكلت.

«حين أخبرتِ غليفر عن اختفائي، هل قال شيئًا لكِ؟»

«أجل»

«ماذا قال؟»

«أنك عدت عند الحادية عشرة تقريبًا، وأنك ذهبت إلى غرفة نومه حيث كان يشاهد التلفاز، وأنك قد اعتذرت له عن تأخرك، لكنك كنت تنهي أمرًا ما في العمل».

«ما كان العمل؟ هل يمكنك التحديد أكثر؟»

«لا»

«ما الذي قصده في اعتقادك؟ أعني: ما الذي قصدته بكلامي؟»

«لا أعرف. لكن يجب أنْ أقول لك، عودتك إلى المنزل، ثم التوجه إلى غليفر بكل لطف أمر غير معتاد منك»

«لماذا؟ ألا أحبه؟»

«لا تحبه منذ عاميْن. لا. يؤلمني أنْ أقول هذا، لكنك مختلف كثيرًا الآن»

«منذ عاميْن؟»

«منذ أنْ فُصل من بيرسيه. لتسببه بحريق»

«أوه صحيح. حادثة النار»

«أريدك أنْ تبذل جهدًا معه»

بعد ذلك، لحقت بإيزوبِل إلى المطبخ ووضعت صحني وأدوات الطعام في غسالة الأطباق.

بدأت ألاحظ أشياء أكثر تخصها. في البداية، كنت أراها إنسانة عمومًا، لكني ما لبثت أن قدرت التفاصيل. ألاحظ ما لم ألحظه من قبل؛ فروقات بينها وبين الآخرين. كانت ترتدي سترة خفيفة طويلة الكميّن وبنطالًا أزرق اسمه جينز. عنقها الطويل مُزين بسلسلة مصنوعة من الفضة. عيناها تحدقان بعمق في الأشياء، كأنها تبحث باستمرار عن شيء ليس موجودًا. أو كأنه هناك، لكنه ليس في مدى نظرها. كأن لكل شيء عمقًا، بُعدًا داخليًا له.

«بماذا تشعر؟» سألتني. بدت قلقة بشأن شيء ما.

«بخير»

«أسألك لأنك ملأت غسالة الأطباق»

«لأن هذا ما تفعلينه»

«أندرو، لا تملأها بالأواني بتاتًا. أنت، وأعني هذا بأقل قدر من الإهانة، بدائي في الأعمال المنزلية»

«لماذا؟ ألا يستخدم علماء الرياضيات غسالة الأطباق؟»

قالت بحزن: «في هذا المنزل. لا. لم يفعلوا».

«أوه، أجل. أعرف. واضح. راق لي مساعدتك اليوم. أساعد أحيانًا»

«الآن نضع الأدوات الصغيرة»

نظرت إلى بلوزتي. هناك قطعة معكرونة على الصوف الأزرق. التقطتها، ثم مسحت مكان القماش. ابتسمت، بسرعة. إنها تكترث بشأني. متحفظة، لكنها تكترث بشأني. لا أريدها أنْ تهتم بي. لن يساعدني هذا في إنجاز المهمة. وضعت يدها في شعري، لترتبه قليلًا. تفاجأت لأني لم أجفل من فعلها.

«أناقة أينشتاين بعيدة عنك» قالتِ بلطف. ابتسمت كأني فهمت. ابتسمت هي أيضًا، لكنها كانت ابتسامة غريبة. كأنها كانت ترتدي قناعًا، وهناك وجه أقل ابتسامًا تحته.

«كأن فضائيًا يشبه زوجي في بيتي»

قلت لها: تقريبًا. أجل»

حينئذ، رن الهاتف. ذهبت لتجيب عنه، عادت بعدها إلى المطبخ، ممسكة السماعة.

قالت بصوت جاد فجأة: «اتصال لك». عيناها كانتا متسعتين، تحاول نقل رسالة صامتة لم أفهمها.

قلت: «مرحبًا؟»

كان هناك صمت طويل. صوت تنفس، ثم صوت مع الشهيق التالي. رجل، يتكلم ببطء وحذر.

«أندرو؟ هل هذا أنت؟»

«أجل. من أنت؟»

«دانييل. دانييل رَسل»

خفق قلبي. أدركت أن هذه هي، لحظة تغيير الأمور.

«أوه، مرحبًا، دانييل»

«كيف حالك؟ سمعت أنك قد تكون متعبًا»

«أوه، أنا بخير، حقيقةً. مجرد إجهاد ذهني بسيط. ركض ذهني في ماراثون وأُرهق. ذهني مخلوق للعدو. لا يطيق المسافات الطويلة. لكن لا تقلق، صدقًا. عدت حيث كنت. لا شيء خطير. لا شيء يُعجز العلاج الصحيح على أي حال»

«يسرني سماع هذا. قلقت عليك. على أي حال، تمنيّت الحديث معك عن البريد الإلكتروني المميز الذي أرسلته إليّ»

«أجل. لكن ليس عبر الهاتف. لنتكلم وجهًا لوجه. رؤيتك ستسرني»

عبست إيزوبِل.

سألني: «يا لها من فكرة جيدة. هل أزورك؟»

فأجبته بشيء من الجدية: «لا. سأزورك».

نحن ننتظر.

منزل ضخم

عرضت إيزوبِل توصيلي بالسيارة، وحاولت الإصرار على ذلك، قائلة إنني لست مستعدًا لمغادرة المنزل. بالطبع، كنت قد غادرت المنزل بالفعل، للذهاب إلى كلية فيتزويليام، لكنها لم تعرف عن ذلك. قلت لها إني بحاجة إلى بعض التمارين، ودانييل يود التحدث معي بشكل عاجل جدًّا حول شيء ما، قد يكون عرض العمل. أخبرتها أنها ستعرف موقعي من تتبع هاتفي. وهكذا تمكنت في النهاية من أخذ العنوان من دفتر ملاحظات إيزوبِل، ومغادرة المنزل والتوجه إلى قرية بابراهام.

إلى منزل كبير؛ أكبر منزل رأيته.

فتحت زوجة دانييل راسل الباب. امرأة فارعة الطول، وعريضة المنكبين، شعرها رمادي طويل جدًّا وجلدها متجعد.

«أوه أندرو»

فتحت ذراعيها، فكررت الحركة، وقبلتني على خدي. فاحت منها رائحة الصابون والتوابل. من الواضح أنها تعرفني. لم تتوقف عن ذكر اسمي.

«أندرو، أندرو، كيف حالك؟ سمعت عن مغامرتك الصغيرة»

«أنا بخير. لقد كانت، حسنًا، حادثة. لكني تجاوزت الأمر. القصة مستمرة»

تأملت ملامحي قليلاً ثم فتحت الباب على مصراعيه. قادتني إلى الداخل بابتسامة ترحيب. توجهت إلى الردهة.

«أتعرفين سبب زيارتي؟»

قالت مشيرة إلى السقف: «لرؤيته في الطابق العلوي»

«صحيح، لكن أتعرفين سبب زيارتي؟»

حيرها أسلوبي، لكنها بذلت قصارى جهدها لإخفاء حيرتها بتهذيب جم وفوضوي. عاجلتني بإجابتها: «لا يا أندرو. في الحقيقة لم يخبرني عن سبب الزيارة».

أومأت برأسي. لاحظت وجود مزهرية خزفية كبيرة على الأرض. عليها نمط أزهار أصفر اللون، سألت نفسي عن سبب اهتمام الناس بأوعية فارغة كهذه. ما أهميتها؟ لعلي لن أعرف الإجابة بتاتًا. مررنا بغرفة فيها: أريكة، وتلفاز، وخزانات كتب، وجدران حمراء داكنة بلون الدم.

«أتريد قهوة؟ عصير فاكهة؟ بدأنا نحب طعم عصير الرمان. رغم أن دانييل يعتقد أن مضادات الأكسدة مجرد حيلة تسويقية.

«ماء من فضلك»

توجهنا إلى المطبخ. مساحته ضعف مساحة مطبخ أندرو مارتن، لكنه ممتلئ بأدوات الطبخ فأوحى بأنه أصغر. هناك قدور مُعلقة فوق رأسي. هناك ظرف رسالة مُوجه إلى: دانييل وتابيثا راسل.

صبت تابيثا الماء لي من إبريق.

«كنت لأقدم لك شريحة ليمون، لكن أعتقد أن الليمون قد نفد. هناك ليمون في الطبق، لكن لا بد أنه قد تعفّن، فعاملات التنظيف لا يضعن الفاكهة في الثلاجة نهائيًّا. يرفضن مسكها.

«ودانييل لن يأكل الفاكهة. على الرغم من أن الطبيب أخبره

بضـرورة أكلها. ولكن بعـد ذلـك طلـب منـه الاسـترخاء والتمهـل فـي أداء واجباتـه، ولـم ينفـذ هـذا أيضًـا»

«أوه. لماذا؟»

بدت متحيرة.

«نوبـة قلبيـة أصابتـه. أتتذكرهـا؟ لسـتَ عالـم الرياضيـات الوحيـد المصـاب بالإرهـاق العصبـي فـي العالـم».

قلت: «أوه. كيف حاله؟».

«جيـد. إنـه يعمـل علـى حاصـرات بيتـا. أحـاول الحصـول علـى حبـوب إفطـار مدعومـة بالفاكهـة وحليـب منـزوع الدسـم ليأكلهـا بسـهولة».

قلت وأنا أفكر بصوت عالٍ: «قلبه».

«صحيح. قلبه»

«هذا أحد أسـباب زيارتي في الحقيقة». ناولتني كأسًـا، فارتشـفت رشـفة. فكـرت بقـدرة هـذا الجنس البشـري المذهلـة للإيمـان. حتـى قبـل أن أسـتكشـف تمامًـا مفاهيـم علـم التنجيـم، وعـلاج الـداء بالـداء، والديـن المنظـم، واللبـن الرائـب المدعـوم بالبكتريـا النافعـة، تمكنـت مـن اكتشـاف أن البشـر قـد يفتقـرون إلـى الجاذبيـة الفيزيائيـة، إنهـم مصنوعـون للسـذاجة. يمكنـك أنْ تقـول لهـم أي شـيء بصـوت مقنـع بمـا يكفـي، وسـيصدقونك. أي شـيء، باسـتثناء الحقيقـة.

«أين هو؟»

«في مكتبه. في الطابق العلوي»

«مكتبه؟»

«تعرف مكانه، صحيح؟»

«أكيد. أكيد. أعرف مكانه»

كذبت عليها بلا شك.

لا أعرف مكان دانييل رسل، وهذا منزل ضخم، لكن في أثناء مشيي في الطابق الأول سمعت صوتًا. ذات الصوت الجاف الذي سمعته على الهاتف.

«أهذه خطوات منقذ الإنسانية؟»

تبعت الصوت إلى الباب الموارب الثالث عن اليسار. بإمكاني رؤية أوراق مؤطرة ومعلقة على الجدار. فتحت الباب، وشاهدت رجلًا أصلع، ذا ملامح حادة وضاوي الوجنتيْن، وفم –بمعايير البشر– صغير. كان متأنقًا. ارتدى ربطة عنق حمراء، وقميصًا عليه مربعات متكررة.

قال وهو يحاول قمع ابتسامة خبيثة: «يسعدني أنك ترتدي ثيابًا. جيراننا مرهفو الأحاسيس».

«أجل. أرتدي الكمية المناسبة من الثياب. لا تقلق».

أومأ، وواصل الإيماء برأسه مع إسناد ظهره إلى الكرسي، ثم حك ذقنه. أضاءت شاشة كمبيوتر خلفه، مليئة بمنحنيات ومعادلات أندرو مارتن. يمكنني شم رائحة القهوة. لاحظت كوبًا فارغًا. كوبين في الواقع.

«طالعت الملف، ثم طالعته مرة أخرى. لا بد أنه قد تسبب باضطرابك الذهني، يمكنني رؤية هذا. هذا إنجاز مهم. لا بد أنك قد أجهدت نفسك يا أندرو. شعرت بالإجهاد من مجرد قراءته»

قلت لـه: «عملت بجد. تهت فيه، لكنها نجحت، أليس كذلك، مع الأرقام؟»

أصغى باهتمام، ثم سألني: «هل وصفوا أي دواء لك؟»

«ديازبام»

«أتشعر بمفعوله؟»

«نعم. نعم. أشعر بمفعوله. كل شيء يبدو غريبًا بعض الشيء، عالم دنيوي صغير، كما لو أن الجو مختلف بعض الشيء، والجاذبية قد قل جذبها بعض الشيء، حتى كوب القهوة الفارغ المألوف جدًّا أصبح شديد الاختلاف. تفهم، من وجهة نظري. حتى أنت، تبدو شديد القبح بالنسبة إليّ. تكاد ترعبني».

ضحك دانييل رسل. ضحكته لم تكن سعيدة.

«لطالما كان هناك فجوة بيننا، لكني أعزوها إلى المنافسة الأكاديمية. أمر عادي ومتوقع. لسنا علماء جغرافيا أو أحياء. نحن رجال الأرقام. علماء رياضيات كنا وما زلنا. انظر إلى ذلك الوغد التعيس إسحاق نيوتن». مكتبة سُر مَن قرأ

«سميْت كلبي باسمه»

«إذن فعلتها. اسمع أندرو، هذه ليست لحظة إعاقتك أو التخلص منك، بل لحظة صفعك على ظهرك»[1].

أنت تهدر الوقت. «هل أخبرت أي شخص؟»

هز رأسه نافيًا. «لا. بالتأكيد لا. أندرو، هذا إنجازك. يمكنك الإعلان عنه كما تريد. على الرغم من أني أنصحك، بصفتي

1- تعبير يدل على التهنئة، لا يمكن استبدال تعبير من ثقافتنا العربية به، لأن بطل القصة يفهم الكلمات حرفيًا. (المُترجمة)

صديقًا، أنْ تنتظر بعض الشيء. أسبوعًا تقريبًا، حتى ينسى الجميع فعلك الشائن».

«هل الرياضيات أقل إثارة للبشر من العُري؟»

«يبدو ذلك يا أندرو. أجل. اسمع. عد إلى منزلك، واسترخ هذا الأسبوع. سأخبر ديان في الكلية، وأوضح لها أنك ستكون بخير لكنك بحاجة إلى إجازة. متأكد من أنها ستكون مرنة. سيكون الطلاب لئيمين معك في أول يوم تعود فيه. استجمع قواك. استرح. هيا يا أندرو، عد إلى منزلك».

يمكنني شم رائحة القهوة الكريهة التي زادت قوتها. نظرت حولي إلى جميع الشهادات الموجودة على الحائط وشعرت بالامتنان لقدومي من مكان لا معنى فيه للنجاح الفردي.

«منزلي؟ أتعرف مكانه؟

«طبعًا يا أندرو. ما قصدك؟»

«في الواقع، اسمي ليس أندرو»

ضحكة عصبية أخرى. «هل أندرو مارتن اسمك الفني؟»

«لو كان كذلك، لفكرت باسم أفضل»

«ليس لدي اسم. الأسماء عارض يخص الكائنات التي تتغلب ذواتها الفردية على الجمعية».

كانت تلك المرة الأولى التي يقف فيها من كرسيه. كان رجلاً طويل القامة، أطول مني. «سيكون هذا ممتعًا يا أندرو، لو لم تكن صديقًا. أعتقد حقًا أنك قد تحتاج إلى مساعدة طبية مناسبة. اسمع، أعرف طبيبًا نفسيًا ممتازًا ــ»

«أندرو مارتن شخص آخر. أخذوه».

«أخذوه؟»

«بعد إثبات ما أثبته، لم يترك لنا أي خيار»

«لنا؟ عمَّ تتحدث؟ حاول أنْ تكون محايدًا يا أندرو. تبدو مجنونًا. أعتقد أن عليك العودة إلى منزلك. سأوصلك بسيارتي. أأمن لك. هيا، لنذهب. سآخذك إلى المنزل، إلى أسرتك»

رفع ذراعه اليمنى وأشار إلى الباب.

لكني لم أبرح مكاني.

«قلت إنك تريد أن تصفع ظهري»

عبس. فوق العبوس، لمع الجلد الذي يغطي الجزء العلوي من جمجمته. حدقت فيه. في اللمعان. سألني: «ماذا؟»

«أردت أن تصفع ظهري. هذا ما قلته. إذن، لماذا لا تصفعه؟»

«ماذا؟»

«اصفع ظهري، ثم سأغادر»

«أندرو-»

«اصفع ظهري»

زفر ببطء. نظرته بين القلق والخوف. استدرت، أعطيته ظهري. انتظرت يده، ثم انتظرت أكثر. ثم جاء. صفعني على ظهري. في ذلك التلامس الأول، رغم وجود الثياب بيننا، قمت بالقراءة، استدرت بعدها، لأقل من ثانية، لم يكن وجهي وجه أندرو مارتن. كان وجهي الحقيقي.

«ماذا بحق -»

ترنح إلى الخلف، واصطدم بمكتبه. عدت، في ناظريّه، أندرو مارتن مرة أخرى. لكنه كان قد رأى ما رأى. لدي ثانية واحدة فقط قبل أن يصرخ، ولذلك أصبته بالشلل في فكه. في مكان ما تحت عينيّه المذعورتيّن، هناك تساؤل: كيف فعلت هذا؟ لإنهاء المهمة بشكل صحيح، سأحتاج إلى تواصل جسدي آخر معه: وضع يدي اليسرى على كتفه كان كافيًا.

ثم بدأ الألم. الألم الذي استدعيته.

أمسك ذراعه. أصبح وجهه بنفسجي اللون. كلون منزلي.

شعرت بألم أيضًا. ألم في الرأس، وإرهاق.

لكني مشيت بجانبه، حيث سقط على ركبتيه، وحذفت البريد الإلكتروني والمرفق. تأكدت من مجلد الرسائل المُرسلة، لكن لم أجد ما يثير الارتياب.

خرجت من الغرفة.

«تابيثا! تابيثا! هاتفي الإسعاف! أعتقد أن دانييل يمر بأزمة قلبية!»

صعدَت إلى الطابق العلوي بعد أقل من دقيقة، ممسكة بالهاتف ووجهها مذعور، ثم جلست على ركبتيها، وحاولت دفع حبة إسبرين في فم زوجها. «فمه لا يفتح! فمه لا يفتح! دانييل، افتح فمك! حبيبي، يا إلهي حبيبي، افتح فمك! «ثم إلى الهاتف». نعم! لقد أخبرتك! لقد أخبرتك! يا إلهي! نعم! طريق تشوسر! إنه يُحتضر! إنه يُحتضر!».

تمكنت من حشر حبة الدواء داخل فم زوجها الذي تغطيه رغوة تساقطت على السجادة. كان زوجها يئن بيأس: «مننننننن».

وقفت هناك أراقبه. عيناه مشدوهتان فاغرتان، كما لو كان البقاء في الدنيا مسألة بسيطة تتطلب إجبار نفسك على الرؤية.

قالت تابيثا له: «دانييل، لا بأس. سيارة إسعاف في الطريق. ستكون بخير يا عزيزي»

عيناه الآن نحوي. هز رأسه باتجاهي. «منننننننن!».

كان يحاول تحذير زوجته. «منننننننن».

لم تفهمه.

مسدت تابيثا شعر زوجها بلطف شديد. «دانييل، سنسافر إلى مصر. هيا، فكر في مصر. سنشاهد الأهرامات. لم يتبق سوى أسبوعين على سفرنا هيا، ستكون جميلة. لطالما تمنيت السفر إليها.

خالجني إحساس غريب في أثناء مشاهدتها. لهفة إلى شيء ما، شوق، لكن لم أعرف إلامَ. فتنني مشهد هذه الأنثى البشرية وهي جاثمة فوق الرجل الذي منعتُ وصول الدم إلى قلبه.

«تجاوزت الأزمة في المرة الماضية، وستتجاوزها الآن»

«لا» همست، لم يسمعني أحد. «لا، لا، لا».

قال وهو يمسك كتفه بألم لا يطاق: «منننننن».

«أحبك يا دانييل»

أطبق عينيه الآن، ألمه شديد.

«ابق معي، ابق معي، لا يمكنني العيش بمفردي»

رأسه على ركبتها. ظلت تداعب وجهه. إذا هذا هو الحب. حياتان بينهما ثقة متبادلة. كان من المفترض أنْ أفكر في أني كنت أشاهد الضعف، شيئًا يستحق ازدرائي له، لكني لم أفكر في ذلك على الإطلاق.

توقف عن إحداث ضوضاء، وازداد ثقله بالنسبة إليها على الفور، تلاشت التجاعيد العميقة حول عينيه. قضي الأمر.

صاحت تابيثا صيحة كما لو أن شيئًا قد انتُزع من جسدها. لم أسمع صوتًا كهذا من قبل. أعترف، لقد أزعجني كثيرًا.

جاءت قطة من الباب، مذهولة من الضوضاء ربما، لكنها لم تبال بالمشهد بشكل عام، فعادت من حيث جاءت.

صاحت تابيثا مرارًا وتكرارًا: «لا، لا، لا!».

توقفت سيارة الإسعاف خارج المنزل. ضوؤها الأزرق الوامض ظهر من خلال النافذة.

أخبرت تابيثا فنزلت إلى الطابق السفلي: «إنهم هنا». شعور غريب وراحة شديدة شعرت بهما في أثناء نزولي على تلك السلالم الناعمة المغطاة بالسجاد، وبعد تلاشي ذلك البكاء البائس والأوامر غير المجدية.

فكرت في المكان الذي جئنا منه؛ أنا وأنت.

من حيث جئنا، لا توجد أوهام مريحة، ولا أديان، ولا قصص مستحيلة.

من حيث جئنا، لا يوجد حب أو كره. هنالك نقاء المنطق.

من حيث جئنا، لا توجد جرائم باسم العشق لأن لا وجود له.

من حيث جئنا، لا يوجد ضمير لأن للفعل دافعًا منطقيًّا، له أفضل نتيجة دائمًا لحالة معينة.

من حيث جئنا، لا توجد أسماء، ولا أسر تقيم مع بعضها، لا أزواج ولا زوجات، ولا مراهقون نكديون، ولا جنون. من حيث جئنا، أوجدنا الحل لمشكلة الخوف، لأننا حللنا معضلة الموت. لن نموت؛ ما يعني أننا لن نسمح للكون بفعل ما يريد، لأننا خالدون فيه.

من حيث جئنا، لا نستلقي على سجادات فاخرة، تقبض على وجوهنا في أثناء تحول وجوهنا إلى اللون الأرجواني، ونسعى لمشاهدة محيطنا للمرة الأخيرة.

من حيث جئنا، تطورنا التكنولوجي قائم على معرفتنا العليا والشاملة بالرياضيات؛ ما يعني قدرتنا على السفر لمسافات شاسعة، وإعادة ترتيب مكوناتنا البيولوجية وتجديدها. نحن مُهيؤون نفسيًّا لمثل هذه التطورات. لم نحارب أنفسنا. لا نفضل احتياجات الفرد على احتياجات الجماعة.

من حيث جئنا، نفهم أنه إذا تجاوز معدل التقدم الرياضي نضجهم النفسي، فإنه يجب أنْ يكون هناك تدخل. على سبيل المثال، وفاة دانييل رسل، والمعرفة التي يعرفها قد تؤدي إلى إنقاذ المزيد من البشر، وبهذا: فالتضحية به: منطقية ومبررة.

من حيث جئنا، لا توجد كوابيس.

ومع ذلك، في تلك الليلة، رأيت كابوسًا أول مرة في حياتي.

عالم من البشر الأموات معي، وتلك القطة اللا مبالية تمشي في شارع فسيح فيه جثث مرصوفة على الأرض. حاولت الذهاب إلى منزلي، ولم أستطع. كنتُ عالقًا هنا. أصبحت منهم. عالقًا في جسد بشري، عاجزًا عن الحرب من قدر محتوم أنتظرهم جميعًا. بدأت أجوع، وأحتاج إلى الأكل، لكن لم أتمكن من الأكل، لأن فمي مغلق. ازداد الجوع. كنت أتضور جوعًا، وأتوه بعيدًا بسرعة كبيرة. ذهبت إلى مرأب كنت فيه الليلة الأولى وحاولت إدخال طعام في فمي، دون جدوى. ظل فمي مغلقًا بفعل شلل يتعذر تفسيره. كنت أعرف أني سأموت.

الموت.

كيف يهضم البشر فكرة الموت؟

استيقظت.

كنت متعرقًا، متقطع الأنفاس. لمست إيزوبِل ظهري. قالت: «لا بأس»، ذات الكلمة التي قالتها تابيثا. «لا بأس، لا بأس، لا بأس».

في اليوم التالي كنت وحدي.

حسنًا لا، في الواقع، هذا ليس صحيحًا تمامًا.

لم أكن وحدي. كان هناك الكلب: نيوتن. الكلب المسمى باسم الإنسان الذي فكر بالجاذبية والقصور الذاتي. نظرًا للسرعة البطيئة التي غادر بها الكلب سلته، أدركت أن الاسم كان تكريمًا مناسبًا لهذه الاكتشافات. استيقظ الآن. كان كبير السن ويعرج، وشبه أعمى.

عرف من كنت أو من لم أكن. وكان يغرغر كلما اقترب مني. لم أفهم لغته تمامًا حتى الآن لكني شعرت باستيائه. أظهر أسنانه، ولكن، يمكنني أنْ أقول إن سنوات من الخضوع لأصحابه ذوي القدمين يعني حقيقة أن بإمكاني أنْ آمره باحترامي.

شعرت بالمرض. أعزو هذا إلى المكان الجديد الذي أتنفس هواءه. لكن في كل مرة أغلق فيها عيني، أرى فيها وجه دانييل رسل في أثناء وقوعه على السجادة. كما شعرت بالصداع، لكنه دام طويلًا بسبب الطاقة التي استهلكتها البارحة.

عرفت أن الحياة ستكون أيسر خلال إقامتي القصيرة هنا إذا آزرني نيوتن. فقد تكون لديه معلومات، التقط إشارات، سمع أشياء. وكنت أعلم أن هناك قاعدة واحدة صمدت عبر الكون: إذا أردت وقوف شخص إلى جانبك، فخفف آلامه. يبدو هذا المنطق سخيفًا الآن، لكن الحقيقة أكثر سخفًا، وأخطر من أن أعترف بها لنفسي؛ أني بعد الحاجة إلى الأذى شعرت بالرغبة في الشفاء.

ذهبت وأعطيته البسكويت. بعدها حدقت فيه. ثم، مسدت ساقه الخلفية، تذمر بكلمات لم أستطع ترجمتها بتاتًا. لقد شفيته، وتسببت لنفسي بصداع أكثر حدة، وموجة إرهاق خلال العملية. في الواقع، كنت منهكًا جدًا لدرجة نومي على أرضية المطبخ. استيقظت ووجدتني مغطى بلعاب الكلب. كان لسان نيوتن لا يزال يلعقني بحماس كبير. لعق، لعق، لعق، كما لو أن المعنى من وجود الكلاب كان موجودًا أسفل بشرتي مباشرة.

قلت له: «هلا توقفت عن لعقي؟». لكنه عجز عن ذلك، حتى بعد وقوفي، عجز عن التوقف عن لعقي.

حاول تقليدي والوقوف، كما لو كان يريد أنْ يكون رأسيًا أيضًا. أدركت حينها أن الشيء الوحيد الأسوأ من كره كلب لك هو امتلاك كلب يحبك. حقيقةً، إذا كان هناك كائن أكثر احتياجًا إلى الآخرين في الكون فأنا لم أقابله بعد.

قلت له: «ابتعد. لا أريد حبك».

ذهبت إلى غرفة المعيشة وجلست على الأريكة. احتجت إلى التفكير. هل ستثير وفاة دانييل راسل شكوك البشر؟ رجل تناول دواء القلب، وعانى أزمة قلبية ثانية قاتلة؟ لم أستخدم أي سم أو سلاح.

جلس الكلب بجواري، ووضع رأسه في حضني، ثم رفع رأسه عن حضني، ثم عاد ووضعه مرة أخرى، كما لو أن تقرير إن كان سيضع رأسه في حضني أم لا هو أكبر قرارات حياته.

قضينا ساعات معًا في ذلك اليوم. أنا والكلب. في البداية شعرت بالانزعاج لأنه لم يتركني وشأني، لأني احتجت إلى التركيز

والتفكير في توقيت الخطوة التالية؛ معرفة مقدار المعلومات التي أحتاج إليها قبل اتخاذ الخطوة الأخيرة هنا، والقضاء على زوجة أندرو مارتن وابنه. صرخت على الكلب مرة أخرى ليتركني وشأني، ففعل، لكن حين وقفت في غرفة المعيشة دون أي شيء باستثناء أفكاري وخططي، أدركت أني أشعر بوحدة شديدة، فاستدعيته. جاء وبدا سعيدًا لأنه مرغوب فيه مرة أخرى.

شغلت موسيقا أثارت اهتمامي. اسمها الكواكب لغوستاف هولست. كانت معزوفة عن النظام الشمسي للبشر، لذلك كان من المفاجئ معرفة تأثيرها الرائع. شيء آخر مُحير هو تقسيمها إلى سبع (حركات) كل منها يحمل اسم شخصية فضائية. على سبيل المثال، المريخ هو (المُتسبب بالحرب)، والمشتري هو (ناشر الفرح)، وزحل هو (جالب الكبر في السن).

صدمتني تلك البدائية لأن فكرة وجود علاقة بين الموسيقا وتلك الكواكب الميتة مضحكة، لكن يبدو أن الموسيقا تهدئ نيوتن قليلًا، وأعترف أن مقطعًا أو مقطعيّن كان لهما تأثير فيّ. تأثير يشبه التأثير الكهروكيميائي. أدركت أن الاستماع إليها يشبه متعة العد دون إدراك أنك تعد. حين انتقلت النبضات الكهربائية من الخلايا العصبية في أذني إلى جسدي، شعرت بالهدوء. ساهم في تسكين القلق الذي باغتني بعد مشاهدة موت دانييل راسل على سجادته.

في أثناء إصغائنا حاولت معرفة سبب افتتان نيوتن وجنسه من الكلاب بالبشر.

قلت له: «أخبرني. ما سبب تعلقك بالبشر؟»

ضحك نيوتن، أو أقرب ما يمكن للكلب أن يضحك، صوت يشبه الضحك.

أصررت أنْ يجيبني: «تكلم. هات ما عندك». بدا خجولًا بعض الشيء. لا أعتقد أن لديه إجابة حقًا. لعله لم يتوصل إلى رأي، أو أن وفاءه لمالكه يمنعه من قول الحقيقة.

شغلت موسيقا مختلفة. موسيقا من تأليف شخص اسمه إنيو موريكوني، من ألبوم عنوانه: غرابة الفضاء [Space Oddity] وغناها ديڤيد بُوِي. مقياسها الزمني كان ممتعًا، وهذا ينطبق على ألبوم سفاري القمر [Moon Safari] من عزف فرقة (أير) رغم أن لا علاقة لها بالقمر ذاته. استمعت إلى ألبوم سمو الحب [Love Supreme] من عزف جون كولترين، ومونك الحزين [Blue Monk] للعازف ثيلونيوس مونك. موسيقى جاز. مليئة بالتعقيد والتناقضات سنعرف عما قريب أنها تؤنسن الإنسان. أصغيت إلى انتشاء بكآبة [Rhapsody in Blue] من عزف ليونارد بيرنشتاين، وسوناتا القمر للودفيغ ڤان بيتهوفن (اللحن الفاصل 19). استمعت إلى البيتلز، بيتش بويز، رولنغ ستونز، دافت پَنْك، پرنس، توكنغ هيدز، ألْغرين، توم ويتس، موتسارت. تحمست لاكتشاف الأصوات التي يمكن أنْ تكون الموسيقا – التكلم بصوت آلي غريب في أغنية أنا والرس لفرقة البيتلز، السعال في بداية قبعة راسبري للمغني برنس، وفي نهاية أغاني توم ويتس. لعل هذا هو الجمال بالنسبة إلى البشر. إدراج الحوادث والنقائص في نمط جميل.

انعدام التناظر. تحدي الرياضيات. فكرت في خطابي في متحف المعادلات التربيعية. مع فرقة بيتش بويز Beach Boys،

خالجني شعور غريب، خلف عيني وفي معدتي. لا فكرة لدي عن ذلك الشعور، لكنه جعلني أفكر في إيزوبِل، وطريقة معانقتها لي في الليلة الماضية بعد أن عدت إلى المنزل وأخبرتها عن إصابة دانييل راسل بنوبة قلبية قاتلة أمامي.

كانت هناك لحظة شك طفيفة، وتحديق قصير فيّ، لكنها رقت إلى تعاطف. مهما فكرت في زوجها لن تعتبره قاتلًا. آخر ما استمعت إليه هو لحن بعنوان ضوء القمر [Clair de Lune] لديبوسي. كان أقرب تجسيد سمعته على الإطلاق للفضاء. وقفت هناك، في منتصف الغرفة، بلا حراك مذهولًا من وجود إنسان قادر على إحداث مثل تلك الضوضاء الجميلة.

أرعبني ذلك الجمال، كمخلوق فضائي ظهر من العدم. كإبسويد مندفع من الصحراء. عليّ التركيز على مهمتي. عليّ تصديق كل ما قيل لي. إن الجنس البشري موسوم بقبح وعنف لا خلاص منهما.

خدش نيوتن للباب الأمامي أفسد عليّ متعتي الموسيقية، فذهبت إليه وحاولت فك شيفرة ما يريد. تبين أنه يريد الخروج. هناك حبل رأيت إيزوبِل تستخدمه، فثبته في الطوق.

في أثناء تمشية الكلب حاولت التفكير بسلبية أكبر نحو البشر.

وبالتأكيد بدا الأمر مشكوكًا فيه من الناحية الأخلاقية، فالبشر والكلاب كانوا ليكونوا في مكان ما في المنتصف على مقياس الذكاء الذي يضم كل الكائنات في الكون؛ قريبيْن من بعضهما. لكن يجب أن أقول إن الكلاب لا تمانع في ذلك. في الواقع، إنهم متجانسون معظم الوقت.

مررنا برجل على الجانب الآخر من الطريق. توقف الرجل وحدق إليّ وابتسم. ابتسمت ولوحت بيدي، وفهمت أن هذه هي التحية البشرية المناسبة. لم يلوح لي. نعم، البشر جنس مضطرب. واصلنا المشي، وتجاوزنا رجلاً آخر. رجل على كرسي متحرك. بدا أنه يعرفني.

قال لي: «أندرو، أليس خبر دانييل رسل مقلقًا؟»

فأجبته: «أجل. كنت هناك. شاهدت ما حدث. كان مشهدًا شنيعًا».

«يا إلهي. لم أكن أعرف»

«الفناء مسألة مأساوية جدًا»

«فعلًا هو كذلك»

«على أي حال، عليّ الذهاب. الكلب مستعجل. أراك لاحقًا»

«مفهوم، مفهوم. أيمكنني أنْ أسألك سؤلًا: كيف حالك؟ سمعت أنك معتل أنت أيضًا»

«أوه. أنا بخير. تجاوزت ذلك. كان هناك سوء فهم حقيقةً».

«فهمت»

نقص الحوار تدريجيًا. خلقت أعذارًا، وجذبني نيوتن إلى الأمام حتى وصلنا إلى امتداد كبير من العشب. اكتشفت أن هذا ما تحب الكلاب القيام به. إنها تحب الركض على العشب، والتظاهر بأنها حُرة، والنباح على بعضها: «نحن أحرار، نحن أحرار، انظر، انظر، انظر، كيف أننا أحرار!». مشهد مؤسف حقًا. لكنه نجح معها، ومع نيوتن خاصة. وهم جماعي اختاروا تصديقه، وخضعوا له بكل إخلاص، دون أي حنين إلى ذواتهم الذئبية السابقة.

كان ذلك أمرًا مميزًا في البشر؛ قدرتهم على تشكيل حيوات المخلوقات الأخرى، لتغيير طبيعتها الجوهرية. قد يحدث هذا لي، لربما تغيرت، لعلي أتغير؟ من ذا الذي يعرف؟ أتمنى عدم حدوث ذلك. تمنيْت المحافظة على نقائي كما قيل لي، قويًا كقوة الأرقام الأولية، كالعدد سبع وتسعين.

جلست على مقعد وراقبت حركة المرور. بغض النظر عن المدة التي مكثت فيها على هذا الكوكب، كنت أشك في أنني سأعتاد رؤية السيارات، كانت مرتبطة بالجاذبية وضعف التكنولوجيا على الطرق، وبالكاد تتحرك في الشوارع، لوجود عدد كبير منها.

هل كان من الخطأ إحباط التقدم التكنولوجي لأنواع؟ كان هذا سؤالًا جديدًا في ذهني. لم أكن أريده هناك، لذلك شعرت بالارتياح الشديد عندما بدأ نيوتن بالنباح. استدرت لأنظر إليه. كان يقف ساكنًا، ورأسه ثابت في اتجاه واحد، بينما كان يواصل إحداث ضوضاء عالية قدر الإمكان.

هل من الخطأ إعاقة تقدم أحد الأجناس في الكون؟ سؤال جديد دار في ذهني. لم أرد التفكير فيه، ولهذا فرحت حين بدأ نيوتن بالنباح. استدرت لأراه. كان يقف بثبات، رأسه ثابت في اتجاه واحد، وينبح بأعلى صوت.

بد أنه يقول لي: «انظر! انظر! انظر!». بدأت أفهم لغته.

هناك شارع آخر، مختلف ومزدحم. منازل متراصفة تطل على الحديقة.

استدرت نحوها، كما أرادني نيوتن بوضوح أنْ أفعل. رأيت غليڤر، بمفرده، يسير على طول الرصيف، بذل قصارى جهده

للاختباء خلف شعره. كان من المفترض أن يكون في المدرسة. ولم يكن كذلك، لعل المدرسة البشرية عبارة عن السير على طول الشارع والتفكير، وهو ما كان ينبغي أن يكون حقًّا. لقد رآني. تسمر في مكانه، ثم استدار وبدأ يمشي في الاتجاه المعاكس.

ناديته: «غليڤر! غليڤر!».

تجاهلني. وهم بالابتعاد أسرع مما فعل من قبل. تصرفاته تهمني، فداخل رأسه إحاطة بأن أصعب لغز حسابي في العالم قد حُل، ومن حله هو أبوه. لم أتصرف أمس. قلت لنفسي أنني بحاجة إلى العثور على مزيد من المعلومات، والتحقق من أن أندرو مارتن لم يُخبر أي شخص آخر. إضافة إلى ذلك، لعلي كنت في غاية الإجهاد بعد لقائي مع دانييل. فضلت الانتظار يوما أو يومين. تلك هي الخطة. قال لي غليڤر إنه لم يقل شيئًا لأحد، ولا ينوي ذلك، لكن كيف عساي أنْ أثق به؟ كانت أمه مقتنعة، الآن، أنه في المدرسة، وليس فيها. قمت من المقعد وخطوت على العشب الممتلئ بالقمامة إلى المكان الذي لا يزال نيوتن ينبح.

قلت للكلب: «لنغادر»، مدركًا أنه ربما كان عليّ قتل غليڤر من قبل.

وصلنا إلى الطريق الذي وقف غليڤر عليه تمامًا، ولذا قررت اللحاق به لمعرفة وجهته. توقف فجأة، وأخرج شيئًا من جيبه. علبة. أخرجَ شيئًا أسطوانيًّا ووضعه في فمه، ثم أشعله. استدار، لكني شعرت أنه سيفعل ذلك، فتواريْت خلف شجرة.

تابع المشي. سرعان ما وصل إلى طريق أكبر. طريق كوليريدج، كان هذا اسمه. لم يرغب في البقاء على ذلك الطريق مدة طويلة. سيارات كثيرة. فرص كثيرة كانت في متناولي. واصل المشي، وبعد مدة وصلنا إلى مكان لا مباني فيه أو سيارات أو أشخاص.

خشيت أن يستدير فجأة؛ إذ لا أشجار في القرب أو أي شيء آخر للاختباء خلفه، كما أني بعيد جدًّا عنه فيزيائيًّا ولا أستطيع التلاعب بذهنه. من اللافت أنه لم يلتفت أو يستدر. ولا مرة.

مررنا ببناء فيه سيارات كثيرة خالية من البشر، تلمع تحت الشمس. كلمة «هوندا» على المبنى. هناك رجل في الداخل، مرتديًا قميصًا وربطة، يشاهدنا. قطع غليڤر بعدها حقل عشب.

في نهاية المطاف، وصل إلى أربعة مسارات معدنية على الأرض، ممتدة بتوازٍ على مرأى البصر. وقف بلا حراك هناك، كأنه ينتظر شيئًا.

انتقل نظر نيوتن من غليڤر إلي، بقلق. فقلت له: «أششش. ابق هادئًا».

بعد زمن يسير، شاهدت قطارًا يقترب على طول القضبان. لاحظت إحكام غلق غليڤر لقبضة يده، وتصلب جسده كاملًا وهو على بعد متر واحد تقريبًا من مسار القطار. مع اقتراب القطار من غليڤر، نبح نيوتن، لكن صوت القطار طغى على صوت الكلب.

هذا مثير للاهتمام. لربما عليّ عدم فعل أي شيء. لعل غليڤر سيفعلها بنفسه.

مر القطار. فتح غليڤر قبضته، وبدا مسترخيًا مرة أخرى. أو ربما مُحبطًا. قبل استدارته، سحبت نيوتن وابتعدنا عنه.

وهكذا، تركت غليڤر.

سليمًا معافى.

عدت إلى المنزل مع نيوتن فيما واصل غليڤر طريقه. لم أملك أدنى فكرة عن وجهته، لكن كان من الواضح لي، من افتقاره إلى الاتجاه، أنه لم يكن سيتجه إلى أي مكان محدد. لذلك خلصت إلى أنه لن يقابل شخصًا ما. من الواضح أنّه أراد تجنب البشر.

ومع ذلك، علمت أن فعله خطِر. كنت أعلم أن المشكلة لا تكمن في إثبات نظرية ريمان فقط، بل في معرفة إمكانية إثباتها، وغليڤر يعرف هذا، داخل جمجمته، في أثناء تجوله في الشوارع.

ومع ذلك، بررت تأخيري في تنفيذ المهمة للقادة بأنهم قد أمروني بالتحلي بالصبر. طلبوا مني معرفة من له علم بحلها. إذا أردت إحباط التقدم البشري، فعليّ التصرف بدقة. قتل غليڤر الآن سابق لأوانه؛ فوفاته وموت والدته سيكونان آخر عمليّن سأُقدم عليهما لكيلا أثير ارتياب البشر.

نعم، هذا ما قلته لنفسي، حيث فككت طوق نيوتن ودخلت المنزل مرة أخرى، ثم ولجت إلى جهاز الكمبيوتر الذي في غرفة الجلوس، وكتبت في خانة البحث (حدسية بوانكاريه).

سرعان ما وجدت أن إيزوبل على حق. حلّ هذا التّخمين- المتعلق بعدد من القوانين الطوبولوجية الأساسية جدًا حول الكرات والفضاء رباعي الأبعاد- عالم رياضيات روسي اسمه

غريغوري بِرلمان. في 18 مارس 2010. قبل أكثر من ثلاث سنوات بقليل، أعلن معهد كلاي للرياضيات عن فوزه بجائزة الألفية، لكنه رفض استلام الجائزة والمبلغ.

قال للجنة المنظمة: «لست مهتمًا بالمال أو الشهرة. أرفض عرضي كحيوان في حديقة حيوان. لست بطلًا في رياضيات.

البشر متعجرفون. البشر متعجرفون. لا يهتمون إلا بالمال والشهرة. لا يُقدرون الرياضيات من أجل الرياضيات، بل لما يمكن أنْ يكتسبوه منها.

سجلت خروجي من الحاسب الآلي. شعرت بالوهن فجأة. كنت جائعًا. لا بد أنّ هذا هو السبب. فذهبت إلى المطبخ وبحثت عن الطعام.

أكلت بعض القُبار، ثم مُكعب مرق، ثم مضغت ساق نبات اسمه كرفس. في النهاية، أخرجت بعض الخبز، وهو عنصر أساسي في المطبخ البشري، وبحثت في الخزانة عن شيء ما لأضعه عليه. كان السكر الناعم خياري الأول. ثم جربت بعض الأعشاب المختلطة. لم يرضني طعم أي منهما. بعد ارتياع شديد وتحليل المعلومات الغذائية، قررت تجربة شيء اسمه زبدة الفول السوداني المقرمش.

وضعته على الخبز وأعطيته للكلب. أحبه.

سألته: «هل أجربه؟».

أجل، جربه بالطبع. تهيأ لي أنه يقول لي. كلمات الكلاب لم تكن كلمات بالمعنى الصحيح. أشبه بكلمات. (أنغام صامتة، جميعها متشابه). إنها لذيذة جدًّا.

رأيه صحيح.

وضعتها في فمي، وبدأت أمضغ. أدركت أن الطعام البشري يمكن أنْ يكون جيدًا. لم أستمتع بالطعام من قبل. أفكر الآن في الأمر، لم أستمتع بأي شيء من قبل. لكن اليوم تحديدًا، حتى وسط مشاعري الغريبة من الضعف والشك، جربت مُتعتي في الموسيقى والطعام. وربما حتى الاستمتاع البسيط بمصاحبة كلب.

بعد قضمي كسرة خبز مدهونة بزبدة الفول السوداني، صنعت قطعة أخرى لنا، ثم أخرى، ثبت أن شهية نيوتن مطابقة لشهيتي.

صمته أبلغ من الكلمات. في أثناء تحديقي في عينيه اللامعتين الصادقتيْن شعرت برغبة عارمة في إخباره بالمزيد.

قلت له: «قتلت شخصًا» شعرت براحة، ثم تابعت حديثي: «في تصنيف البشر أنا قاتل، مصطلح للحكم على الآخرين، مبني في هذا الحال على أحكام خاطئة. كما تعلمون، أحيانًا لتنقذ شيئًا ما، عليك أنْ تقتل جزءًا منه. ومع ذلك، فإن القاتل – هذا ما كانوا ينادوني به. لا يعني هذا أنهم قادرون على معرفة كيفية ارتكابي الجريمة.

«كما تعلم بلا شك، لا يزال البشر في مرحلة تطورهم حيث يرون فرقًا قويًا بين العقل والجسد في ذات الجسد. لديهم مستشفيات للأمراض العقلية ومستشفيات للجسم، كما لو أن أحدهما لا يؤثر بشكل مباشر في الآخر. وهكذا، إذا لم يتمكنوا من تقبل أن عقل المرء مسؤول بشكل مباشر عن جسده، فمن غير المرجح أن يتحملوا تحكم عقل -وإن لم يكن لإنسان- في جسد شخص آخر. بالطبع، مهاراتي ليست نتاج علم الأحياء فقط. لدي تكنولوجيا خفية. مكمنها الآن في يدي اليسرى. سمحت لي باتخاذ هذا الشكل، وتسمح لي بالتواصل مع كوكبي وتشحذ ذهني. تجعلني قادرًا على التلاعب بالعمليات العقلية والجسدية. يمكنني التحريك عن بعد - انظر، انظر الآن، انظر إلى ما أفعله بغطاء جرة زبدة الفول السوداني - وأيضًا شيء قريب جدًا من التنويم المغناطيسي. كل شيء سلس على الأرض. العقول والأجساد والتقنيات تتقارب تقاربًا بديعًا».

رن الهاتف في تلك اللحظة. كان قد رن سابقًا، ولم أجب عليه.

هناك أمزجة، كما أن هناك بعض أغاني بيتش بويز (مثل: في غرفتي، وحده الرب يعلم، سلون جون بي) جميلة لدرجة عدم تعكيرها.

لكن زبدة الفول السوداني قد انتهت، ونيوتن وأنا حدقنا في بعضنا في حزن متبادل. «أنا آسف يا نيوتن. يبدو أن زبدة الفول السوداني قد انتهت».

مستحيل. لا بدّ أنك مُخطئ. تأكد مرة أخرى.

تحققت مرة أخرى. «لا لست مخطئًا».

تأكد جيدًا. كانت تلك مجرد لمحة.

تأكدت جيدًا. حتى أني أريته قعر العلبة. لم يصدقني، فقربتها من أنفه، حيث أرادها تمامًا. آه، هل ترى؟ هناك بعض الزبدة. انظر. انظر، ثم لعق العلبة حتى تأكد بنفسه من انتهاء الزبدة. ضحكت بصوت عالٍ. لم أضحك من قبل. شعورٌ في غاية الغرابة، لكنه لم يكن مزعجًا، توجهنا بعدها إلى غرفة الجلوس وجلسنا على الأريكة.

ما سبب وجودك هنا؟

أجهل إن كانت عينا الكلب تسألاني هذا السؤال، لكني أجبته على أي حال. «أنا هنا لتدمير المعلومات. المعلومات الموجودة في أجسام بعض الآلات وعقول بعض البشر. هذه هي غايتي. على الرغم —من الواضح— من قيامي بجمع المعلومات أيضًا. ما مدى تقلب أمزجتهم؟ مدى عنفهم؟ مدى خطورتهم على الآخرين

وأنفسهم؟ هل عيوبهم -ويبدو أن هناك عددًا قليلاً- لا يمكن التغلب عليها؟ أم أن هناك أملًا؟ هذا نوع الأسئلة التي أفكر فيها، حتى لو لم يُفترض فعلي لذلك. ولكن أولًا وقبل كل شيء، ما أفعله ينطوي على المحو».

نظر نيوتن إليّ باكتئاب، دون أنْ يحكم علي. وبقينا هناك، على تلك الأريكة الأرجوانية، مدة طويلة. أدركت حدوث شيء لي منذ سماعي للحنيْ ديبوسي وفرقة بيج بويز. تمنيت لو لم أسمعهما قط. جلسنا صامتيْن مدة عشر دقائق. لم يتغير مزاجنا المزاج الحزين إلا بعد سماعنا فتح وإغلاق الباب الأمامي.

عاد غليفر. انتظر بصمت في الردهة لحظة أو لحظتيْن، ثم علق معطفه وأسقط حقيبته المدرسية. جاء إلى غرفة المعيشة، ببطء. لم يتواصل معي بعينيْه.

«لا تُخبر أمي، اتفقنا؟»

«ماذا؟ لا أخبرها عن ماذا؟»

كان مُربكًا. «أني لم أكن في المدرسة».

«حاضر. لن أفعل»

نظر إلى نيوتن الذي كان رأسه على حضني. بدا متحيرًا، لكنه لم يقل شيئًا. استدار باتجاه السلالم. سألته: «ماذا كنت تفعل عند سكة الحديد؟»

لاحظت توتر يديْه. «ماذا؟»

«وقفت دون فعل أي شيء عند مرور القطار».

«هل تعقبتني؟»

«نعم، نعم تعقبتك. لم أكن سأخبرك. أنا متفاجئ لأني أُخبرك الآن. تغلبت غريزتي علي».

تتهد تنهدًا مكتومًا، ثم صعد الطابق العلوي.

بعد مدة، في أثناء وجود الكلب في حضنك، ستدرك ضرورة مداعبته. لا تسألني عن كيفية مداعبته. من الواضح أن للأمر علاقة بأبعاد الجزء العلوي من جسم الإنسان. على أي حال، مسّدت الكلب وفي أثناء قيامي بذلك شعرت بشعور ممتع وحنون.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عادت إيزوبِل. غيرت جلستي لأراها في أثناء دخولها من الباب الأمامي. فقط لألاحظ الجهد البسيط اللازم لدفع الباب، إدخال المفتاح، وإغلاق الباب، ومن ثم وضع المفتاح (والأشياء المُعلق بها) في سلة بيضاوية صغيرة على قطعة خشبية ثابتة. سحرني ذلك المشهد. فعل كل ذلك بحركات انسيابية متتابعة تُشبه الرقص. دون تفكير في الخطوات. كان من المُفترض أنْ أدري تلك الأمور، لكني لم أفعل. يبدو أنها تنجز مهمات إضافية. لحن، يعلو الإيقاع. ومع ذلك، كانت لا تزال بشرية.

سألتني: «ما بال نيوتن؟»

«باله؟»

«يبدو نشيطًا»

«حقًّا؟»

«أجل. كأنّ عينيْه أكثر حيوية»

«أوه. لربما بسبب زبدة الفول السوداني. والموسيقا»

«زبدة الفول السوداني؟ لم تستمع إلى الموسيقا نهائيًّا. هل استمعت إليها؟»

«أجل. فعلنا»

نظرت إليّ بارتياب. «صحيح. فهمت».

«استمعنا إلى الموسيقا طوال اليوم»

«كيف حالك؟ أعني، كما تعرف، بخصوص دانييل»

أفترض أني كنت أتأقلم معها ومع البشر بشكل عام. فيزيائيًا، على الأقل خارجيًا، كنت واحدًا منهم أيضًا. اعتيادٌ جديدٌ، بمعنى ما. ومع ذلك، فإن معدتي كانت تتقلب معها أقل بكثير مما كانت عليه مع رؤية الآخرين الذين رأيتهم يمشون عبر النافذة، ويحدقون إليّ. في الواقع، في ذلك اليوم، أو في

تلك النقطة في ذلك اليوم، لم تتقلب على الإطلاق.

قالت: «أشعر بأن عليّ الاتصال بتابيثا. لكن الأمر صعب أليس كذلك؟ ستنهار نفسيًا. قد أبعث بريدًا إلكترونيا إليها، وأخبرها إذا كان بوسعي فعل أي شيء لمساعدتها».

أومأت بالإيجاب. «فكرة جيدة».

تأملتني مدة من الزمن.

قالت بتردد أقل: «نعم. أعتقد ذلك»، ثم نظرت إلى الهاتف وسألت: «هل اتصل أحد؟»

«أعتقد ذلك. رن الهاتف عدة مرات»

«ولم تجب؟»

«لا. لا، لم أفعل. لا أرغب في أي حديث مُطول، وأشعر بأني ملعون في الوقت الحالي. في المرة الأخيرة التي أجريت فيها محادثة مطولة مع شخص -بخلافك أنتِ وغليفر- مات أمامي»

«لا تقل شيئًا كهذا»

«كماذا؟»

«شيئًا سطحيًا. إنه يوم حزين»

قلت لها: «أعرف. فقط... إنه لم ينته بعد، حقيقةً». ابتعد للاستماع إلى الرسائل. عادت. «أشخاص كُثر يهاتفونك»

قلت: «أوه من؟»

«أمك، لكن احذر، فلعلها تتصرف بقلق سيجهدنا. عرفت عن حادثتك في الكلية. لا أعرف كيف. اتصلت الكلية أيضًا. أرادوا التحدث معك، والقيام بعمل جيد لمساعدتك. صحفي من أخبار كمبردج المسائية. حاول آري أنْ يكون لطيفًا. تساءل إنْ كنت ستذهب إلى مباراة كرة قدم يوم السبت. كما اتصلت امرأة». توقفت لحظة. «قالت إن اسمها ماغي».

«أوه أجل. ماغي»

رفعت حاجبها. هذا يعني شيئًا، لكن ليس لدي فكرة عن معناه. مسألة محبطة. كما تعلمون، لغة الكلمات هي إحدى اللغات البشرية. هناك لغات أخرى كثيرة، كما أخبرتك آنفًا. لغة التنهدات، لغة الصمت، وأهمها لغة العبوس.

ثم فعلت العكس، انخفض حاجباها إلى أقصى حد. تنهدت، ثم ذهبت إلى المطبخ.

«ماذا فعلت بالسكر الناعم؟»

«أكلته. كان خطأ. أعتذر»

«أرحب بإرجاعه إلى مكانه»

«نسيت. آسف»

«لا بأس. مر يوم ونصف. هذا كل ما في الأمر»

أومأت بالإيجاب محاولًا التصرف كالبشر. «ماذا تريدين أنْ أفعل؟ أعني، ماذا عليّ أنْ أفعل؟

«يمكنك البدء بمهاتفة والدتك. لكن لا تقل لها شيئًا عن المستشفى. أعرفك».

«ماذا تعرفين؟»

«تخبرها أكثر من اللازم»

هذا مقلق الآن. مقلق جدًّا في الواقع. قررت مهاتفتها فورًا.

مميـزة كصوتـي، الأم مفهـوم مميـز عنـد البشـر. يعرفـون أمهاتهـم تمـام المعرفـة، ويتواصلـون معهـن فـي حـالات كثيـرة. بالطبـع، بالنسـبة إلـى شـخص مثلـي، هـذه فكـرة غريبـة لشـخص لا يعـرف أمـه. فكرة غريبـة، خفـت مـن خوضهـا. لكنـي فعلـت، لأن إذا كان ابنهـا قـد أخبرهـا بمعلومـات كثيـرة، فـلا بـد أنْ أعـرف.

«أندرو؟»

«نعم أمي. هذا أنا»

«أوه أندرو» تكلمت بتردد عال. أعلى تردد سمعته على الإطلاق.

«مرحبًا ماما»

«أندرو، أنا وأبوك قلقان أشد القلق بخصوصك»

«أوه حـدث لـي أمـر بسيط. فقـدت ذاكرتـي مؤقتًـا. نسيت ارتـداء ثيابـي. هـذا كل مـا فـي الأمـر»

«أهذا كل ما لديك لتقوله؟»

«لا. لا. ليس كل شيء. يجب أنْ أسألك سؤالًا يا أمي. سؤالًا مهمًا»

«أوه أندرو ما الأمر؟»

«الأمر؟ أي أمر؟»

«هل يتعلق الأمر بإيزوبِل؟ هل تزعجك مرة أخرى؟

انفجـرت تنهيـدة. «أجـل أخبرتنـا منـذ أكثـر مـن عـام أنـك وإيزوبِـل تواجهـان صعوبـات. أنهـا لـم تعـد تتفهـم أعبـاءك الوظيفيـة. لا تسـاندك»

فكرت بإيزوبِل التي تكذب بخصوص نهارها لكيلا تُقلقني، تعد الطعام لي، وتمسد بشرتي.

فقلت لها: «لا. إنها تسانده. تساندني»

«غليفر؟ ماذا عنه؟ اعتقدت أنها قد جعلته ضدك. بسبب الفرقة التي أراد الانضمام إليها. لكنك على حق يا عزيزي. يجب ألا يتسكع مع الفرق الموسيقية. خاصة بعد أفعاله».

«الفرقة؟ لا أعلم يا أمي لا أعتقد أن الأمر كذلك».

«لماذا تناديني أمي؟ أنت لا تناديني أمي بتاتًا.

«لكنك أمي. ماذا أسميك؟»

«ماما. أنت تناديني ماما.»

قلت: «ماما». بدا أكثر الكلمات غرابة. «ماما. ماما. ماما. ماما. ماما، اسمعي، أريد أن أعرف إن كنت قد كلمتك في الآونة الأخيرة.»

لم تصغ إلي. «ليتنا معك»

قلت: «تعالي». كنت مهتمًا برؤية شكلها. «تعالي الآن»

«حسنًا، يفرقنا اثنا عشر ألف ميل»

قلت: «أوه». اثنا عشر ألف ميل لا بد أنها مسافة كبيرة. «إذن تعالي عشر اليوم».

ضحكت الأم. «ما زلت تحتفظ بخفة ظلك.

«أجل. ما زلت خفيف الظل. اسمعي، هل كلمتك يوم السبت الماضي؟»

«لا يا أندرو. هل فقدت ذاكرتك؟ هل هو فقدان ذاكرة مؤقت؟ تتصرف كأنك مصاب بها»

«أنا مشوش الذهن بعض الشيء. هذا كل ما في الأمر. قال الأطباء أني أجهدت نفسي في العمل في الآونة الأخيرة»

«أجل، أجل، أعرف. لقد أخبرتنا».

«إذن فماذا أخبرتك؟»

«أنك بالكاد تنام. أنك تعمل بجد أكبر من ذي قبل، على الأقل منذ رسالة الدكتوراه»

ثم ذكرت لي معلومات لم أطلبها؛ بدأت تتحدث عن عظم وركها. كان يسبب لها الكثير من الألم. كانت تتناول دواء لتخفيف الآلام لكنه لم ينجح. وترتني تلك المكالمة وأشعرتني بالتقزز. كانت فكرة الألم المطول غريبة جدًا بالنسبة إليّ. اعتبر البشر أنفسهم متقدمين طبيًا تمامًا لكنهم لم يحلوا هذه المشكلة بأي طريقة ذات مغزى. تمامًا كما لم يحلوا مشكلة الموت بعد.

«أمي. ماما. اسمعي، ماذا تعرفين عن نظرية ريمان؟»

«تلك التي انشغلت فيها، صحيح؟»

«انشغلت فيها؟ انشغلت فيها. أجل. ما زلت منشغلًا فيها، ولن أتمكن من حلها بتاتًا. أدرك هذا الآن»

«أوه، لا بأس يا حبيبي. لا ترهق نفسك فيها. الآن، اسمع...»

سرعان ما عادت إلى موضوع ألمها. أخبرها الطبيب بضرورة استبدال مفصل الورك. سيكون مصنوعًا من التيتانيوم. كدت أشهق حين أخبرتني عنه التيتانيوم، فالبشر ما زالوا يجهلون أضراره. سيكتشفون ذلك في وقت ما»

ثم بدأت تكلمني عن «أبي» وازدياد واضمحلال ذاكرته. أمره الطبيب ألا يقود سيارته بعد الآن، وأنه من غير المرجح أنْ ينتهي من كتاب نظرية الاقتصاد الكلي الذي يتمنى نشره.

«هـذا يقلقنـي عليـك يـا أنـدرو. كمـا تعلـم، أخبرتـك الأسـبوع الماضـي فقـط بمـا قالـه الطبيـب، حـول أهميـة إجـراء فحـص للدماغ. قـد ينتقـل بالوراثـة».

قلـت: «أوه». لـم أكـن أعـرف حقًّـا مـا هـو مطلـوب منـي أيضًـا. الحقيقـة هـي أننـي أردت إنهـاء المكالمـة. كان مـن الواضـح أننـي لـم أخبـر والـديّ. أو لـم أخبـر أمـي، فـي كل الأحـوال، ويبـدو أن والـدي سيفقد أي معلومـة قلتهـا لـه. كمـا بـدأت المكالمـة تحبطنـي. كانـت تجعلنـي أتأمـل حيـاة الإنسـان كمـا لـم أفعـل مـن قبـل. أدركـت أن حياتـه تسـوء مـع تقدمـه بالعمـر. تصـل، بقدمـي ويـدي طفـل بسـعادة غامـرة، ثـم تتبخـر سـعادتك ببـطء مـع نمـو قدميْـك ويديْـك. بعدهـا، مـن سـنوات المراهقـة فمـا بعـد، تتسـرب السـعادة مـن بيـن أصابعـك، وفـور تسـربها تصبـح لهـا كتلـة. كأن معرفـة إمكانيـة تسـربها قـد صعّـبَ القبـض عليهـا، مهمـا كان حجـم قدميْـك أو يديْـك كبيـرًا.

ما الذي أشعرني بالاكتئاب؟ لماذا أهتم ولن أمر بما مروا به؟

مـرة أخـرى شـعرت بامتنـان عـارم لأن شـكلي فقـط بشـري، ولسـت منهم.

واصلـت كلامهـا. فـي أثنـاء ذلـك، أدركـت أنـه لا يمكـن أنْ يكـون هنـاك عواقـب كونيـة نهائيًّـا إذا توقفـت عـن الاسـتماع، فأغلقـت الهاتـف.

أغمضـت عينـي، وأردت ألا أرى شـيئًا، لكنـي رأيـت. رأيـت تابيثـا مائلـة فـوق زوجهـا وهـي تضـع حبـة الإسـبرين فـي فمـه. تسـاءلت إن كانـت أمـي بعمـر تابيثـا أم أكبـر.

فتحت عيني وشاهدت نيوتن واقفًا هناك، ينظر إلي. فهمت من عينيّه أنه متحير.

لماذا لم تودعها؟ لماذا يودعون بعضهم؟.

بعدها، بغرابة، فعلت شيئًا لم أفهمه نهائيًّا. رفعت السماعة، ثم تكلمت: آسف ماما. قصدت مع السلامة».

- مرحبًا. مرحبًا. هل يمكنكم سماعي؟ أنتم هناك؟

- نسمعك. نحن هنا.

- أصغوا، أمان. دمرت المعلومة. في الفترة الحالية، سيبقى البشر عند مستوى ثلاثة. لا داعي للقلق.

- دمرت كل الإثباتات، والمصادر المحتملة؟

- دمرت المعلومات على حاسوبيّ أندرو ودانييل رسِل. ذبحة صدرية. كان سيتعرض لها في أي وقت، ولهذا وجدت أنها أكثر طرق الموت منطقية.

هل دمرت إيزوبِل مارتن وغليڤر مارتن؟

لا. لم أفعل. لا داعي لتدميرهما.

لا يعرفان؟

غليڤر مارتن يعرف. إيزوبِل لا تعرف. لكن ليس لغليڤر نية في إخبار أحد.

يجب أنْ تقضي عليه. يجب أنْ تقضي عليهما.

لا. لا داعي. إذا أردتم أنْ أفعل ذلك، إذا كنتم تعتقدون فعلًا أنه مطلوب، فسأتلاعب بالخلايا العصبية في دماغيْهما. يمكنني جعله ينسى ما الذي قاله له أبوه، وهو لا يعرف أصلًا. لا يفهم الرياضيات.

تأثير أي تلاعب بالدماغ سيختفي بمجرد عودتك إلى الوطن. تعرف هذا.

لن يقول شيئًا.

لعلـه تكلـم بالفعـل. لا يمكـن الوثـوق بالبشـر. إنهـم لا يثقـون بأنفسـهم.

لم يفعل غليڤر شيئًا، وإيزوبِل لا تعرف شيئًا.

يجب أنْ تكمل مهمتك. إذا لم تكملها، سيكملها شخص ما لك.

لا. لا. سأكملها. لا تقلق. سأكمل مهمتي.

الفصل الثاني

أمسكت بجوهرة بين أصابعي

- لا يمكنك أن تقول إن أ مصنوع من ب. كل الكتلة عبارة عن تفاعل.

(ريتشارد فريمان)

- جميعنا نتوق إلى شيء لا نعرف أننا نتوق إليه.

(ديڤيد فوستر والس)

- بالنسبة إلى مخلوقات صغيرة مثلنا، فإن رحابة الكون لا تطاق إلا بالحب.

(كارل ساغان)

وقفت بجانب سريره في أثناء نومه. لا أعرف كم من الوقت وقفت هناك، في الظلام، أستمع إلى تنفسه يزداد عمقًا وهو يحلم الأحلام. نصف ساعة، ربما.

لم يسحب ستار النافذة إلى أسفل، فنظرت إلى الخارج. لا يوجد قمر من هذه الزاوية، لكن بإمكاني مشاهدة بضعة نجوم. الشموس تضيء أنظمة شمسية في كل مكان، هي بلا حياة. لا بد أن هذا يؤثر فيهم. لا بد أن هذا يمنحهم أفكارًا فوق قدراتهم. لا بد أن هذا سيقودهم إلى الجنون.

تقلب غليفر، فقررت الانتظار مدة أطول. إما الآن وإما فلا.

قلت له: ستعيد لحافك إلى مكانه، بصوت لم يكن ليسمعه لو كان مستيقظًا لكن وصله عبر موجات ثيتا، وأصبحت أمرًا من دماغه. وستستيقظ ببطء على سريرك، قدماك ستطآ السجادة الصغيرة وستتنفس، ثم تقف.

ففعل، في الواقع، وقف. بقي هناك، وتنفس بعمق وبطء، وانتظر الأمر التالي.

ستمشي إلى الباب. لا تقلق بشأن فتح الباب، لأنه مفتوح. هناك. امش، فقط امشِ إلى الباب.

فعل ما قلته له حرفيًا.

اقتربت منه، وتمكنت من شم رائحة النوم منه. رائحة خاصة بالبشر، وتذكرت: يجب أن تكمل مهمتك. إذا لم تكمل مهمتك،

فسنرسل من يكملها لك. ابتلعت ريقي. جفاف فمي الشديد آلمني. شعرت بالامتداد اللا نهائي للكون خلفي، قوة هائلة وإنْ كانت محايدة. حياد الزمان والفضاء والرياضيات والمنطق والبقاء على قيد الحياة. أغمضت عينيّ.

انتظرت.

ثم فتحتهما حين أمسكني من عنقي. بالكاد استطعت التنفس.

كان قد استدار 180 درجة، ويده اليسرى ممسكة برقبتي. أبعدت رقبتي، فعاجلني بضربات غاضبة من قبضتيْ يديْه.

أمسك بجزء من رأسي. مشيت إلى الوراء بعيدًا عنه، لكنه كان يمشي إلى الأمام بذات سرعتي. عيناه مفتوحتان. قادر على رؤيتي. رآني ولم يرني لا فرق. كان بإمكاني أنْ آمره بالتوقف، لكني لم أفعل. لعلي أردت مشاهدة بعض العنف البشري مباشرة أولًا، حتى لو كان بلا إدراك منه لأفهم مهمتي. بفهمها سأتمكن من تنفيذها. أجل، لعل هذا هو الصواب.

«رااا»

أيقظه صراخي. وهنت قدماه، وكاد يسقط على الأرض، لولا تعافيه في الوقت المناسب.

قال: «أنا ...». لم يعرف مكانه لبرهة. نظر إلي، في الظلام، نظرة واعية هذه المرة. «أبي؟»، فأومأت مع تدفق الدم ببطء إلى فمي. صعدت إيزوبِل إلى العلية. «ماذا حدث؟»

«لا شيء. سمعت ضوضاء، فصعدت إلى العلية. كان غليفر يسير في أثناء نومه. هذا كل شيء».

أضاءت الغرفة. شهقت عندما رأت وجهي. «أنت تنزف»

«لا بأس. لم يعرف أنه كان يخنقني»

«غليڤر»

كان جالسًا على حافة سريره الآن، نكص من الضوء. نظر إلى وجهي ولم يقل شيئًا.

أراد غليفر العودة إلى سريره. للنوم. لذلك، بعد عشر دقائق، كنت أنا وإيسوبيل بمفردنا، وكنت جالسًا على جانب حوض الاستحمام في أثناء وضعها محلولًا مطهرًا اسمه TCP على قطعة قطنية دائرية، ثم وضعتها برفق على جبهتي، ثم على شفتي.

الآن، هذه جروح يمكنني معالجتها بفكرة واحدة. للشعور بالألم، أحيانًا، كان كافيًا لإلغائها. ومع ذلك، حتى عندما لسعني المطهر عند ملامسة كل جرح، بقيت الإصابات. أجبرتها على البقاء. لا يمكن أنْ تشك فيّ. هل هذا كل ما في الأمر؟

«ما حال أنفك؟» سألتني. رأيته في المرآة. مسحة واحدة حوله.

«لا بأس» لمسته. «ليس مكسورًا».

حدقت في بتركيز. «جرح جبينك سيئ جدًا، وستتكون كدمة كبيرة هنا. لا بد أنه قد ضربك بقوة. هل حاولت مقاومته؟»

«أجل». كذبت. «فعلت، لكنه استمر في ضربي».

يمكنني شم رائحتها. رائحة بشرية نظيفة؛ روائح السوائل التي استخدمتها لغسل وجهها وترطيبه. رائحة شامبو. أثر بسيط للأمونيا أقل بكثير من رائحة المطهر المركزة. كانت أقرب إليّ جسديًا مما كانت عليه في أي وقت مضى. نظرت إلى رقبتها. عليها شامتان داكنتان صغيرتان، قريبتان من بعضها، كأنهما نجمان مجهولان. فكرت في تقبيل أندرو مارتن لها. هذا ما يفعل

البشر. يقبلون بعضهم. فعل غير منطقي كأفعال بشرية كثيرة. قد أفهم منطق التقبيل إذا جربته.

«هل قال أي شيء؟»

قلت: «لا. لا. صرخ فقط. كان بدائيًا جدًا»

«لا أعرف ما المشكلة بينك وبينه. لا تنتهي»

«ما الذي لا ينتهي؟»

«القلق»

رمت القطنة الملطخة بالدم في سلة مهملات صغيرة إلى جانب الحوض.

قلت لها: أنا آسف. آسف على كل شيء. على الماضي والمستقبل». اعتذار قلت في أثناء التوجع، جعلني أقرب ما أكون إلى الإنسان. كدت أكتب قصيدة.

عدنا إلى السرير. أمسكت يدي في الظلام. سحبتها بلطف.

قالت: «لقد فقدناه». احتجت لوهلة لأفهم أنها تتكلم عن غليڤر.

فقلت لها: «لربما علينا تقبله كما هو، حتى لو كان مختلفًا عما عرفناه».

«لا أفهمه. تعرف، إنه ابننا، ونعرفه منذ ستة عشر عامًا، ومع هذا، أشعر أني لا أعرفه مطلقًا».

«ربما علينا عدم التعمق في فهمه، وتقبله أكثر»

«أمر في غاية الصعوبة، وشيء غريب يخرج من فمك يا أندرو»

«إذن فأفترض أن السؤال التالي هو: ماذا عني؟ هل تفهمني؟»

«لا أعتقد أنك تفهم نفسك يا أندرو»

لست أندرو. أعرف أني لست أنديو. ولست نفسي أيضًا. كنت ولم أكن، تلك هي المشكلة. كنت مستلقيًا في سرير مع إنسانة أرى الآن أنها جميلة، بعناد أستشعر لسعات المطهر على جروحي، وأفكر في بشرتها الغريبة المذهلة، وطريقة اهتمامها بي. لم يهتم أي شخص في الكون بي. (لم تهتم أنت بي، أليس كذلك؟).

عندنا تكنولوجيا تعتني بنا، ولم نحتج إلى مشاعر. نحن وحيدون. عملنا معًا لتحفظاتنا لكن عاطفيًّا لم نحتج إلى أي شخص. احتجنا فقط إلى صفاء الحقيقة الرياضية، ومع هذا، خشيت النوم، لأن في لحظة نومي، ستشفى جروحي، وحينذاك لم تكن تلك رغبتي. حينذاك، وجدت عزاء غريبًا وحقيقيًّا في آن واحد في الألم.

مخاوفي كثيرة الآن. أسئلة كثيرة.

سألتها: أتعتقدين أنه يمكن فهم البشر؟»

«كتبت كتابًا عن شارلمان. أتمنى هذا»

«لكن البشر، بحالاتهم الطبيعية، هل هم صالحون أم طالحون، ما رأيك؟ هل يمكن الوثوق بهم؟ أمْ أن طبيعتهم الحقيقية عنيفة وجشعة وفظة؟»

«هذا أقدم سؤال»

«ما رأيك؟»

«أنا متعبة. أعتذر»

«أجل، أنا أيضًا متعب. أراك صباح الغد.

«عمتَ مساء»

«عمتِ مساء»

بقيت مستيقظًا مدة من الوقت في حين غطت إيزوبِل في النوم. المشكلة هي عدم اعتيادي على الليل بعد. ربما لم يكن معتمًا كما اعتقدت في البداية؛ فهناك: ضوء القمر، وضوء النجوم، وتوهج الهواء، ومصابيح الشوارع، وضوء الشمس مبعثرًا بالغبار بين الكواكب، لكن البشر ما زالوا يقضون نصف وقتهم في الظل العميق. كنت متأكدًا من أن هذا كان أحد الأسباب الرئيسة للعلاقات الشخصية والجنسية هنا. الحاجة إلى إيجاد الراحة في الظلام. وكان من المريح أن أكون بجانبها. لذلك بقيت هناك، أسمع أنفاسها تتحرك داخلًا وخارجًا، تبدو كأنها مد بحر غريب. في مرحلة ما، لمست إصبعي الصغيرة إصبعها، في الليلة المزدوجة أسفل اللحاف، وهذه المرة احتفظت به هناك وتخيلت أنني حقًّا ما اعتقدت أنني كنت عليه. وأننا كنا متصلين. بشريون بدائيون بما فيه الكفاية ليهتم بعضهم ببعض. فكرة مريح ستقودني إلى النوم، لكن البشر لا يزالون يمضون نصف وقتهم في ظلام عميق. هذا –متيقن من كلامي– هو أحد الأسباب الرئيسة للعلاقات الشخصية والجنسية هنا. أحتاج إلى إيجاد الراحة في الظلام، ووجودي إلى جانبها مريح. لذا بقيت في مكاني أستمع إلى شهيقها وزفيرها اللذين يشبهان مَد بحر غريب. لمس خنصري خنصرها، في الليلة المزدوجة أسفل اللحاف، لم أسحبه وتخيلت أني أندرو زوجها، وأننا مرتبطان. بشريان، بدائيان بما يكفي للاهتمام ببعضهما. في التفكير فيها سلوان جعلني أنام.

قد أحتاج إلى المزيد من الوقت.

لا تحتاج إلى وقت.

سأقتل من أحتاج إلى قتله. لا تقلق.

لسنا قلقين.

لكني لست هنا من أجل تدمير المعلومات. أنا هنا لجمعها. هذا ما قلته، أليس كذلك؟ أمور تتعلق بفهم الرياضيات يمكن قراءتها عبر الكون، أعرف هذا. لا أقصد الومضات العصبية. أعني عن الأمور التي يمكن جمعها فقط من هنا، على الأرض ذاتها. لنفهم أكثر طريقة عيش البشر. مضى وقت طويل على مجيء أي شخص إلى هنا، على الأقل بمفهوم البشر.

فسر لماذا تحتاج إلى وقت أكبر لإتمام المهمة. التعقيد يحتاج إلى وقت، لكن البشر بدائيون. إنهم أبسط الألغاز.

لا. أنت مخطئ. إنهم موجودون في عالميْن في آن واحد؛ عالم المرئيات وعالم الحقيقة. مظاهر الاتصال بيْن هذيْن العالميْن تأخذ أشكالًا كثيرة. حين وصلت أول مرة هنا لم أفهم بعض الأمور. على سبيل المثال، لم أفهم أهمية الملابس. أو لماذا تصبح البقرة الميتة لحمًا، أو لماذا يُقطع العشب بشكل معين يُمنع المشي عليه، أو أهمية الحيوانات الأليفة المنزلية.

يخاف البشر من الطبيعة، ويطمئنون كثيرًا عندما يثبتون لأنفسهم أنهم يتسيدونها. هذا هو سبب وجود المروج، وسبب

تطور الذئاب إلى كلاب، وسبب هندسة معمارهم بأشكال غير طبيعية. لكن، في الحقيقة، الطبيعة النقية مجرد رمز لهم. رمز للطبيعة البشرية. إنها مُتغيرة. إذن ما أقوله –

ماذا تقول؟

أقول إن فهم البشر يحتاج إلى وقت، لأنهم لا يفهمون أنفسهم. يرتدون الملابس منذ زمن طويل. ثيابًا مجازية. هذا ما أتكلم عنه. كان هذا ثمن الحضارة البشرية – لخلقها، كان عليهم إغلاق الأبواب على ذواتهم الحقيقية. ولهذا هم تائهون، هكذا أفهمهم. ولهذا اخترعوا الفنون مُتمثلة في: الكتب، والموسيقى، والأفلام، واللوحات، والمنحوتات. ابتدعوها كجسور تصلهم بذواتهم، بحقيقتهم. لكن مهما اقتربوا، فقد تمت إزالتهم إلى الأبد. ما أقوله، على ما أعتقد، هو أني كنت على وشك قتل الفتى غليڤر الليلة الماضية. كان على وشك السقوط من الدرج في أثناء نومه، ولكن بعد ذلك ظهرت طبيعته الحقيقية وهاجمني.

هاجمك بماذا؟

بنفسه. بذراعيْه. بيديه. كان لا يزال نائمًا، لكن عينيه مفتوحتان. لقد هاجمني، أو هاجم جسد الشخص الذي يحسبه والده. غضب عارم.

البشر عنيفون. هذا ليس بجديد.

لا. أعرف. لكنه استيقظ، ولم يكن عنيفًا. ذلك هو الصراع الذي لديهم. وأعتقد أننا إذا فهمنا الطبيعة البشرية قليلًا،

فسنعرف كيفية التصرف في المستقبل، إذا تطوروا باختراعاتهم. في المستقبل، إذا اكتظ كوكبنا بالسكان مشكلًا أزمة، فستكون الأرض حينها خيارًا محتملًا لجنسنا. إذن، فأكبر قدر من المعرفة عن النفسية البشرية والمجتمع والسلوك سينفعنا!

يتسمون بالجشع.

ليسوا جميعًا. على سبيل المثال، هناك عالم رياضيات اسمه غريغوري بِرلمان. رفض استلام أموال وجوائز. يهتم بأمه. نظرتنا عن البشر مُشوهة. أعتقد أن تقصي المزيد عنهم سيفيدنا جميعًا.

لكنك لا تحتاج إلى البشر لهذا.

أوه، أحتاج.

لماذا؟

لأنهم يعتقدون أنهم يعرفونني. ولدي فرصة حقيقية لرؤيتهم. رؤيتهم ذواتهم الحقيقية. خلف جدران بنوها لأنفسهم. بمناسبة الحديث عن الجدران، لا يعرف غليفر شيئًا الآن. محوت معرفته بما قاله له والده في ليلته الأخيرة. لا خطر في أثناء وجوده هنا.

يجب أنْ تتصرف الآن. لا تملك السرمد.

أعرف. لا تقلق. لن أحتاج إلى السرمد.

يجب أنْ يموتوا.

أجل.

قالت إيزوبِل لغليفر عند تناول وجبة الإفطار في اليوم التالي: «عانيت من ذهان النوم». «إنه شائع جدًّا. الكثير من الناس مصابون به. الكثير من الناس العاديين والعقلاء تمامًا. مثل ذلك الرجل من R.E.M. كان مصابًا به، وكان من المفترض أن يكون لطيفًا مثل نجوم موسيقى الروك».

لم ترني. كنت قد دخلت المطبخ. لكنها لاحظت وجودي الآن وتحيرت فور رؤيتي. قالت: «وجهك! الليلة الماضية كانت هناك جروح وكدمات. لقد شفيت تمامًا!»

«لا بد أنه أفضل مما بدا عليه. لعل الليل يضخم كل شيء».

«صحيح، لكن حتى لو-»

نظرت إلى ابنها، يتناول حبوب الإفطار بصعوبة وقلق، وقررت عدم الاستمرار في حديثها»

قالت: «أنت بحاجة إلى يوم إجازة من المدرسة يا غليفر»

توقعت أنْ يوافق على رأيها، نظرًا لأنه يفضل التعليم الذي ينطوي على سكك القطار الحديدية. لكنه نظر إلي، فكر للحظة، ثم ختم كلامه: «لا. لا. لا بأس. أنا بخير».

بعد مدة من الوقت، لم يكن في المنزل إلا أنا ونيوتن. كنت لا أزال «أتعافى»، كما تعلم. التعافي شأنٌ بشري يوحي بأن الحياة الطبيعية الصحية تغطي شيئًا ما – العنف فيهم، العنف داخل غليفر الذي شاهدته. الصحة تعني التعافي. مرتديًا الثياب حرفيًّا

ومجازيًا. ومع ذلك احتجت إلى إيجاد ما الذي يوجد داخل البشر، شيء سيرضي القادة ويُبرر تأخيري في تنفيذ مهمتي. اكتشفت وجود كومة من الورق مربوطة بمطاط. كانت في خزانة ملابس إيزوبِل، مخبأة بين ثيابها الأساسية، مُصفرة بفعل تقدم الزمن. شممت الصفحة وخمنت أنْ عمرها عقد على الأقل. كُتب على الورقة العلوية عبارة «أرحب من السماء»، إضافة إلى: «رواية من تأليف إيزوبِل مارتن». رواية؟ قرأت القليل منها وأدركت أنه على الرغم من أن اسم الشخصية المحورية هو شارلوت، إلا أنه كان من الممكن أن إطلاق اسم إيزوبِل عليها بسهولة.

سمعت شارلوت نفسها وهي تتنهد، كآلة قديمة عفى عنها الزمن.

أثقلها كل شيء. طقوس وجودها اليومية البسيطة -وضع الأطباق في آلة غسل الأطباق، إحضار ابنها من المدرسة، والطبخ- تؤديها مُجبرة. الطاقة المتبادلة بين الأم وابنها قد احتكرها أوليڤر الآن.

إنه يركض بجموع منذ أنْ أحضرته إلى المنزل من المدرسة. يُطلق النار من مسدس أزرق أو أيا كان. لم تعرف سبب شراء أمها له. في الواقع، تعرف. لتُبرهن فكرة ما.

«الأولاد في الخامسة من العمر يريدون اللعب بالبنادق يا شارلوت. لا يمكنك حرمانهم من طبيعتهم»

«مت! مت! مت!»

أغلقت شارلوت باب الفرن وضبطت المؤقت.

استدارت لترى أوليڤر يوجه المسدس الأزرق الضخم إلى وجهها.

قالت له: «لا يا أوليڤر» بإنهاك أعياها عن مصارعة غضب ابنها. «لا تطلق النار يا حبيبي».

ثبت في مكانه، ثم أطلق طلقة رخيصة كهربائية بضع مرات، ثم ركض خارج المطبخ، عبر الردهة، وأباد بشكل صاخب كائنات فضائية غير مرئية وهو يصعد الدرج. تذكرت صدى ممرات الجامعة الهادئة، وأدركت أن اشتياقها إليها يبعث الألم في نفسها. أرادت العودة إلى التدريس من جديد، لكنها قلقت من أن الأوان قد فات. امتدت إجازة الأمومة إلى إجازة دائمة، وتزايد الاعتقاد بأنه يمكن تحقيق رغبتيْها في أنْ تكون أمًّا وزوجة، نموذج تاريخي، «كوني واقعية»، كما نصحتها والدتها دائمًا، بينما تتحقق من عدم وقوع زوجها الناجح في المتاعب.

هزت شارلوت رأسها في سخط مسرحي، كما لو أن جمهورًا يتابعها مكون من أمها ذات الملامح الصارمة تتابع تقدمها، وتدون الملاحظات على حامل أوراق في حجرها. كانت واعية لدورها الأمومي، تمامًا كانت قادرة على خلق دور لها خارج ذاتها، وهو جزء خُطط لها.

«لا تطلق النار يا حبيبي»

جلست القرفصاء لتنظر عبر باب الفرن. تحتاج اللزانيا إلى خمس وأربعين دقيقة إضافية، وجوناثان لم يعد بعد من مؤتمره. قامت وعادت إلى غرفة المعيشة. التمعت كؤوس الشراب في خزانة الأواني، تألقت كوعود كاذبة. أدارت المفتاح القديم وفتحت الباب. مدينة صغيرة من المشروبات الروحية في مكان معتم.

مدت يدها إلى قنينتيّ: (إمپاير ستيت) و(بومبي سافَرْ)، وصبت لنفسها كمية مسموحًا بها لمسائها.

جوناثان.

الخميس الأخير. الخميس الماضي.

اعترفت بهذه الحقيقة عندما جلست باسترخاء على الأريكة. زوجها لغز لم تعد تملك قوة لحله. على أي حال، معروف أن القاعدة الأولى للزواج هي: حل اللغز، وإنهاء الحب.

* * *

إذن، فأفراد الأسرة الواحدة يبقون مع بعضهم غالبًا. تمكنت الزوجات أحيانًا من البقاء مع الأزواج وتحمل أي بؤس شعرن به عبر كتابة الروايات وإخفائها تحت ثيابهن في الخزانة. تتحمل الأمهات أطفالهن، مهما كان عسر أولئك الأطفال، ومهما دفعوا والديْهم إلى الجنون.

على أي حال، توقفت عن القراءة في تلك اللحظة. شعرت أني أتدخل في شؤونها. غنية بعض الشيء، أعلم، لعيشها في كنف زوجها. أعدت الرواية إلى مكانها في خزانة الملابس تحت الملابس.

لاحقًا، أخبرتها بما وجدت.

حدجتني بنظرة عجزت عن تأويلها، واحمرت وجنتاها. لم أعرف إذا كان الاحمرار بسبب أحمر خدود أم غضب. لعله مزيج من الاثنين.

«أمرٌ خاص. ما كان عليك قراءتها»

«أعرف. لهذا السبب أردت قراءتها. أردت أنْ أفهمكِ»

«لماذا؟ لا يوجد مجد أكاديمي أو جائزة مليون دولار إذا حللتني يا أندرو. لا تتطفل على ما يخصني»

«ألا يجب أن يعرف الزوج زوجته؟»

«أمرٌ غير معتاد منك»

«ماذا تقصدين؟»

تنهدت. «لا شيء. لا شيء. أعتذر، ما كان يجب أن أقول ذلك».

«قولي ما في خاطرك»

«سياسة جيدة. لكن أعتقد أن هذا يعني أننا كنا قد طلقنا نحو عام 2002»

«ربما كنتِ ستكونين أكثر سعادة لو طلقته، أعني طلقتني سنة 2002»

«لا يمكننا التحقق من هذا بتاتًا»

«لا يمكننا»

عندئذٍ رن الهاتف. قال لي شخص: «مرحبًا». كان صوته غير رسمي ومألوفًا، لكن كان عندي فضول لأعرف هُويته. قال: «أهلًا، هذا أنا. آري».

«أوه، مرحبًا آري». كنت أعرف أن آري من المفترض أن يكون أقرب أصدقائي، لذلك حاولت أن أبدو كأنني صديق. سألته: «كيف حالك؟ كيف حال زواجك؟»

نظرت إليّ إيزوبِل بتجهم مؤكد، لكني لا أعتقد أنه قد سمعني بشكل صحيح.

«حسنًا، لقد عدت للتو من ذلك المكان في إدنبرة»

«أوه،» قلت، في محاولة للتظاهر بأني أعرف «ذلك المكان في إدنبرة». «أجل. صحيح. ذلك المكان في إدنبرة. كيف كان؟»

«كان جيدًا. أجل، كان جيدًا. انشغلت بأمور في جامعة سينت أندرو. اسمع يا صاح، سمعت أن أسبوعك كان شاقًّا»

«أجل كان أسبوعي شاقًّا»

«هل تريد لعب كرة القدم؟»

«كرة القدم؟»

«(كمبردج كترينغ). سنتمكن من التحدث قليلًا عن سرك المهم الذي حدثتني عنه عند حديثنا آخر مرة»

«سر؟» تأهب كل جزيء من جزيئات جسدي. «أي سر؟»

«أتعتقد أني سأنشر سرك؟»

«لا. لا. أنت مخطئ. لا تقل هذا بصوت عالٍ. في الحقيقة، لا تخبر أي شخص». إيزوبِل الآن في الردهة، تنظر إليّ بارتياب. «لكن بخصوص عرضك. أجل سأذهب إلى كرة القدم»

ضغطت على الزر الأحمر في الهاتف وأنا أخشى احتمال إنهاء حياة إنسان آخر.

تُصبح شيئًا آخر.. مخلوقًا آخر. هذا الجزء السهل. إعادة ترتيب بسيط للجزيئات. بإمكان التكنولوجيا الداخلية فينا فعل ذلك، دون أي عقبات، بالأوامر الصحيحة والنموذج الصحيح. هناك مكونات جديدة في الكون، والبشر -مهما كان شكلهم- مصنوعون ممّا صُنعنا.

تكمن المشكلة في النظر في المرآة ورؤية شكلك الجديد ومقاومتك التقيؤ في الحوض كل صباح، وارتدائك الثياب كأنك معتاد عليها.

ثم نزولك السلالم لرؤية مخلوق يفترض أنه ابنك وهو يأكل الخبز المربع، ويستمع إلى موسيقى لا يسمعها أحد غيره، فتحتاج إلى ثانية أو ثانيتَين أو ثلاث لتُدرك أنه ليس ابنك. إنه لا يعني شيئًا لك. ويجب ألا يعني لك شيئًا.

أما زوجتك، فليست زوجتك. زوجتك تحبك لكنها لا تطيقك بسبب شيء لم تفعله، وقد تفعله مستقبلا. إنها غريبة. غريبة مثلهم. كائن رئيس أقرب أبناء عمومته تطورًا مشعر يقطن الأشجار ويُعرف باسم شمبانزي. ومع ذلك، حين يكون كل شيء غريبًا، تُصبح الغرابة مألوفة، ويمكنك الحكم عليها كما يفعل البشر. يمكنك مشاهدتها في أثناء شرب عصير (غريب فروت) الوردي، وتحديقها بقلق في ابنها بعينين يائستَين.

يمكنك أنْ ترى أن الأمومة بالنسبة إليها هي أنْ تقف على الشاطئ لمشاهدة ابنها على متن زورق هش يغرق تدريجيًا، وتمني وجود يابسة في مكان ما.

ويمكنك أنْ ترى جمالها. إذا كان الجمال على الأرض كسائر الأماكن؛ مثاليًا من حيث أنه مُحير وغير قابل للحل، فيخلق ارتباكًا لذيذًا.

كنت مرتبكًا. كنت تائهًا.

تمنيت لو أن لدي جرحًا جديدًا، حتى ترعاني. «ما الذي تنظر إليه؟» سألتني.

فأجبتها: «أنتِ».

نظرت إلى غليڤر. لم يسمعنا، ثم نظرت إليّ بتحير يشبه تحيري.

نحن قلقون. ماذا تفعل؟

أخبرتك.

النتيجة؟

أنا أجمع المعلومات.

أنت تهدر الوقت.

لا أهدره. أعرف ما أفعله.

يُفترض ألا تحتاج إلى هذا الوقت كله.

أعرف. لكني أتعلم المزيد عن البشر. إنهم أكثر تعقيدًا مما اعتقدنا. عنيفون أحيانًا، ويرعون بعضهم في أحايين أخرى. الخير يغلب الشر فيهم، أنا مقتنع بهذا.

ماذا تقول؟

لا أعرف ما أقول. أنا مُتحير. هناك أمور لم يعد لها مغزى.

أمر متوقع حدوثه -عادة- على كوكب جديد. ترى الأمور من وجهة نظر قاطنيه. لكن وجهة نظرك لم تتغير. هل تفهم هذا؟

أجل. أفهم.

حافظ على نقائك.

سأفعل.

البشر أحد الكائنات الذكية القليلة في المجرة الذين لم يحلوا مشكلة الموت تمامًا. ومع ذلك، فهم لا يقضون حياتهم كلها في الصراخ والعويل برعب، أو خدش أجسادهم، أو التدحرج على الأرض. يفعل بعض ذلك -رأيتهم في المستشفى- لكن أولئك البشر يعدّون مجانين.

فكر في الآتي:

يبلغ متوسط الحياة البشرية 80 سنة أرضية أو نحو 30000 يوم أرضي، ما يعني أن أحدهم يولد، ويكون بعض الصداقات، ويأكل بعض الوجبات، ويتزوج، أو لا يتزوج، ويكون لديه طفل أو طفلان، أو دون ذرية، يشرب بضعة آلاف من أكواب النبيذ، ويمارس الجماع عدة مرات، ثم يكتشف ورمًا في مكان ما، فيساوره شيء من الندم، ويتساءل فيم قضى وقته، ويدرك حينها أن كان عليه قضاء حياته بشكل مختلف، مع أنه يدرك أنه سيرتكب ذات الأفعال دون تغيير، ثم يموت. يفنى في العدم الأسود العظيم. خارج الفضاء. خارج الوقت. أتفه الأصفار. وهذا كل شيء، جميعهم على ذات الكوكب العادي.

لكن على مستوى سطح الأرض، لا يقضي البشر حيواتهم في حالة جمود.

لا. بل يفعلون أشياء أخرى. أشياء مثل:

- الغسيل.
- الاستماع.
- البستنة.
- الأكل.
- القيادة.
- العمل.
- الاشتياق.
- التكسب.
- التحديق.
- الشرب.
- التنهد.
- القراءة.
- اللعب.
- التشمس.
- التذمر.
- الهرولة.
- المغامرة.
- الاهتمام.
- الاختلاط.
- التخيل.
- البحث في غوغل.
- الأبوة والأمومة.

- الترميم.
- الحب.
- الرقص.
- الجماع.
- الفشل.
- المقاومة.
- الأمل.
- النوم.

أوه، والرياضة.

يبدو أني، أندرو بالأحرى، يحب الرياضة. والرياضة التي يحبها هي كرة القدم.

من حسن طالع البروفسور أندرو مارتن، أنه كان يدعم فريق كمبردج يونايتد، أحد تلك الفرق التي نجحت في تجنب المخاطر والصدمة الوجودية للنصر.

اكتشفت أن دعم كمبردج يونايتد رديف لمناصرة الفشل. بدا أن مشاهدة أقدام الفريق وهي تتجنب رمز الأرض الكروي يثير حفيظة مشجعيهم كثيرًا، لكن لا طريقة أخرى لديهم. الحقيقة هي، كما تعلم، مهما توسلوا للاختلاف، فإن البشر لا يحبون الفوز في الواقع. أو بالأحرى يحبون الفوز مدة عشر ثوان، لكن إذا استمروا في الفوز، ينتهي بهم المطاف إلى التفكير في أمور أخرى، كالحياة والموت. الشيء الوحيد الذي يحبه البشر أقل من الفوز هو الخسارة، ولكن على الأقل يمكن فعل شيء حيال ذلك.

مـع الفـوز المطلـق، لا يوجـد شـيء يجـب القيـام بـه. عليهـم فقـط التعامـل معـه.

الآن، أنـا فـي المبـاراة لأرى كمبـردج يونايتـد يلعـب ضـد فريـق يدعـى كيترينـج. كنـت قـد سـألت غليڤـر عمـا إذا كان يريـد أنْ يأتـي معـي -حتـى أتمكـن مـن مراقبتـه- فأجابنـي متهكمًـا: «أنـت تعرفنـي جيـدًا يـا أبـي».

ذهبنـا أنـا وآري فقـط، أو لقبـه الكامـل الأسـتاذ أريرومـادي أراسـاراثام. كمـا قلـت، كان هـذا أقـرب أصدقـاء أنـدرو، علـى الرغـم مـن أننـي علمـت مـن إيزوبِـل أنـه ليـس لـدي أصدقـاء. المزيـد مـن المعـارف. علـى أي حـال، كان آري «خبيـرًا» (مصطلـح بشـري) فـي الفيزيـاء النظريـة. لقـد كان أيضًـا مسـتدير الجسـد تمامًـا، كمـا لـو أنـه لا يريـد مشـاهدة كـرة القـدم فحسـب، بـل أن يصبـح كـرة.

«إذن؟» قـال فـي فتـرة عـدم اسـتحواذ كمبـردج يونايتـد علـى الكـرة (أي فـي أي وقـت فـي أثنـاء المبـاراة)، «كيـف تسـير الأحـوال؟»

«الأحوال؟»

حشـى بعـض رقائـق البطاطـس فـي فمـه، ولـم يحـاول إخفـاء مصيرهـا. «كمـا تعلـم، كنـت قلقًـا عليـك قليـلًا»، ثـم ضحـك. يضحـك الذكـر البشـري لإخفـاء مشـاعره. «حسـنًا، أقـول قلقًـا، كان الأمـر أكثـر اعتـدالًا. قلـت قلقًـا بسـيطًا، لكنـه أقـرب إلـى تسـاؤل «إذا كانـت عصافيـر عقلـك قـد طـارت؟»

«مـاذا تقصـد؟»

أخبرنـي بمقصـده. يميـل علمـاء الرياضيـات إلـى الإصابـة الجنـون. ذكـر لـي قائمـة أسـماء: نـاش كانتـور. غـودل، ترننـغ – أومـأت عنـد ذكـر كل اسـم مدعيًـا فهـم قصـده، ثـم قـال: «ريمـان».

«ريمان؟»

قال: «سمعت أنك لا تأكل كثيرًا، لذا كنت أفكر في غودل أكثر من ريمان، في الواقع». علمت لاحقًا أنه قصد كورت غودل، عالم رياضيات ألماني أيضًا. ومع ذلك، فإن الغرابة النفسية الخاصة بهذا الشخص أنه كان يعتقد أن الجميع يحاولون تسميم طعامه، فتوقف عن الأكل تمامًا. من خلال هذا التعريف للجنون، بدا آري حكيمًا بالفعل.

«لا. لم أفعل مثله. آكل الآن. شطائر زبدة الفول السوداني بشكل رئيس»

قال ضاحكًا: «تبدو كالممثل الكوميدي بريسلي. ثم حدجني بنظرة جادة. عرفت أنها جادة لأنه ابتلع طعام، ولم يضع المزيد منه في فمه. «لأن الأرقام الأولية خطيرة جدا. بعض الهراء الجاد الذي قد يفقدك عقلك. الأرقام الأولية مثل حوريات البحر. تغويك بجمالها، ثم تتصيبك على حين غرة بذهان عصيب. حين سمعت عن عريك في الكلية، اعتقدت أنك قد ظننت أنك معتل بعض الشيء».

قلت له: «لا أنا على السكة الحديدية كقطار».

«إيزوبِل؟ هل كل شيء بخير معها»

«أجل. إنها زوجتي، وأنا أحبها. كل شيء بخير. بخير». اكفهر وجهه، ثم نظر للحظات ليرى إذا كان كمبردج يونايتد قريبين من الكرة. بدا مرتاحًا لأنهم بعيدون عنها.

«حقًا؟ كل هل كل شيء بخير؟»

فهمت أنه بحاجة إلى تأكيد أكبر. «لم أعش حتى أحببت».[1]

هز رأسه، وارتسم على وجهه تعبير أقول بيقين أنه ذُهول.

«ممن الاقتباس؟ شكبير؟ تنيسون؟ مارڤل؟»

هززت رأسي نفيًا. «لا. إنه لإيميلي ديكنسون. قرأت الكثير من الشعر في الآونة الأخيرة. قرأت لآن سيكستون، ووالت وايتمان أيضًا. يبدو أن الشعر يعبر كثيرًا عنا. كما تعرف، نحن البشر».

شعرت، مرة أخرى، أني أخطأت في فهم السياق. كل شيء هنا يتعلق بالسياق. لا شيء يناسب كل المناسبات. لم أفهمه. الهواء فيه هيدروجين أينما ذهبت. لكن كان ذلك الشيء الوحيد المُتسق. ما الاختلاف الكبير الذي جعل الاقتباس من قصائد الحب غير مناسب في هذا السياق؟ لا فكرة لدي.

قال: «صحيح»، ثم توقف مؤقتًا بسبب التأوه الجماعي الهائل حين سجل كيترنغ هدفًا. تأوهت أنا أيضًا. التأوه في الواقع مسلٍّ جدًا، وأكثر جوانب مشاهدة اللعب متعة حتمًا. لعلي بالغت في التأوه، نظرًا لتحديق المحيطين في، أو لعلهم شاهدوني على الإنترنت. «حسنًا. وما شعور إيزوبِل بخصوص كل شيء؟»

«كل شيء؟»

«ما رأيها يا أندرو؟ هل تعرف بخصوص... تعرف؟ هل هذا ما أثار الموضوع؟»

قد تكون هذه لحظتي. استنشقت. «السر الذي أخبرتك به؟»

«أجل»

1- إيميلي ديكنسون. (المترجمة)

«عن نظرية ريمان؟»

تجعد وجهه بتحير. «ماذا؟ لا يا رجل. إلا إذا كنت قد نمت مع فرضية؟»

«إذن ما السر؟»

«أنك على علاقة بطالبة»

«أوه» قلت له وأنا أشعر بالراحة. «إذن لم أخبرك عن أمر يتعلق بالعمل في آخر مرة شاهدتك فيها»

«لا لم تفعل لمرة وحيدة». «هل ستخبرني ما قصة تلك الطالبة؟»

«ذاكرتي مشوشة بعض الشيء، صدقًا»

«هذا مريح. حجة ممتازة. إذا اكتشفت إيزوبِل الموضوع، فستكون الزوج المثالي في عينيْها»

«ماذا تقصد؟»

«لا إهانة يا رفيق، لكنك أخبرتني عن رأيها»

«ما رأيها بـ»ترددت ثم أكملت «بي».

أدخل آخر قطع

بطاطس في فمه وأنزلها بسائل بنكهة حمض الفوسفوريك يثير الاشمئزاز اسمه (كوكاكولا).

«رأيها هو أنك وغد أناني»

«ما السبب برأيك؟»

«ربما لأنك وغد أناني. لكننا جميعنا أوغاد أنانيون»

«حقًا؟»

«أوه نعم. إنه حمضنا النووي. أخبرنا دوكينز بذلك، في طريق

العودة. لكنك يا رجل، تملك حمضًا نوويًا أنانيًا على مستوى مختلف. معك، يجب أن أتخيل، حمضك النووي الأناني يشبه الحمض النووي الذي هشم رأس الإنسان البدائي قبل الأخير بصخرة، قبل أن يستدير ويجامع زوجته».

ابتسم واستمر في مشاهدة المباراة. كانت مباراة طويلة. في أماكن أخرى من الكون، تشكلت نجوم ومات بعضها الآخر. هل هذا هو الغرض من الوجود البشري؟ هل الغرض المتعة في المباراة، أم على الأقل البساطة غير الرسمية لمباراة كرة قدم؟ وأخيرًا، انتهت المنافسة.

في أثناء خروجنا من الملعب كذبت وقلت: «كانت مباراة رائعة».

«حقًّا؟ لقد خسرنا أربع نقاط مقابل صفر»

«نعم، لكني لم أفكر في فنائي عند مشاهدة المباراة، ولا في المصاعب الأخرى المختلفة التي سيجلبها شكلنا المميت في وقت آخر من الحياة».

تعجب مرة أخرى. كان سيقول شيئًا لكن شخصًا ما قد ألقى علبة مشروب فارغة على رأسي. رغم إلقائها من خلفي، شعرت باقترابها باتجاهي، فانحرفت بسرعة عن الطريق. ذهل آري من رد فعلي، كما تعجب قاذفها حسب اعتقادي.

قال قاذفها: «أيها المُسْتَمني. أنت الغريب في الإنترنت. ذلك العاري. تشعر بالدفء، أليس كذلك؟ بكل الثياب التي ترتديها؟»

قال آري بعصبية: «اغرب عنا»

فعل الرجل العكس.

اقترب قاذف العلبة. وجنتاه في غاية الاحمرار، وعيناه صغيرتان، وشعره أسود دهني. كان يحيط به صديقان. ثلاثة وجوه على أهبة الاستعداد للعنف. انحنى ذو الوجنتان الحمراوان من آري، وقال: «ماذا قلت أيها الرجل البدين؟»

أجاب آري: ستغرب الشمس بكل تأكيد.

أمسك الرجل بمعطف آري. «أتعتقد أنك ذكي؟»

«إلى حدٍّ ما»

أمسكت بذراع الرجل، فقال: «ابتعد عني أيها المنحرف جنسيًا. كنت أتكلم مع اللقيط البدين».

أردت إيذاءه. لم أرغب قط في إيذاء أي شخص من قبل – احتجت إلى إيذاء البعض، وهنالك فرق. سمعت أزيز تنفسه، وانقباض رئتيْه. وفي غضون ثوان، بحث عن أداه الاستنشاق. «سنذهب في طريقنا» قلت، ثم خففت الضغط في صدره. «وكلكم لن تزعجونا مرة أخرى».

مشيت مع آري إلى منزلَيْنا دون أنْ يلحق بنا أي منهم.

قال آري: «اللعنة! ماذا حدث؟»

لم أجبه. كيف أجيبه؟ ما حدث يتجاوز إدراك آري.

تجمعت الغيوم بسرعة. أظلمت السماء.

كأنها ستمطر. أكره المطر كما أخبرتكم. عرفت أن مطر الأرض ليس حمضًا، لكن المطر، كل المطر، شيء لا أطيقه. ذعرت.

بدأت أركض.

«انتظر!» قال آري الذي ركض خلفي. «ماذا تفعل؟»

«مطر!» قلت، تمنيْت وجود قبة تغطي كمبردج كلها. «لا أطيق المطر».

«هل استمتعت بوقتك؟» سألتني إيزوبِل عند عودتي. كانت تقف على أحد الأجهزة البدائية (سلم) لتغير أيضًا (مصباحًا كهربائيًّا).

أجبتها: «أجل. بعض تنهدات جيدة. لكن من باب الصدق معك، لا أعتقد أني سأذهب إلى مباراة مرة أخرى».

أسقطت المصباح الجديد. تهشم. «سحقًا. لا نملك مصباحًا آخر». نظرت كأنها ستبكي تقريبًا لهذه الحقيقة. نزلت من السلم، فحدقت في المصباح الذي لا يعمل الذي ما زال فوق. ركزت تفكيري. أضاء بعد برهة.

«هذا حظ. لا يحتاج إلى تغيير بعد إذن».

حدقت في النور. الإضاءة الذهبية على بشرتها ساحرة، لسبب ما. تغيير الظل جعلها مميزة. قالت: «كم هذا غريب». ثم نظرت إلى الأسفل إلى الزجاج المُهشم.

قلت لها: «سأنظفه»، فابتسمت لي ولمست يدها يدي بامتنان سريع، ثم فعلت أمرًا لم أتوقعه. عانقتني، بلطف، والزجاج المُهشم عند قدمينا.

تنفستها بعمق. أحببت دفء جسدها على جسدي، وفهمت حنان أنْ تكون بشريًا. أنْ تكون مخلوقًا فانيًا وحيدًا أساسًا، لكنه يحتاج إلى أسطورة الانتماء إلى الجماعة. أصدقاء، أطفال، أحبة. أسطورة جاذبة. أسطورة يمكنك الإيمان بها بسهولة.

«أوه أندرو» قالت. لم أفهم قصدها من ذكر اسم بهذه البساطة، لكن حين مسدت ظهري، فعلت ذات الأمر، وقلت كلمات بدت ملائمة جدًّا: «لا بأس، لا بأس، لا بأس...».

تسوق

ذهبت إلى جنازة دانييل رسل. شاهد تنزيل النعش إلى الأرض، ونثر التراب فوق التابوت الخشبي. أشخاص كثر هناك، معظمهم ارتدوا السواد، وقليل منهم كانوا يبكون.

بعد ذلك، أرادت إيزوبِل الذهاب إلى تابيثا والتحدث معها. بدت تابيثا مختلفة عما كانت عليه عندما رأيتها آخر مرة. بدت أكبر سنًّا، على الرغم من مرور أسبوع واحد فقط. لم تكن تبكي، لكن بدا الأمر كأنه محاولة لعدم البكاء.

ربتت إيزوبِل على ذراع تابيثا. «اسمعي، تابيثا، أريدك فقط أن تعرفي، أننا إلى جانبك. مهما كان الذين تريدينهم، فسنعينك».

«شكرًا. هذا يعني الكثير لي. حقيقةً».

«في الأمور البسيطة. إذا لم تتمكني من الذهاب إلى متجر الغذاء. أقصد أن المتاجر الغذائية ليست أكثر الأماكن ودية».

«منتهى اللطف. أعرف أنه يمكننا التسوق عبر الإنترنت، لكني لم أتعلم الطريقة».

«حسنًا. لا تقلقي. سنحل الأمر لك».

وهو ما حدث. ذهبت إيزوبِل للتبضع لآدمية، ودفعت قيمة الأشياء، ثم عادت وقالت لي إني أبدو أفضل.

«حقًّا؟»

«أجل. كما كنت سابقًا».

سـألتني إيزوبِـل: هـل أنـت مسـتعد؟»، صبـاح الاثنيْـن التالـي، فـي أثنـاء تناولـي أول شـطيرة فـول سـوداني فـي ذلـك اليـوم.

طلـب نيوتـن شـطيرة أيضًـا، فقسـمتها إلـى نصفيْـن. «سـأكون بخيـر. مـا الـذي يمكـن أنْ يكـون ليـس بخيـر؟»

حينهـا أصـدر غليڤـر صوتًـا سـاخرًا. الصـوت الوحيـد الـذي أصـدره طـوال الصبـاح.

سألته: «ما المشكلة يا غليڤر؟».

قـال: «كل شـيء». لـم يسـهب فـي حديثـه. تـرك حبـوب الإفطـار غيـر مأكولـة وتوجـه إلـى الطابـق العلـوي.

«هل يجب أن أتبعه؟»

قالت أمه: «لا. امنحه الوقت.

أومأت برأسي. لقد وثقت بها.

الزمن هو موضوع دراستها بعد كل شيء.

وصلـت بعـد سـاعة إلـى مكتـب أنـدرو. المـرة الأولـى التـي أذهـب فيهـا إلـى هنـاك منـذ أنْ حذفـت البريـد الإلكترونـي المُرسـل إلـى دانييـل راسـل. هـذه المـرة، لـم أكـن مسـتعجلًا ويمكننـي اسـتيعاب المزيـد مـن التفاصيـل. لأنـه أسـتاذ جامعـي، كانـت هنـاك كتـب علـى المكتبـة فـي كل جـدار، مكتبـة مصممـة بحيـث تـرى فيهـا الكتـاب مـن أي زاويـة نظـرت فيهـا إليـه.

قـرأت بعـض العناويـن. مظهرهـا بدائـي جـدًا: تاريـخ الأرقـام الثنائيـة وغيرهـا مـن الأرقـام غيـر العشـرية، كتـاب الفسيفسـاء سداسـية الزوايـا، اللوغاريتميـة الحلزونيـة والمتوسـط الذهبـي.

كان هنـاك كتـاب من تأليـف أنـدرو بذاتـه. كتـاب لـم ألاحظـه فـي أثنـاء وجـودي هنـا آخـر مـرة. كان كتابًـا رقيقًـا اسـمه دالـة زيتـا. كان علـى الغـلاف عبـارة «نسـخة غيـر مراجعـة». تأكـدت مـن إغـلاق البـاب ثـم قعـدت علـى كرسيه وقـرأت كل كلمـة.

قـراءة تعيسـة مـع الأسـف. كانـت عـن نظريـة ريمـان، وسـعيه غيـر المجـدي لإثباتهـا، وإثبـات سـبب زيـادة المسـافات بيـن الأرقـام الأوليـة. تكمـن المأسـاة فـي رغبتـه المُسـتميتة فـي حلهـا —وبالطبـع، حلهـا بعـد كتابـة الكتـاب، رغـم أن المنافـع التـي تخيلهـا لـن تتحقـق بتاتًـا، لأنـي أتلفـت البرهـان. بـدأت أفكـر فـي أهميـة حلنـا معادلـة رياضيـة مكافئـة- تلـك التـي أطلقنـا عليهـا اسـم النظريـة الأساسـية الثانيـة للأرقـام الأوليـة. كيـف مكنتنـا مـن إنجـاز الكثيـر: استيطان عوالـم أخـرى، والتحـول إلـى أجسـاد أخـرى، والعيـش إلـى العمـر الذي نريـد، والبحـث فـي تفكيـر وأحـلام بعضنـا، كل هـذا.

ومـع ذلـك، فقـد أدرجـت دالـة زيتـا كل الأشـياء التـي حققهـا البشـر. الخطـوات الرئيسـة علـى الطريـق. التطـورات التـي دفعتهـم نحـو التقـدم. النـار التـي كانـت حدثـًا فارقًـا بالنسـبة إليهـم. المحـراث. المطبعـة. المحـرك البخـاري. الرقاقـة الدقيقـة. اكتشـاف الحمـض النـووي. وسـيكون البشـر أول مـن يهنـئ أنفسـهم علـى كل هـذا. لكـن المشـكلة كانـت، بالنسـبة إليهـم، أنهـم لـم يتفوقـوا علـى معظـم أشـكال الحيـاة الذكيـة الأخـرى فـي الكـون.

أوه، كما بنوا الصواريخ، والأقمار الصناعية التي عمل منها عدد قليل. ومع ذلك، حقا، خذلتهم رياضياتهم كثيرًا. ما زال ينتظرهم الكثير. تزامن العقول. صناعة حواسيب حُرة التفكير. تكنولوجيا التشغيل الآلي. السفر بين المجرات. في أثناء قراءة الكتاب، أدركت أني قد أعقد كل هذا. وأدت مُستقبلهم.

رن الهاتف. إيزوبِل. «أندرو. ماذا تفعل. بدأت محاضرتك قبل عشر دقائق». كانت غاضبة، لكن باهتمام. لا يزال شعور اهتمام أحد بي غريبًا وجديدًا. لم أفهم ذلك الاهتمام تمامًا، أو استفادتها منه، لكن الحق أقول إني أحببت أنْ أكون محوره. «أوه، أجل. شكرًا لتذكيري. سأذهب. مع السلامة، يا عزيزتي».

احذر. نحن نصغي.

مُشكلة المعادلات

دخلت قاعة المحاضرات. غرفة كبيرة مصنوعة على الأغلب من أشجار ميتة.

كان هناك الكثير من الناس الذين يحدقون فيّ. كانوا طلابًا. لدى بعضهم أقلام وورق. ولدى بعضهم الآخر أجهزة كمبيوتر. كانوا جميعًا ينتظرون المعرفة. تفحصت الغرفة بنظري. يوجد 102 طالب. رقم مزعج دائمًا، عالق بين عددَين أوليين. حاولت تحديد مستوى معرفة الطلاب. كما ترى، حاولت عدم تجاوز الهدف. نظرت خلفي. هناك لوحة بيضاء من المفترض كتابة الكلمات والمعادلات عليها، لكن كانت فارغة المحتوى.

ترددت، وخلال فترة التردد استشعر أحدهم ضعفي. في الصف الأخير. ذكر أن عمره عشرون عامًا، شعره أشقر أشعث، وكان يرتدي قميصًا عليه: «أي جزء من N = R x fs x fp x ne x fl x fi x fc x L لا تفهم؟».

ضحك على مزحة كان سيقولها. صرخ فقال: «كأنك ترتدي ثيابًا أكثر يا بروفسور!». قهقه أكثر، وكان فعله معديًا، فانتشر الضحك كانتشار النار في القاعة. خلال لحظات، كان كل شخص يضحك. باستثناء أنثى واحدة.

لم تضحك وكانت تنظر إليّ باهتمام. شعرها أحمر مجعد وشفتاها ممتلئتان وعيناها واسعتان. كان مظهرها المنفتح لافت

للنظر. انفتاح ذكرني بزهرة الموت. ارتدت سترة صوفية ولفت خصلات من شعرها حول إصبعها.

«اهدؤوا» قلت لهم. «هذا مضحك جدًّا. فهمت المزحة. أرتدي ثيابًا، وأنت تقصد حادثة كنت عاريًا فيها. مضحك جدًّا. تعتقد أنها مزحة، كمزحة جورج كانتور الذي قال إن العالم فرانسيس هو كاتب مسرحيات ويليام شكسبير، أو عندما بدأ جون ناش برؤية رجال يرتدون قبعات لم يكونوا موجودين حقيقةً. كان ذلك مضحكًا. مزحتك مضحكة. التفكير البشري محدود، لكنه كربوة عالية. إذا قضيت حياتك خارج تفكيره، هويت إلى الأسفل. هذا مضحك. أجل. لكن لا تقلق، لن تسقط. أيها الشاب، أنت في منتصف تلك الربوة، أعترف أني أشعر بشعور أفضل الآن. أرتدي سروالًا داخليًّا وجوربيْن وبنطالًا وقميصًا أيضًا».

ضحك الطلاب مرة أخرى، لكن ضحكهم هذه المرة أشعرني بالدفء. كان له أثر في داخلي، ثم ضحكت أنا أيضًا. لا لما قلته للتو، إذا لم يكن مضحكًا. لا. بل ضحكت على نفسي. الحقيقة التي لا تصدق هي وجودي هنا، على هذا الكوكب الأكثر سخافة، ومع ذلك أحب وجودي عليه. شعرت برغبة في إخبار شخص ما عن مدى شعوري بالرضا، في شكل بشري، للضحك معه. أردت إخبار شخص ما عن ذلك وأدركت أنني لا أريد إخبار القادة. أردت إخبار إيزوبِل.

على أي حال، قدمت المحاضرة. كان من المفترض أنْ أتحدث عن شيء اسمه «هندسة ما بعد الإقليدية». لكني لم أرغب في التحدث عنه، فتكلمت عن قميص الشاب.

المعادلة المكتوبة عليه اسمها: تكافؤ دريك، ابتُكرت لحساب احتمالية وجود حضارات متقدمة في المجرة التي فيها الأرض، أو كما أسماها البشر: الطريق الحليبي. (هكذا تعامل البشر مع المساحة الشاسعة من الفضاء. بقولهم إن المجرة تشبه حليبًا مسكوبًا. شيء ما سقط من الثلاجة، ويمكن مسحه في ثانية).

إذن فالمعادلة هي:

$$N=R \times fp \times ne \times fl \times fi \times fc \times L$$

N: يرمز إلى الحضارات المُتقدمة في المجرة التي قد يكون التواصل معها ممكنًا. R هو المعدل السنوي المتوسط لتشكل النجوم. fp هو جزء تلك النجوم مع النجوم. ne هو متوسط عدد تلك الكواكب التي يتوافر فيها المناخ الملائم للحياة. f1 هو كسر الكواكب التي قد تتطور. fi هو الكسر الكواكب التي قد تطور الذكاء. fc هو كسر تلك التي قد تتطور فيها حضارة تكنولوجيا اتصالات المتطورة. L هو العمر المتوقع لمرحلة الاتصال.

درس علماء فيزيائيون كُثر جميع البيانات وقرروا وجود –في الواقع– ملايين الكواكب التي فيها حياة في المجرة، وعدد أكبر في الكون إجمالًا. ولا بد أن في بعضها حيوات متقدمة جدًّا. هذا صحيح بلا شك. لكن البشر لم يتوقفوا عن هذا الحد. إذ توصلوا إلى مفارقة: «قالوا لا يمكن أنْ يكون هذا صحيحًا. لو أن هناك حضارات خارج كوكب الأرض تملك قدرة الاتصال بنا، فسنعرف لأنهم سيتواصلون معنا».

«هذا غير صحيح، أليس كذلك؟» قال الشاب الذي بدأ قميصه بالانبعاج. «غير صحيح» قلت له. لأن المعادلة يجب أنْ تحتوي

على أجزاء أخرى هنا. على سبيل المثال، يجب أن تحتوي على: استدرت خلفي وكتبت: fcgas

«جزء سيفعل الكثير لكن البشر لم يدركوا هذا». إضحاك طلاب الرياضيات ليس صعبًا. في الواقع، لم أقابل أي فئة فرعية من أشكال الحياة تتوق إلى الضحك كالبشر، ومع هذا شعرت بالرضا. لبضع لحظات وجيزة. شعرت أنها أكثر من جيدة بقليل.

شعرت بالدفء، ولا أعرف، أي تسامح أو تقبل من أولئك الطلبة.

قلت: «لكن اسمع. أولئك الفضائيون هم – لا يعرفون ماذا ينقصهم».

صفق الجميع. (إذا أحب البشر شيئًا فإنهم يصفقون بكلتا يديهم. أمر غير منطقي. تشجيع سيدفئ عقلك).

بعدها، في نهاية المحاضرة، جاءتني المرأة التي حدقت في. الوردة المزهرة.

وقف بقربي. عادة، إذا أراد البشر الوقوف والحديث مع بعضهم فإنهم يتركون بعض الهواء بينهم، بعد تمكين التنفس والذوق ورهاب الانغلاق. مع هذه الفتاة هناك هواء قليل جدًّا.

«هاتفتك» قالت، بشفتيْها الممتلئتيْن، وبصوت سمعته من قبل، «لأسأل عنك. لكنك لم تكن موجودًا. هل وصلتك رسالتي؟»

«أوه. أوه أجل ماغي. وصلتني الرسالة».

«تبدو في أفضل حال اليوم»

«شكرًا. حسبت أنه سيصنع بعض الفارق»

ضحكت. ضحكة مصطنعة، لكن في تزييفها شيء جعلني متحمسًا لسبب غامض. سألتني: «أما زلنا على موعدنا أول ثلاثاء من كل شهر؟».

أجبتها بتحير تام: «أوه. أجل. أول ثلاثاء من الشهر لن يتغير».

«جيد». في صوتها دفء وخطر، كريح تعصف بالأراضي الشمالية في وطني. «اسمع، هل تتذكر محادثتنا الأخيرة، قبل ليلة من اللمم؟»

«لَمَم؟»

«أقصد قبل مشيك عاريًا في كلية كوربس كرستي»

«ماذا قلت لك؟ ذهني مشوش فيما يخص تلك الليلة، هذا كل شيء»

«أوه، المسائل التي لا تستطيع الحديث عنها في قاعات الدرس»

«تخص الرياضيات؟»

«في الواقع، صوب لي كلامي إذا كان خطأ، لكن الرياضيات يمكنك الحديث عنها فيها قاعات الدراسة»

تعجبت من هذه المرأة، وتساءلت ما نوع العلاقة التي تربطها بأندرو مارتن.

«أجل. أوه طبعًا. بالتأكيد»

بهذا لا تعرف ماغي شيئًا، قلت لنفسي.

قالت: «على أي حال، إلى اللقاء»

«أجل. أجل. إلى اللقاء»

مشت مبتعدة، وشاهدت مشيها. للحظة لم يكن هناك أي حقيقة غير حقيقة تلك الأنثى البشرية التي اسمها ماغي في أثناء ابتعادها عني. لم أحبها، ولا أعرف السبب.

بعد مدة وجيزة كنت في مقهى الكلية، مع آري، أتناول عصير الجريب فروت بينما كان يتناول قهوة فيها سكر وعلبة من رقائق البطاطس بنكهة اللحم البقري.

«كيف سار الأمر يا صديقي؟»

حاولت تجنب استنشاق رائحة فمه. «جيد جيد. حاولت تثقيفهم حول حياة الفضائيين. معادلة دريك»

«خارج حقلك إلى حدٍّ ما؟»

«خارج حقلي؟ ماذا تقصد؟»

«أي تخصصك»

«الرياضيات لب كل تخصص»

تجهم. «حدثتهم عن «مُفارقة فيرمي»؟»

«هم من أخبروني عنها في الواقع»

«كلها هراء»

«أتعتقد هذا؟»

«حسنًا. ماذا يريد المخلوق الفضائي من الأرض؟»

«هذا ما قلته لهم»

«أقصد أومن أن الفيزياء تخبرنا أن هناك كوكبًا عامرًا بالحياة في مكان ما، لكنني لا أعتقد أننا نفهم ما نبحث عنه أو كيف سيكون شكله. أعتقد أننا سنجده في هذا القرن. بالطبع، لا يريد معظم الناس العثور عليه، حتى ما ادعوا رغبتهم في العثور عليه. لا يريدون هذا حقيقةً»

«لا يريدون؟ لماذا؟»

رفع يده. إشارة لأنتظر انتهاءه من عمل مهم، مضغه وبلعه للبطاطس في فمه. «لأنها ستتسبب المتاعب للبشر. يحولونها إلى مزحة».

«لدينا ألمع الفيزيائيين في العالم هذه الأيام، الذين يقولون مرارًا وتكرارًا، بجلاء، يجب أنْ تكون هناك حياة أخرى في الكون. أشخاص آخرون أيضًا، الأغبياء تحديدًا – الذين يؤمنون بالتنجيم، ذات الأشخاص الذي كان أسلافهم يتفاءلون بخراء ثور، لكن ليسوا وحدهم، آخرون أيضًا، أشخاص يفترض أن تعليمهم أفضل – يقولون إن الفضائيين من وحي الخيال، لأن حرب العوالم مختلقة، اللقاء القريب بالنوع الثالث مختلقة، ورغم أنهم يعشقون هذه القصص إلا أنهم كونوا فكرة متحيزة في أذهانهم مفادها أن المتعة مردها إلى أن الفضائيين خيال علمي. لأنك إذا آمنت بوجودهم كأنك تقول ما قاله كل كشف علمي لم يلق الرواج في التاريخ».

«ما هو؟»

«أن البشر ليسوا في قلب الأشياء. كما تعلم، الكوكب في مدار حول الشمس. كانت تلك مزحة مضحكة في القرن السادس عشر، لكن كوبرنيكوس لم يكن ممثلاً كوميديًا. كان، على ما يبدو، أقل رجل مضحك في عصر النهضة بكامله. لقد جعل رافائيل يبدو مثل ريتشارد بريور. لكنه كان يقول الحقيقة الخالصة: الأرض في مدار حول الشمس. ولكن في ذلك الزمن، تأكدوا من وفاته بُعيد نشر استنتاجه. ليحترق جاليليو».

قلت: «أجل. صحيح».

بينما كنت أستمع إلى كلامه، لاحظت بداية ألم خلف عيني، وازدياد حدته. مدى رؤيتي أصبح ضبابي اللون.

«أوه، والحيوانات تملك أجهزة عصبية،» تابع آري حديثه بين شربات القهوة. «ويمكنها الشعور بالألم، أيضًا. وبعض الناس ما زالوا لا يريدون تصديقًا قديمًا كما هو لأن ذلك يعني الاضطرار إلى قبول الحقيقة القائلة بأن البشر، في يوم خلق الأرض، كانوا موجودين منذ أقل من دقيقة. لسنا إلا كائنات تحتاج إلى استخدام المرحاض للتبول عند منتصف الليل، هذا كل ما نحن عليه».

قلت وأنا أدلك جفني: «صحيح».

«التاريخ المسجل الوحيد هو الطول الذي يستغرقه تدفق الماء. والآن نعلم أننا لا نملك الإرادة الحُرة، وهذا يُغضب الناس أيضًا. لذا، إذا اكتشفوا وجود كائنات فضائية، فسينزعجون حقيقةً، لأننا سنعرف حينها، قطعيًا، عدم وجود أي شيء مميز فينا». تنهد، وحدق باهتمام شديد داخل كيس البطاطس الفارغ. «لذا أفهم تمامًا سبب رفض الحياة الفضائية على أنها مزحة، تخص الفتية المراهقين ذوي النشاط المُفرط والخيال الواسع».

سألته: «ماذا سيحدث باعتقادك؟»

«لا أعرف. لهذا أسألك»

«حسنًا، أعتقد أنهم إذا امتلكوا الذكاء للوصول إلى هنا، فسيكونون أذكياء بعدم كشفهم عن هُوياتهم. لعلهم موجودون هنا. من الممكن أن يصلوا بأشياء لا تُشبه «سفن» الخيال العلمي. لربما لا يملكون أطباقًا طائرة مجهولة. لعلهم لا يطيرون، ولا

توجد وسيلة تعيننا على التعرف إليهم. من ذا الذي يعلم الحقيقة؟ لعلك أحدهم».

جلست بانتصاب على كرسيي. بانتباه. «ماذا؟»

[أقصد ليسوا] «مجهولين. [ليسوا] مجهولين»

«حسنًا. ماذا لو كانوا معروفين. يمكن تحديدهم؟ ماذا لو عرف البشر أن فضائيًا يعيش بينهم؟»

بعد أنْ سألته هذا السؤال، أحاط بي في المقهى لون بنفسجي، لم يلاحظه أحد غيري.

ارتشف آري آخر قطرة من قهوته، ثم فكر للحظة. خدش وجهه بأصابعه البدينة. «حسنًا، باختصار، لا أود أنْ أكون ذلك اللقيط المسكين».

قلت له: «آري. آري، أنا ذلك ـ»

كنت سأقول «اللقيط المسكين»، لكن حينها، في تلك اللحظة تمامًا، كان هناك إزعاج داخل رأسي. صوت بأعلى تردد ممكن. رافقه الألم الشديد وراء عيني، الذي أصبح أسوأ بلا حدود. أشد ألم شعرت به في حياتي. ألم لا سيطرة لي عليه نهائيًا.

تمني عدم وجوده ليس كوجوده، وهذا أربكني، أو كان ليحيرني، لو كانت لدي القدرة التفكير وتجاوز الألم. واصلت التفكير في الألم، والصوت، واللون البنفسجي. لكن النبض المؤلم الضاغط على عيني لا يطاق. «ما بالك يا رفيق؟»

عندئذ كنت أمسك رأسي، محاولًا إغلاق عيني، لكنهما لا تغمضان.

نظرتِ إلى وجه آري غير الحليق، ثم إلى عدد قليل من الأشخاص الآخرين في المقهى، والفتاة ذات النظارات التي كانت تقف خلف المنضدة. كان هناك شيء ما يحدث لهم وللمكان كله. كان كل شيء يتحول إلى لون بنفسجي مركز ومتدرج، وهو لون مألوف لي أكثر من أي لون آخر. قلت بصوت عالٍ وفي نفس الوقت تقريبًا زاد الألم أكثر. «توقف، أوه توقف، أوه توقف».

قال: «يا رجل، أنا سأتصل بسيارة إسعاف»، لأني سقطت على الأرض. في بحر بنفسجي اللون.

«لا»

قاومته، ووقفت على رجلي.

خف الألم.

الأنين أصبح أقل.

تلاشى اللون البنفسجي. قلت له: «أمر بسيط»

ضحك آري بقلق. «لست خبيرًا. لكنه لم يبدُ بسيطًا»

«كان صداعًا. وخز ألم. سأذهب إلى الطبيب وأتأكد».

«يجب أنْ تذهب. فعلًا يجب أنْ تذهب»

«أجل. سأفعل»

جلست. بقي الألم، كتذكار، مدة بسيطة، لون أثيري لا يشاهده أحد غيري. «كنت ستقول شيئًا. عن حياة أخرى. «لا» قلت بهدوء.

«متأكد يا رجل»

«أجل في الواقع. أعتقد أني نسيت»

حينها تلاشى الألم نهائيًا، وفقدت آخر أثر للون البنفسجي.

لم أخبر إيزوبِل أو غليڤر. كنت أعلم أنه فعل غير حكيم، لأني علمت أن الألم تحذير. إضافة، حتى لو أردت إخبارها فلن أفعل، لأن غليڤر قد وصل إلى المنزل بكدمتيْن على عينيْه. إذا تعرض جسد الإنسان إلى كدمة، يتغير لون الجلد إلى درجات مختلفة. رمادي، بني، أزرق، أخضر. بينها، بنفسجي باهت. جميل ومرعب في آن واحد.

«غليڤر، ماذا حدث؟» سألت والدته عدة مرات تلك الليلة، لكنها لم تتحصل على إجابة مرضية. ذهب إلى دورة المياه الصغيرة خلف المطبخ، وأغلق الباب.

«رجاء، غليڤر، اخرج» قالت أمه. «يجب أنْ نتكلم بخصوص هذا»

أضفت: «غليڤر، اخرج».

فتح الباب. «اتركاني وشأني». قالها بغضب وقسوة، فقررت إيزوبِل تلبية رغبته، ولهذا بقينا في الطابق السفلي في أثناء صعوده إلى غرفته.

«سأهاتف المدرسة غدًا»

لم أقل شيئًا طبعًا. أدركت لاحقًا أن هذا خطأ. كان يجب أنْ أخون وعدي لغليڤر وأخبرها أنه لم يعد يذهب إلى المدرسة. لكني لم أفعل، لأن لي واجبي. لي واجب، لكن ليس تجاه البشر. ولا نحوهما. خاصة هما. واجب تخلفت عن أدائه، كما علمت من تحذير عصر ذلك اليوم.

على الرغم من ذلك، كان لدى نيوتن واجب مختلف. صعد السلالم ليكون مع غليفر. لم تكن تعرف ماذا تفعل، ففتحت بعض أبواب خزانة الأواني، حدقت فيها، ثم تنهدت، فأغلقت الباب مرة أخرى.

قلت لها: «اسمعي. عليه أنْ يشق طريقه بنفسه، ويخطئ ليتعلم».

«يجب أنْ نعرف من فعل هذا به يا أندرو. هذا ما يجب أنْ نفعله. لا يمكن للناس ممارسة العنف على الآخرين هكذا. لا يمكنهم فعل هذا. ما هذا النظام الأخلاقي الذي تلتزمه ويجعلك غير مبال هكذا؟»

ماذا يمكنني أنْ أقول؟ «أنا آسف. أنا أبالي، وأهتم به بلا شك». الأمر المرعب، الحقيقة المريعة التي عليّ مواجهتها، هي أنني على حق. أنا أهتم. فشل التحذير، كما ترون. في الواقع، كان له تأثير معاكس.

هذا ما يحدث إذا شعرت بألم لا سلطان لك عليه. تصبح هشًّا. لأن الحب ينبع من إمكانية الوجع. وهذا، بالنسبة إليّ، خبر تعيس.

سقوف مُنحدرة
(وطرائق أخرى للتعامل مع المطر)

«بالنوم نقضي على وجع القلب، وألف صدمة طبيعية أصابت اللحم»
- ويليام شكبير (هاملت).

لم أستطع النوم.

بالطبع لم أستطع. كان لدي كونٌ كامل لأقلق بشأنه. ظللت أفكر في الألم، والصوت، واللون البنفسجي. علاوة على ذلك، كانت السماء تمطر.

قررت ترك إيزوبِل في السرير والذهاب والتحدث مع نيوتن.

توجهت ببطء إلى الطابق السفلي، واضعًا يديّ على أذنيّ، في محاولة لعزل صوت تساقط المطر على النوافذ. خاب أملي، إذ كان نيوتن نائمًا بهدوء في سلته.

عند عودتي إلى الطابق العلوي لاحظت أمرًا آخر. كان الهواء أكثر برودة مما ينبغي، والبرودة مصدرها أعلى المنزل وليس أسفله. كان هذا مخالفًا للنظام المعتاد. فكرت في كدمتيّ عينيْه، واستعدت ذكريات.

توجهت نحو العلية ولاحظت أن كل شيء في مكانه كما ينبغي. الكمبيوتر، ملصقات الفرقة الموسيقية، جوارب عشوائية - كل شيء في مكانه، باستثناء غليڤر ذاته.

قصاصة ورق طارت باتجاهي، حملها نسيم النافذة المفتوحة. كُتب عليها كلمتان: أنا آسف.

نظرت إلى النافذة. خارجها الليل والنجوم المرتعشة التابعة لهذه المجرة الأكثر غرابة والأكثر أُلفة.

في مكان ما وراء هذه السماء وطني. أدركت أنه يمكنني الآن العودة إلى هناك إذا أردت. يمكنني فقط إنهاء مهمتي والعودة إلى عالمي غير المؤلم. انحرفت النافذة تماشيًا مع السقف الذي مثل العديد من الأسطح هنا صُمم لإبعاد المطر. كان من السهل عليّ الخروج منه، ولكن بالنسبة إلى غليڤر لا بد أنه كان مجهودًا جهيدًا.

الصعوبة بالنسبة إليّ تكمن في المطر ذاته.

كان شديد البأس.

يبلل الجلد.

رأيته جالسًا على الحافة، إلى جانب المرزاب، متكورًا. باردًا ومبتلًا. لم أره هناك ككتلة مميزة، مجموعة غريبة من البروتونات والإلكترونات والنيوترونات، بل -باستخدام مفهوم بشري- على أنه إنسان. وشعرت بالارتباط معه. لا بالمعنى الكمي الذي ترتبط كل الأشياء ببعضها فيه، وتتفاوض فيه الذرات مع بعضها. لا. هذا مستوى آخر. مستوى فهمه أكثر صعوبة.

هل أستطيع إنهاء حياته؟

بدأت أمشي نحوه. عملية صعبة، نظرًا لاعتمادي على: قدمي إنسان وزاوية 45 درجة وألواح حجرية من سجيل (الكوارتز والموسكوفيت الأنيقين) مُبللة.

حين اقتربت منه، التفت ورآني.

سألتني: «ماذا تفعل؟». كان مذعورًا. هذا أهم ما لاحظت.

«كنت على وشك أنْ أسألك ذات السؤال»

«أبي، غادر»

لكلامه معنى. أعني، كان بإمكاني المغادرة بكل بساطة. الهروب من المطر، الشعور المريع للمطر على جلدي الرقيق ذي النسيج غير الوعائي، والدخول إلى المنزل. حينها قررت مواجهة سبب وجودي على سطح المنزل.

«لا» قلت له، ما أثار استغرابي. «لن أفعل هذا. لن أغادر» انزلقت قليلاً. تحركت بلاطة، وانزلقت، فتحطمت على الأرض. استيقظ نيوتن الذي بدأ ينبح. اتسعت عينا غليڤر، ثم أبعد رأسه. بدا أن جسده كله مليء ببنيات عصبية.

قلت له: «لا تفعل هذا».

أفلت شيئًا تهاوى على الأرض. أسطوانة بلاستيكية كانت تحتوي على ثمانية وعشرين قرصًا من الديازيبام. الآن فرغة.

اقتربت منه أكثر. لقد قرأت ما يكفي من الأدب البشري، لأدرك أن الانتحار خيار حقيقي، هنا، على الأرض. سألت نفسي مرة أخرى عن سبب انزعاجي من فعله.

بدأت أغضب.

فقد منطقي.

إذا أراد غليڤر أنْ يقتل نفسه، فمن المنطقي أنْ يحل ذلك مشكلة كبيرة، ويجب أنْ أتراجع وأسمح بحدوث ذلك. «غليڤر، استمع إلي. لا تقفز. ثق بي. لست على ارتفاع مميت». كلامي صحيح، لكن حسب حساباتي، هناك احتمال جيد لسقوطه وموته عند الاصطدام بالأرض. في تلك الحال، لن يكون بوسعي

مساعدته. يمكن شفاء الإصابات، أما الموت فيعني الموت. تربيع الصفر نتيجته صفر أيضًا.

قال: «أتذكر السباحة معك حين كنت في الثامنة. في فرنسا. هل تتذكر أنك علمتني لعب دومينوز؟»

نظر إلي، أراد رؤية تأييد، لم أتمكن منحه إياه. كان من الصعب رؤية عينه المتورمة في هذه الظلمة.

«أجل أذكر. بالطبع أذكر»

«كاذب! لا تتذكر»

«اسمع غليڤر. لندخل. إذا كنت لا تزال تريد قتل نفسك فسآخذك إلى مبنى أعلى»

لم يستمع إليّ، حاولت حينها الاقتراب منه على السطح المنزلق.

قال: «تلك آخر ذكرى جيدة حظيت بها»

في كلامه صدق. «لا مستحيل»

«هل تعرف ما معنى أنْ أكون ابنك؟»

«لا. لا أعرف»

أشار إلى عينه. «هذا. هذا هو المعنى»

«غليڤر. أنا آسف»

«أتعرف معنى شعوري بالغباء طوال الوقت؟»

«لست غبيًا». كنت لا أزال واقفًا. لو فعلت ما يفعله البشر وانتقلت على مؤخرتي، لاستغرق ذلك كثيرًا من الوقت. لذلك مشيت بخطوات بسيطة على السطح، مائلًا إلى الخلف في مغالبة للجاذبية.

«أنا غبي. أنا لا شيء»

«لا يا غليڤر. لست كذلك. أنت شيء. أنت ــ»

لم يصغ إلي.

الديازيبام يتمكن منه.

سألته: «كم حبة ابتلعت؟ كلها؟»

كدت أصل إليه، يدي على وشك الإمساك بكتفه حين أغمض عينيْه لينام أو يتمنى.

تزحزحت بلاطة أخرى، انزلقت على جانبي حتى تعلقت بالحافة. كان بإمكاني الصعود بسهولة. لم تكن هذه المشكلة. المشكلة هي أن غليڤر كان يميل الآن إلى الأمام.

«غليڤر، انتظر! استيقظ! استيقظ! غليڤر!»

اكتسب الميْل قوة دافعة.

«لا!»

سقط، وسقطت معه. سقوط داخلي أولًا، صرخة مكتومة في هاوية. ثم جسديًا. سقطت في الهواء بسرعة مهولة.

كسرت ساقي. لذلك كانت هذه نيتي. لتتألم الساق، لا الرأس، لأني أحتاج إلى رأسي. لكن ألم الساق شديد. للحظة قلقت من عدم شفائها. مشهد غليڤر فاقدًا الوعي إلى جانبي على الأرض على بضعة مترات قليلة جعلني أركز. الدم يتدفق من أذنه. لشفائه أحتاج إلى شفاء نفسي. هذا ما حدث. تمنيت بكل بساطة، إذا تمنيْت بشكل كاف، باستخدام النوع الصحيح من الذكاء.

ومع ذلك، لا يزال تجديد الخلايا وإعادة بناء العظام يستهلك الكثير من الطاقة، خاصة أني كنت أفقد الكثير من الدم وأصبت

بكسور متعددة. لكن الألم تضاءل عندما استحوذ عليّ إرهاق غريب وشديد وحاولت الجاذبية تثبيتي بالأرض. جرح رأسي، ولكن ليس نتيجة للسقوط؛ بل من المجهود الذي ينطوي عليه ترميمي الجسدي.

وقفت وأنا أشعر بالدوار. تمكنت من المشي نحو غليڤر رغم الأرض الأفقية الأشد انحدارًا من السقف.

«غليڤر. هل تسمعني؟ غليڤر؟»

كان بإمكاني طلب المساعدة، كنت أعرف طريقة فعل ذلك. لكن المساعدة تعني سيارة إسعاف ومستشفى. المساعدة تعني فشل البشر لجهلهم الطبي. المساعدة تعني التأخير والموت الذي كان من المفترض أن أتقبله، لكني عجزت.

«غليڤر»

لا نبض. فارق الحياة. لا بدّ أني قد تأخرت ثواني، يمكنني تحديد موقع أول هبوط بسيط في درجة حرارة جسمه.

من الناحية العقلانية، عليّ الاستسلام لهذه الحقيقة.

لم أفعل.

كنت قد قرأت الكثير من أعمال إيزوبِل، ولهذا عرفت أن تاريخ البشر حافل بأشخاص حاولوا تحدي المسلمات. نجح بعضهم، وفشل معظمهم، لكن هذا لم يمنعهم. من الأمور الأخرى التي يمكن قولها عن هذه الرئيسات هو أنها ذات عزيمة وطموح.

أملهم غير منطقي على الأغلب. لا معنى منه. لو كان له معنى لأطلقوا عليه اسم، معنى. الشيء الآخر عن الأمل هو أنه يتطلب جهدًا، ولم أكن معتادًا بذل الجهد. في المنزل، لم يكن هناك

جهد. هو بيت القصيد من المنزل، راحة الوجود السهل تمامًا. ومع ذلك كنت هناك. على أمل. لا يعني ذلك أنني كنت أقف هناك، بشكل سلبي، فقط أتمنى له الأفضل من مسافة بعيدة. بالطبع لا. وضعت يدي اليسرى -يدي الموهوبة- على قلبه، وبدأت العمل. الوجود المريح الهين. وها أنا الآن أتمنى. لا يعني هذا أني وقفت بسلبية مجرد التمني عن بعد. لا طبعًا، وضعت يدي اليسرى -يدي المميزة- على قلبه، وبدأت العمل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان الأمر مرهقًا.

فكرت في النجوم الثنائية. عملاق أحمر وقزم أبيض، جنبًا إلى جنب، يتم امتصاص قوة حياة أحدهما في قوة الآخر. كانت وفاته حقيقة، كنت مقتنعًا من قدرتي على دحضها أو منعها. لكن الموت لم يكن قزمًا أبيض. كان أفضل من ذلك.

الموت ثقب أسود. بمجرد تجاوزه، يكون المرء في بقعة صعبة جدًا.

لم تمت يا غليڤر. لم تمت.

واصلت تكرار ذلك، لأني أعرف معنى الحياة، فأنا طبيعتها، شخصيتها، إصرارها العتيد.

الحياة، وخاصة الحياة البشرية، عمل من أعمال التحدي، لم يفترض أنْ تكون كذلك، ومع ذلك كان موجودًا في عدد مهول من الأماكن عبر عدد لا نهائي من الأنظمة الشمسية.

لا وجود لشيء مستحيل. كنت أعرف ذلك، لأنني كنت أعرف أيضًا أن كل شيء مستحيل، وبالتالي فإن الإمكانات الوحيدة في الحياة مستحيلة.

يمكن أن يتوقف الكرسي عن كونه كرسيًا في أي لحظة. تلك هي فيزياء الكم. ويمكنك التلاعب بالذرات إذا كنت تعرف كيفية التحدث معهما.

لم تمت. لم تمت.

فزعت. مزقت موجات عميقة آلمتني، جهد حارق للعظام اخترقني مثل توهجات شمسية. لا يزال مستلقيًا في مكانه. لاحظت لأول مرة أن وجهه يشبه والدته. هادئ، هش، نفيس.

نور داخل المنزل. لا بد أن إيزوبِل قد استيقظت، بسبب نباح نيوتن أو أمر آخر لا أعرفه.

لم أنتبه إلا إلى وجود نور على جسد غليڤر، ونبض واهن تحت يدي.

أمل.

«غليڤر، غليڤر، غليڤر ـ»

نبض آخر.

أقوى.

قرع طبول الحياة. إيقاع خلفي، بانتظار اللحن. دوم-دوم، ثم دوم-دوم.

كان على قيد الحياة. ارتعشت شفتاه، وتحركت عيناه المصابتان بكدمات مثل بيضة على وشك أن تفقس. فتح عينًا، ثم الأخرى. العينان على الأرض مهمتان. سترى إنسانًا والحياة داخله إذا رأيت عينيّه. وقد رأيت هذا الفتى الحساس طريح الأرض، وشعرت، للحظة، باستعجاب الأب. لحظة يجب الاستمتاع بها، لكنها غمرتني بالألم والبنفسج.

أشعر بانهياري على الأرض الرطبة اللامعة.

خطوات أقدام ورائي. وكان هذا آخر شيء سمعته قبل عتمة تامة أحاطت بي، جنبًا إلى جنب مع أبيات شعر تذكرتها، همست بها في أذني ميلي ديكنسون التي أقبلت نحوي على استحياء من هالة البنفسج.

«الأمل؛ ذاك الشيءُ المكسو بالريش
الذي يأوي إلى الروح
لينشدَ أغنية من غير كلمات
مُسترسلاً في التغريد – دون توقفٍ أو انقطاع».

عدت إلى المنزل، في ڤونادوريا، كما هو لم يتغير قيد أنملة. وكنت بالضبط كما كنت دائمًا بينهم، المضيفون، لا أشعر بأي ألم ولا خوف.

عالمنا الجميل الخالي من الحروب، حيث تذهلني أنقى الرياضيات إلى الأبد.

أيما إنسان يصل إلى هنا، سيحدق في مناظرنا الطبيعية البنفسجية، وقد يعتقد أنه دخل الجنة.

لكن ماذا حدث في الجنة؟

ماذا فعلتَ هناك؟

بعد مدة، ألم تتق إلى المثالب؟ الحب والشهوة وسوء الفهم، وربما حتى القليل من العنف لإضفاء الحيوية على الأشياء؟ ألا يحتاج الضوء إلى الظل؟ أليس كذلك؟ ربما لم يحدث ذلك. لعلي لم أفهم ما يحدث. ربما الهدف هو العيش مع انعدام الألم. نعم، الوجود مع انعدام الألم. نعم، ربما كان هذا هو الهدف الوحيد الذي نحتاج إليه في الحياة. كان الأمر كذلك بالتأكيد، ولكن ماذا سيحدث إذا لم تطلب هذا الهدف قط لأنك ولدت بعد تحقيقه؟ كنت أصغر من المضيفين. لم أشاركهم تقرير حسن طالعي. ليس بعد الآن. ولا حتى في الحلم.

استيقظت.

على كوكب الأرض.

لكني كنت في غاية الوهن فعدت إلى حالي الطبيعية. كنت قد سمعت هذا. في الحقيقة، كنت قد ابتلعت كبسولة كلمة عنها. عوضًا عن السماح لك بإماتة جسدك، سيعود إلى حالته الطبيعية، لأن كمية الطاقة الإضافية المنتشرة لتكون شخصًا آخر ستنفع أكثر في الحفاظ على حياتك. وتلك الغاية من وجود القدرات، حقيقة. الحفاظ على الذات. الحفاظ على الخلود.

وهو أمر جيد من الناحية النظرية. من الناحية النظرية، كانت فكرة رائعة. لكن المشكلة الوحيدة هي حدوثها على الأرض. وحالتي الأصلية ليست مجهزة للهواء هنا، أو الجاذبية، أو التواصل وجهًا لوجه. لا أريد أنْ تراني إيزوبِل. لا يمكن أن يحدث ذلك.

وهكذا، ما إن شعرت بالحكة والوخز والدفء والتحول، طلبت من إيزوبِل أن تفعل ما كانت تفعله بالفعل: رعاية غليڤر.

وبينما كانت جاثمة، وظهرها إلي، وقفت على قدمي، عندئذ كانتا كقدمي الإنسان. ثم نقلت نفسي -في بين شكلين متناقضيْن- عبر الحديقة الخلفية. لحسن الحظ، كانت الحديقة كبيرة ومظلمة، فيها الكثير من الزهور والشجيرات والأشجار للاختباء وراءها. وهو ما فعلت. اختبأت بيْن الزهور الجميلة. ورأيتها تنظر حولها، في أثناء طلب الإسعاف لغليڤر.

«أندرو» نادت فجأة، بينما وقف غليفر على قدميه. حتى أنها ركضت إلى الحديقة لإلقاء نظرة. لكني بقيت ساكنًا. «أين اختفيت؟»

بدأت رئتاي تحترقان. أحتاج إلى المزيد من النيتروجين.

كلمة واحدة بلغتي اللزم ستأخذني إلى منزلي. إذا سمعها المُضيفون سيعيدونني. فلماذا لم أقلها حتى الآن؟ ألأنني لم أنهِ مهمتي؟ لا. لم يكن الأمر كذلك. لم أكن لأنهي مهمتي بتاتًا. هذا ما تيقنت منه هذه الليلة. فما السبب؟ ما سبب تفضيلي المخاطر والألم على نقيضيْهما؟ ماذا حدث لي؟ ما خطبي؟

نيوتن، الآن، خرج إلى الحديقة. ركض، وشم النباتات والزهور حتى شعرت بوقوفه إلى جانبي. توقعت أن ينبح ليلفت الانتباه، لكنه لم يفعل. حدق في وجهي، وعيناه تلمعان بدوائر فارغة، وبدا أنه متيقن من هُوية المختبئ خلف شجيرات العرعر. لكنه حافظ على هدوئه.

كان كلبًا جيدًا.

أحببته.

لا يمكنني فعله.

نعرف.

لا فائدة من القيام بذلك على أي حال.

لا أصدق أنه يجب إيذاء إيزوبل وغليڤر.

نعتقد أنك قد تعرضت للفساد.

لم أفسد. اكتشفت معرضة إضافية. هذا كل ما حدث.

لا. لقد لوثوك.

لوثوني؟ لوثوني؟ بماذا؟

بعواطفهم؟

هذا صحيح.

اسمع، للعواطف منطق. دون مشاعر لن يكترث البشر ببعضهم، وإذا لم ينتبه أحدهم إلى الآخر فسيفنون جميعًا. رعاية الآخرين هو حفاظ على الذات. تهتم بأحد ويهتمون بك.

تتكلم كأنك واحدٌ منهم. لست بشرًا. أنت منا. نحن واحد.

أعرف أني لست بشرًا.

نعتقد أنك تحتاج إلى العودة إلى المنزل.

لا.

لا بد أن تعود إلى المنزل.

لم أحظ بأسرة قط.

نحن أسرتك.

لا. الأمر مختلف.

نريدك أن تعود إلى المنزل.

يجب أنْ أطلب عودتي إلى المنزل، ولن أفعل هذا. يمكنك التدخل في تفكيري، لكن لا يمكنكم التكلم به.

سنرى.

في اليوم التالي كنا في غرفة المعيشة. أنا وإيزوبِل. نيوتن في الطابق العلوي مع غليڤر الذي كان نائمًا. تأكدنا من صحته لكن نيوتن معه على أهبة الاستعداد.

سألتني: «كيف حالك؟»

قلت: «لم يكن موتًا لأني واقف».

إيزوبِل: «لقد أنقذت حياته».

«لا أعتقد ذلك. لم يكن عليّ إجراء الإنعاش القلبي الرئوي. قال الطبيب إنه قد أصيب بجروح طفيفة جدًّا».

«لا يهمني ما قال الطبيب. قفز من السطح. كان من الممكن أن يموت. لماذا لم تنادني؟»

«فعلت». كذبت عليها، لكن إطار الأحداث بكامله كذبة. اعتقادها أني زوجها. كل شيء غير حقيقي. «لقد صرخت وناديتك».

«كان من الممكن أن تقتل نفسك»

(يجب أن أعترف أن البشر يضيعون الكثير من وقتهم –معظم وقتهم– بافتراضات. يمكن أن أكون غنيًا. يمكن أن أكون مشهورًا. كان من الممكن أن تصدمني تلك الحافلة. كان من الممكن أن أولد بعدد أقل من الشامات وثديين أكبر. كان بإمكاني قضاء المزيد من شبابي في تعلم اللغات الأجنبية. يستخدمون الزمن الشرطي أكثر من أي كائن آخر). «لكني لم أقتل نفسي. أنا على قيد الحياة. لنركز على هذا».

«ماذا حدث لأقراص دوائك؟ كانت في الخزانة»».

«تخلصت منها». كذبة أخرى. الشيء غير الواضح هو من كنت أحمي؟ إيزوبِل؟ غليڤر؟ أحمي نفسي؟

«لماذا؟ لماذا تخلصت منها؟»

«لم أعتقد أخذها فكرة جيدة، وجودها في محيطي. تفهمين قصدي، نظرًا لحالته»

«لكنها ديازيبام. ڤاليوم (مهدئ). لا يمكنك تناول جرعة زائدة من الفاليوم، ستحتاج إلى ألف».

«أعرف ذلك». كنت أشرب كوب شاي. لقد استمتعت بالشاي حقيقة. أفضل من القهوة بكثير. طعمه مثل الراحة.

أومأت إيزوبِل برأسها. كانت تشرب الشاي هي أيضًا. يبدو أن الشاي يجعل الأمور أفضل. مشروبٌ ساخن مصنوع من أوراق نبات، يستخدم في أوقات الأزمات وسيلة لاستعادة الحياة الطبيعية.

قالت: «هل تعرف ماذا قالوا لي؟»

«لا. ماذا؟ ماذا قالوا لكِ؟»

«إن بإمكانه البقاء في المنزل»

«صحيح»

«كان الأمر متروكًا لي. تحديد إن كنت أعتقد أن الأمر محاولة انتحار أم لا. قلت لهم أنه سيكون في خطر أكبر إذا أبعدوه عن المنزل. فطلبوا إبلاغهم إذا حاول الانتحار مرة أخرى، وحينها لن يكون لديهم خيار آخر. سيدخلونه إلى مستشفى، وسيراقبونه»

«أوه. حسنًا، سنراقبه. هذا رأيي. هذا المستشفى مليء

بالمجانين. أشخاص يعتقدون أنهم من كواكب أخرى. أشياء من هذا القبيل».

ابتسمَت ابتسامة حزينة، ونفخت على سطح مشروبها. «نعم. نعم. سنضطر إلى فعل ذلك»

حاولت أن أفهم شيئًا. «خطئي أليس كذلك؟ لأني لم أرتد ثيابًا في ذلك اليوم»

شيء ما في هذا السؤال قد عكر المزاج. تصلب وجهها، وقالت: «أندرو، أتعتقد حقًّا أن الأمر يتعلق بيوم واحد؟ بانهيارك النفسي؟»

قلت: «أوه». رغم معرفتي أنها لا تناسب السياق، لكن لم يكن لدي أي شيء آخر لأقوله. كانت كلمة «أوه» هي الكلمة التي ألجأ إليها دائمًا لملء الصمت. بمثابة شاي لفظي. لربما من المفترض أنْ أستبدل «لا» بـ «أوه»، لأني أعتقد أن الأمر لا يتعلق بيوم واحد. لعل الأمر يتعلق بآلاف الأيام، لم أكن معهم حينها. وهكذًا كانت كلمة «أوه» ملائمة أكثر.

«لا يتعلق الأمر بحدث واحد. به علاقة بكل الأحداث. من الواضح أنه ليس خطأك فقط لكنك لم تؤازر ابنك فعلًا، أليس كذلك يا أندرو؟ طوال حياته، أو على الأقل منذ عودتنا إلى كمبردج غبت عنه»

تذكرت شيئًا قاله لي على السطح. «ماذا عن فرنسا؟»

«ماذا؟»

«علمته لعب الدومينو. سبحت معه في حمام سباحة. في فرنسا. الريف. فرنسا»

عبَسَت، ثم تعجبت: «فرنسا؟ ماذا؟ دوردوني؟ أسبوعان في دوردوني وصندوق من الدومينو الدموي. أتحاول التنصل بهذه الذكرى؟ هل هذه أبوة؟»

«لا. أنا لا أعرف. كنت أعطي مثالًا فقط. مثالًا قويًا لما كان عليه»

«كان عليه؟»

«أقصد لما كنت عليه»

«كنت معنا في الإجازات. أجل. أجل. لا بد أنها إجازات عمل. بربك هل تتذكر سيدني؟ وبوسطن؟ وسيؤول! وتورين! ودوسلدورف!»

قلت: «أوه أجل»، وأنا أحدق في الكتب غير المقروءة على الرفوف كذكريات لم تُعش. «أتذكرها بكل وضوح طبعًا»

«بالكاد رأيناك. إذا رأيناك، كنت في غاية القلق دائمًا بخصوص محاضرة ستلقيها على أشخاص ستقابلهم. وكل تلك الصفوف التي قمنا بها. كانت لدينا. حتى مرضك. ثم تحسنك. بربك، هل تفهم كلامي يا أندرو؟ ليست خبرًا عاجلًا، صحيح؟»

«لا. لا على الإطلاق. إذن فيم فشلت أيضًا؟»

«لم تفشل. ليست ورقة أكاديمية سيختبرك فيها زملاؤك. ليست مسألة نجاح أو فشل. إنها حياتنا. لا أتكلم بأحكام قطعية. أحاول فقط إخبارك بالحقيقة بموضوعية»

«أريد فقط أن أعرف. أخبريني بأشياء قمت بها أو لم أفعلها»

لعبت بعقدها الفضي «ما بالك. لم يتغير شيء. بين عمر الثانية والرابعة من عمر ابننا لم تعد إلى البيت لتحميمه أو قراءة

قصة لـه. لطالمـا كانـت هـي نفسـها. بيـن سـن الثانيـة والرابعـة لـم تعـد إلـى المنـزل فـي الوقـت المناسـب لحمـام واحـد أو قصـة مـا قبـل النـوم. كنـت تغضـب علـى كل مـا يعيـق طريقـك وعملـك، أو إذا اقتربـت مـن الإشـارة إلـى أنـي ضحيـت بحياتـي المهنيـة مـن أجـل هـذه العائلـة - فـي ذلـك الوقـت عندمـا كنـت أقـدم تضحيـات حقيقيـة - رفضـت حتـى تأجيـل الموعـد النهائـي لتسـليم الكتـاب. أرفـض التفكيـر فـي مـا حـدث»

«أعـرف. أنـا آسـف» قلـت وأنـا أفكـر فـي روايتهـا «أوسـع مـن السـماء». «كنـت فظًـا. أعتقـد أنـك سـتكونين أفضـل حـالًا مـن دونـي. أعتقـد بعـض الأحيـان أن عودتـي خطـأ جسـيم»

«لا تتصرف كالأطفال. تبدو أصغر من غليڤر»

«أتكلم بجدية. تصرفت بسـوء. أفكر أحيانًـا أنـه مـن الأفضـل أنْ أغـادر بـلا عـودة بتاتًـا»

شـعرت بصدمـة. يداهـا علـى ردفيهـا، لكـن رقـت نظرتهـا. تنفسـت بعمق.

«أحتاج إليك هنا. تعرف أني أحتاج إليك»

«لماذا؟ ما الذي منحته لهذه العلاقة؟ لا أفهم»

أغلَقت عينيْها، ثم همست: «كان ذلك رائعًا»

«ماذا؟»

«ما فعلته هناك. على السقف. كان مذهـلًا»

ثـم فعلـت أعقـد تعبيـرٍ وجهـيٍّ رأيتـه علـى بشـر. نـوع مـن الازدراء المحبـط، المشـوب بالتعاطـف، تخفـف تأثيـره بدعابـة عميقـة، بلـغ ذروتـه فـي التسـامح وشـعور آخـر لـم أفهمـه تمامًـا، لكنـي أعتقـد أنـه حـب.

«ماذا حدث لك؟ قالت بهمس، ليس أكثر من أنفاس منتظمة.

«ماذا؟ لا شيء. لم يحدث شيء لي. انهيار ذهني. لكني تجاوزته. لا شيء غير هذا» قلت هذا لأجعلها تبتسم.

ابتسمت لكن سرعان ما حزنت مرة أخرى. نظرت إلى السقف. بدأت أفهم هذا التواصل الخالي من الكلمات.

«سأتكلم معه» قلت لها، وأنا أشعر بالقوة والسلطة. شبه حقيقية. شبه بشرية. «سأتكلم معه».

«ليس عليك»

«أعرف» قلت لها. وقفت، وساعدت في حين أنه كان علي أنْ أضرها.

التواصل الاجتماعي على الأرض محدود جدًّا أساسًا. على عكس ڤونادوريا، تكنولوجيا التزامن الذهني ليست موجودة، ولهذا يعجزون عن التواصل مع بعضهم عن طريق توارد الخواطر مع بعضهم كخلية تفكير حقيقية. ولا يمكنهم دخول أحلام بعضهم والتجول فيها، وتذوق أطايب طعام متخيلة في مشاهد قمرية عجيبة. أما التواصل الاجتماعي على الأرض، فيتلخص في الجلوس إلى حاسوب بلا مشاعر وكتابة كلمات عن حاجتهم إلى شرب قهوة، والقراءة عن أشخاص آخرين يحتاجون إلى قهوة، وينسون صنع قهوتهم. كأنهم محور برنامج إخباري.

من ناحية إيجابية، اكتشفت أن اختراق شبكات الكمبيوتر البشرية كان في غاية السهولة، لأن جميع أنظمتها الأمنية تعتمد على أرقام أولية. ولهذا اخترقت حاسوب غليڤر وغيرت اسم كل شخص تنمّر عليه في فيسبوك إلى «أنا سبب العار»، وحظرت نشرهم أي منشور فيه كلمة غليڤر، وأرسلت لكل منهم فيروسًا يحمل اسم «البرغوث» تيمنًا بقصيدة جميلة. الرسائل الوحيدة التي يمكنهم إرسالها تضم الكلمات الآتية: «تأذيت سابقًا، فآذيتك».

في ڤونادوريا لم أقدم على أي فعل انتقامي. ولم أشعر بالرضا التام نهائيًّا.

ذهبنا إلى الحديقة لتمشية نيوتن. الحدائق هي الوجهة الأكثر شيوعًا في نزهات الكلاب. قطعة من الطبيعة فيها: العشب والزهور والأشجار. لم يُسمح لها بأن تكون طبيعية تمامًا. الكلاب هي ذئاب أعيق تطورها، والحدائق غابات أعيق تطورها. أحبّ البشر كليهما، ربما لأن البشر أعيق تطورهم أيضًا. كانت الزّهور جميلة. لا بد أن الزهور - يسبقها الحب - أفضل ترويج لكوكب الأرض.

«هذا غير منطقي» قال غليڤر في أثناء جلوسنا على المقعد.

«ما هو غير المنطقي؟»

شاهدنا نيوتن يشم الأزهار، بحيوية.

«كنت بخير. بلا أي ضرر. حتى أن عيني أفضل»

«كنت محظوظًا»

«أبي، تناولت ثماني وعشرين حبة ديازيبام قبل صعود السقف»

«كان عليك تناول المزيد»

نظر إلي، غاضبًا من كلامي، كأني أهنته. استخدمت العلم ضده.

أضفت: أمك قالت لي هذا. لم أكن أعرف»

«لم أردك أنْ تنقذني»

«لم أنقذك. كنت محظوظًا. لكن أعتقد فعلًا أن عليك تجاهل مشاعر كهذه. كانت لحظة من حياتك. لديك أيام كثيرة لتعيشها.

أربع وعشرون ألف يوم تقريبًا. لحظات كثيرة. يمكنك إنجاز الكثير في ذلك الوقت. يمكنك قراءة الكثير من الشعر»

«أنت لا تحب الشعر. هذا أحد الأمور التي أعرفها عنك»

«بدأت أحبه... اسمع، لا تقتل نفسك. لا تقتل نفسك بتاتًا. هذه هي نصيحتي الوحيدة. لا تقتل نفسك»

أخرج غليڤر شيئًا من جيبه ووضعه في فمه. سيجارة. أشعلها. طلبت منه أن أجربها. استغرب من طلبي، لكنه ناولني إياها. امتصصت جزأها السفلي، وسحبت الدخان إلى صدري، ثم سعلت.

سألت غليڤر: «ما الهدف منها؟»

هز كتفيْه استهجانًا.

«إنها تسبب الإدمان ومعدل الوفاة بسببها مرتفع. اعتقدت أن هناك هدفًا»

أعدت السيجارة إليه.

«شكرًا» تمتم وما زال مستعجبًا.

دخنها وأدركت أنها لم تكن تفعل شيئًا له أيضًا. أطفأ السيجارة على قوس شديد الانحدار باتجاه العشب.

قلت له: «يمكننا لعب الدومينو عند عودتنا إلى المنزل إذا أردت. اشتريتها اليوم»

«لا شكرًا»

«أو يمكننا الذهاب إلى دوردوني»

«ماذا؟»

«نذهب للسباحة»

هز رأسه نفيًا. «تحتاج إلى المزيد من الحبوب»

«أجل. ربما. أكلت كل حبوبي» حاولت الابتسام بتلاعب، وحاولت تجريب شيء من هزل الأرض. «أيها اللعين!»

عم صمت طويل. شاهدنا نيوتن يشم محيط شجرة. مرتين.

ألف شمس انفجرت داخليًا، عبّر غليڤر عنها بقوله: «لا تعرف شعور لارتفاع سقف توقعات الجميع لأنّي ابنك. قرأ أساتذتي كتبك، واعتبروني تفاحة معطوبة سقطت من شجرة أندرو مارتن العظيم. تعرف، الفتى الأنيق الذي طرد من مدرسته الدّاخليّة، الذي أشعل نارًا، الذي تخلّى والداه عنه. لا يعني ذلك أنّي منزعج من ذلك الآن. لكن حتّى في العطلات لم تكن موجودًا أبدًا. كنت دائما في مكان آخر، أو تجعل كل شيء متوترًا وفظيعًا مع أمي. هذا مقرف. كان يجب أنْ تفعل الشّيء الصّحيح وأنْ تطلق أمّي منذ سنوات. لا شيء مشترك بينكما».

فكرت في كل هذا. ولم أكن أعرف ماذا أقول. مرت سيارات على الطريق خلفنا. كان الصوت حزينًا جدًّا بطريقة ما، مثل قعقعة الجهير لمخلوق بازاديم نائم. ما الاسم الذي أطلقته على فرقتك؟»

«التائهون»

سقطت ورقة شجرة على حضني. ميتة وبنيّة اللون. احتفظت بها، شعرت بتعاطف غريب معها عل غير عادتي؛ ربما لأنّي الآن أتعاطف مع البشر ويمكنني التّعاطف مع أي شيء تقريبًا. قرأت الكثير من قصائد إميلي ديكنسون هذه هي المشكلة. إميلي

ديكنسون أنسَنَتْني، لكن ليس ذلك الإنسان. شعرت بألم في رأسي وقليل من التعب في عينيّ في أثناء اخضرار الورقة.

أبعدتها بسرعة، لكني تأخرت. «ما الذي حدث للتو» سأل غليڤر، وهو يحدق في الورقة مع طيرانها مع النسيم.

حاولت تجاهله. سألني مرة أخرى.

فأجبته: «لم يحدث شيء للورقة».

نسي أمر الورقة بمجرد أن شاهد مراهقتيْن وشابًا في مثل عمره في الطريق خلف الحديقة. الفتاتان تضحكان بقوة عندما شاهدتانا. أدركت أن، جوهريًا، هناك نوعين من الضحك البشري، وهذا الضحك ليس من النوع الجيد.

الفتى شاهدته في صفحة فيسبوك الخاصة بغليڤر. ثيو «العمل اللعين» كلارك.

تقلص غليڤر.

«إنه مارتن المريخي! أيها الغريبان[1]».

انكمش غليڤر على المقعد، وشل من شعوره بالعار.

استدرت لتقييم بنية ثيو الجسدية وإمكاناته الديناميكية. صرخت: «يمكن لابني أن يضربك على الأرض». «يمكنه تشكيل وجهك إلى شكل هندسي أكثر جاذبية»

«اللعنة يا أبي، ماذا تفعل؟ إنه الشخص الذي ضربني على وجهي»

نظرت إليه. كان كثقبٍ أسود. كأن كل العنف كامن داخله. لقد حان الوقت له لدفع بعضه إلى الاتجاه الآخر.

قلت: «هيا، أنت إنسان. حان الوقت للتصرف كبشري».

---

1 - شخصية خيالية.

قال غليڤر: «لن أفعل».

ولكن بعد فوات الأوان. عبر ثيو الطريق. قال وهو مقبل بتبجح نحونا: «خفيف ظل أنت الآن، صحيح؟»

قلت له: «سيكون من الممتع أن أرى خسارتك أمام ابني، إذا كان هذا ما تقصده»

«في الواقع، أبي مدرب تايكواندو. علمني كيف أقاتل»

«في الواقع، والد غليڤر عالم رياضيات. لذلك سيفوز»

«صحيح صحيح»

«ستخسر» قلت للفتى، وحرصت على نبرة التأكيد في صوتي، كصخور في بركة ضحلة.

ضحك ثيو، وقفز بسهولة عجيبة على الجدار الحجري الخفيض المحيط بالحديقة، والفتاتان تتبعانه. هذا الفتى -ثيو- ليس بطول غليڤر، لكنه أقوى جسديًا. كأنه بلا رقبة تقريبًا، وعيناه قريبتان جدا من بعضهما كمسخ. مشى جيئة وإيابًا على العشب أمامنا، يستعد بلكم وركل الهواء.

كان غليڤر شاحبًا. قلت له: «غليڤر، سقطت من سقف أمس. ذلك الفتى ليس بارتفاع السقف. لا خطر منه. لا عمق. تعرف كيف سيقاتلك»

قال غليڤر: «أجل. سيقاتل بشكل جيد»

«لكن لديك مفاجأة له. أنت لا تخاف من شيء. كل ما عليك إدراكه هو أن ثيو هذا يجسد كل شيء كرهته في حياتك. هو أنا. هو الطقس السيئ. هو الروح البدائية للإنترنت. هو ظلم القدر. أنا أطلب منك —بعبارة أخرى— أنْ تعاركه كما عاركتني في نومك. اخسر كل شيء. تخلص من كل العار والوعي واضربه، لأنك قادر».

غليفر: «لا. لا أستطيع».

أخفضت صوتي، استحضرت قدراتي. «تقدر. يتكون من ذات المكونات الكيميائية-الحيوية التي تكونك، لكن نشاطه العصبي ملحوظ». لاحظت تحير غليفر، فلمست جانب رأسي وشرحت له: «كل شيء يتعلق بالذبذبات».

وقف غليفر. أحكم غلق طوق نيوتن. تذمر مستشعرًا الجو.

شاهدت غليفر يمشي على العشب. متوترًا، منزعجًا كأن حبلًا غير مرئي يسحبه.

مضغت الفتاتان شيئًا لم تخططا لبلعه، وقهقهتا بحماسة. تحمس ثيو أيضًا. أدركت أنّ بعض البشر يحبّون العنف ويشتهونه؛ لا لأنّهم يريدون الألم، بل لأنّهم توجّعوا سابقًا وأرادوا إلهاء أنفسهم عنه بألم أقل. ضرب ثيو غليفر، ثمّ ضربه مرّة أخرى. ضربتان على وجهه، أرسلتا غليفر إلى الوراء. قرقر الكلب راغبًا في الدّفاع عن صاحبه، لكنّي أبقيته في مكانه.

قال ثيو وهو يرفع قدمه بسرعة على صدر غليفر: «أنت نكرة». سحب غليفر السّاق، وقفز ثيو على رجل واحدة مرّات متتالية، أو على الأقل بما يكفي ليظهر بمظهر الأحمق.

نظر غليفر إليّ عبر الهواء السّاكن بصمت.

سقط ثيو، وسمح غليڤر له بالوقوف، ثمّ شرع يلكمه بعنف كأنّه يحاول تخليص نفسه من جسده، وكأنّ هذا ممكن. سرعان ما نزف ثيو وسقط على ظهره. قعد وغطى وجهه بيْن يديْه، فشاهد الدّم، واعتبره رسالة تخطر له ببال.

قلت: «حسنًا، حان وقت العودة إلى المنزل يا غليڤر». ذهبت إلى ثيو. انحنيت نحوه.

«انتهى أمرك الآن. هل تفهم؟»

فهم ثيو. الفتاتان لم تنطقا بكلمة، لكنهما واصلتا المضغ بنصف السرعة. سرعة البقر. خرجنا من الحديقة. لم يصب غليڤر بأي خدش.

«ما شعورك؟»

«آذيته»

«أجل. وما هو شعورك؟ مريح نفسيًّا؟

هزّ كتفيْه. ابتسامة موارِبة داخل شفتيْه. أخافتني، ما أقرب العنف للإنسان المتمدّن. العنف بذاته ليس باعثًا للقلق، بل المقلق هو مقدار الجهد الذي يبذله لإخفائه. الهوموسابينس [الجنس البشري] كان صيّادًا بدائيًّا واستيقظ يوميًّا وهو يدرك قدرته على القتل. والآن، المعرفة المكافئة هي فقط علمه بأنّه يستيقظ يوميًّا ويشتري شيئًا. ولذلك كان من المهم لغليڤر التّنفيس في عالم اليقظة عمّا لم ينفّس عنه إلّا في نومه.

قال: «أبي، لقد تغيرت كثيرًا. أليس كذلك؟»

«لا»

توقعت أنْ يسألني سؤالًا آخر، لكنه لم يفعل.

لـم أكـن أنـدرو، بـل كنتهـم. اسـتيقظنا، وفـي غرفـة النّـوم لـون بنفسـجي، ومـع ذلـك لـم يؤلمنـي رأسـي إلّا أنّـي شـعرت بضغـط؛ كمـا لـو أنّ جمجمتـي قبضـة يـد ومخّـي قطعـة صابـون داخلـه.

حاولـت إطفـاء الضّـوء، لكـن الظّـلام لـم ينفـع، واسـتمر انتشـار اللـون البنفسـجي كحبـر مسـكوب.

قلت للقادة: «اتركوني. اتركوني».

لكنّهـم أحكمـوا سـيطرتهم علـي. إذا كنـت تقـرأ هـذا السـطور، فـلا بدّ أنهـم قـد سـيطروا عليـك أنـت أيضًـا. كنـت أفقـد نفسـي، عرفـت هـذا لأنّـي حيـن تقلّبـت علـى جانبـي الآخـر كان بإمكانـي رؤيـة إيزوبِـل فـي الظّـلام، وجههـا فـي الاتجـاه الآخـر. يمكننـي رؤيتهـا، نصفهـا تحـت البطّانيّـة. لمسـت عنقهـا. لـم أشـعر بشـيء نحوهـا؛ لـم نشـعر بشـيء نحوهـا. لـم نعتبرهـا إيزوبِـل أصـلًا. مجـرّد إنسـانة. تمامًـا كمـا يعتبـر البشـر البقـرة أو الدّجاجـة أو الميكـروب مجـرّد بقـرة أو دجاجـة أو ميكروبًـا.

لمسـنا رقبتهـا العاريـة، ودرسـنا جسـدها؛ كل مـا نحتـاج إليـه. كانـت نائمـة، وكل مـا كان علينـا فعلـه هـو إيقـاف نبضـات قلبهـا. الأمـر فـي غايـة السّـهولة حقيقـةً. حركنـا أيدينـا لأسـفل قليـلاً، وشـعرنا بنبضـات قلبهـا بيـن ضلوعهـا. حركـة أيدينـا أيقظتهـا، فاسـتدارت نائمـة، وقالـت وعيناهـا لا تـزالان مغمضتيـن: «أحبـك».

الكاف في «أحبك» موجّهة لشخص واحد. كانت بمثابة نداء لي أو لأندرو الذي اعتقدت أنّه أنا، حينها تمكّنت من هزيمتهم، وأصبحت أنا لا هم، وفكرة هروبها من الموت جعلتني أدرك حجم مشاعري لها.

«ما الأمر؟»

لم أستطع إخبارها، فقبّلتها. التّقبيل هو ما يفعله البشر نحو بعضهم إذا عجزوا عن الكلام. إنّه انتقال إلى لغة أخرى. التّقبيل فعل للمواجهة، وربما للحرب. لا يمكنك أنْ تلمسنا، كان هذا معنى القبلة.

«أنا أحبّك» قلت لها، في أثناء شم بشرتها، عرفت أنّي لم أرغب في أي امرأة أو أي شيء أكثر منها، لكنّ انجذابي لها الآن أفزعني، واحتجت إلى تأكيد وجهة نظري.

«أحبك. أحبك. أحبك»

وبعد ذلك، بعد نزع آخر قطعة ثياب، أصبحت الكلمات مجرّد أصوات. مارسنا الجنس. تشابك سريع لأطراف دافئة وحب أدفأ. اتّحاد جسدي ونفسي استحضر ما يشبه نورًا داخليًا، تصاعد حيوي وعاطفي غمرنا بروعته. تساءلت لماذا لا يفتخر البشر به أكثر. بسحره. تساءلت عن عدم اختيارهم لصورة ترمز الجنس على أعلامهم.

بعدها، عانقتها وعانقتني، وقبلت جبينها بلطف مع هبوب الهواء من النافذة.

نامت.

ثم قمت من السرير.

شاهدتها في الظلام. أردت حمايتها وإبقاءها بأمان.

لدي أمر أنجزه.

- سأبقى هنا.

- لا يمكن. لديك قدرات ليست مُخصّصة لهذا الكوكب. سيرتاب النّاس منك.

- إذن، انفصلوا عنّي.

- لا يمكننا السّماح بحدوث هذا.

- يمكنكم. عليكم فعل هذا. القدرات ليس إجباريّة. هذا هو الهدف. لا يمكن أنْ أسمح لعقلي بالتّدخل فيها.

- لسنا من يدخل بتفكيرك. كنّا نحاول استعادته.

- لا تعرف إيزوبِل شيئًا عن إثبات النّظريّة. لا تعرف. اتركوها في حالها. اتركونا. اتركونا جميعًا. أرجوكم. لن يحدث شيء.

- ألا تريد الخلود؟ ألا تريد فرصة العودة إلى كوكبك أو زيارة أي مكان آخر في الكون غير هذا الكوكب الأعزل الذي تقيم فيه؟

- لا أريد.

- أتريد فرصة التّجسد بأشكال أخرى؟ العودة إلى طبيعتنا الأصليّة؟

- أريد أنْ أكون بشرًا، أو أقرب ما أكون إلى البشر قدر المستطاع.

- لم يطلب أي شخص في تاريخنا فقدان قدراته.

- حسنًا، حدّثوا تاريخكم.

- أتعرف ما يعنيه هذا.

- أجل.

- ستسجن في جسد عاجز عن تجديد خلاياه. ستكبر في العمر. ستصاب بالأمراض. ستشعر بالألم، واعلم للأبد – على عكس الجنس الذي تريد الانتماء له – أنّك قد اخترت المعاناة. هذا ما جنيته على نفسك.

- نعم، أعرف هذا.

- حسنًا. قد نلت أقصى عقاب، وطلبه لن يقلّل من شدّته. ستنفصل عنّا. ستتلاشى القدرات. أنت الآن بشر. إذا أخبرتهم أنك من كوكب آخر، فلن يكون لديك دليل. سيحسبونك مجنونا، ولن نكترث لهذا. ملء مكانك الشاغر مسألة هينة.

- لن تعوّضوا مكاني. هذا هدر للموارد. لا فائدة من المهمّة. ألو؟ هل تسمعوني؟ هل تسمعوني؟ ألو؟ ألو؟ ألو؟

الحب هو ماهيّة كل البشر، لكنّهم لا يفهمونه. سيفنى إذا فهموه.

كل ما أعرفه هو أنّه مرعب. والبشر مرعوبون منه، ولهذا لديهم برامج مسابقات. لإلهائهم عنه من خلال التّفكير في أمر آخر.

الحب مخيف لأنّه يجذبك بقوة هائلة؛ ثقب أسود عظيم عادي الشكل من الخارج، لكنه يتحدى كل معقول تعرفه. ستفقد نفسك، كما فقدت نفسي، في أدفأ إهلاك.

يجعلك تفعل أشياء غبيّة - أشياء تتحدى كل المنطق. ستفضل الحرب على السّلام، والموت على الأبديّة، وكوكب الأرض على كوكبك.

استيقظت وأنا أشعر بضيق. في عيني حكّة وإرهاق. ظهري متيبس. ألم في ركبتي. وكنت أسمع طنينًا خفيفًا. الضّوضاء مصدرها بطني، الإحساس الذي شعرت به بشكل عام هو اضمحلال الوعي.

باختصار، شعرت بأنّي إنسان. شعرت بأنني في الثّالثة والأربعين من عمري. وشعرت بالقلق من قرار البقاء.

لم يكن هذا القلق يتعلق فقط بمصيري الجسدي. كانت المعرفة أنه في مرحلة ما في المستقبل سيرسل القادة شخصًا آخر. وماذا سأفعل حينها وقدراتي لا تتجاوز قدرات الإنسان العادي؟

في البدء، كان قلقًا. لكنّهي تلاشى مع مرور الوقت ولم يحدث شيء. هواجس أقل بدأت تشغل ذهني، على سبيل المثال: هل سأتمكّن من التّعامل مع هذه الحياة؟ ما بدا ذات مرّة غريبًا صار رتيبًا بعد تناغم الأمور. الإنسان المثالي هو الذي: اغتسل، وأفطر، واستخدم الإنترنت، وعمل، وتغدّى، ثمّ عمل، ثمّ تعشى، فتناقش، وشاهدت التّلفاز، ثمّ قرأ كتابًا، وذهب إلى السّرير، وادّعى النّوم، ثمّ خلد إلى النّوم.

انتمائي إلى كائنات لا تعرف إلّا يومًا واحدًا، جعلني أشعر بالحماسة لوجود انتظام. لكنّي عالق هنا، وبدأت أستاء من افتقار البشر إلى الخيال. آمنت أنّهم يجب أن يضيفوا التّنوع على يومهم. أعني، العذر الوحيد لعدم تنفيذ المهام عند البشر هو «لو كان لدي وقت». عذر جائز حتّى تدرك أنّ لديهم متسعًا من الوقت. ليس سرمديًا، ولا مسلّمًا به، لكن لديهم الغد، وبعد الغد، وبعد بعد غد. في الواقع، عليّ كتابة «بعد» ثلاثين ألف مرّة ثمّ «غد» لأوضّح لكم الزّمن الذي يملكه كل إنسان.

شح الإنجاز البشري مرجعه إلى قلة الوقت لا قلة الخيال. وجدوا نسق أعمال يناسبهم، وكرروه، على الأقل بين يومي الاثنين والجمعة. حتى لو لم يناسبهم –كما هو الحال عادة– التزموا به على أي حال. ثم غيروا الأمور بعض الشيء ليفعلوا شيئًا أكثر مرحًا يومي السبت والأحد.

أحد الأمور التي وددت اقتراحها لهم هو تبديل الأمور. فمثلًا، امرحوا خمسة أيام واعملوا يومين. بتلك الطريقة –أطلقوا علي اسم عالم رياضيات عبقري– سيحظون بمرح أكثر. لكن كما

فهمت، لم يكونا يومين للمرح. لديهم فقط أيام السبت، لأن أيام الأحد قريبة من الآحاد لتفضيلهم يوم الأحد، كأن الاثنيْن نجم انفجر في نظام الأسبوع الشمسي؛ ما ولد جاذبية شديدة. بعبارة أخرى، سبع من أيام الشر لا بأس بها. أما السدس الآخر فليس جيدًا، وخُمس تلك الأيام مكرر.

المشكلة الحقيقية بالنسبة إليّ، هي الصباح.

الصّباح شاق على كوكب الأرض. تستيقظ أكثر تعبًا من قبل نومك. ظهرك يؤلمك. رقبتك تؤلمك. صدرك مقبوض بسبب التوتر لأنك فان. وفوق هذا، عليك فعل الكثير قبل بدء نهارك. المشكلة الرئيسة تكمن فيما عليك فعلك ليكون شكلك مقبولاً.

على الإنسان إجمالًا فعل الأشياء الآتية:

سيقوم من مرقده، ثم يتمدّد، ويذهب إلى دورة المياه، ويستحم، ويغسل شعره بالشّامبو، ثمّ يضع بلسم الشّعر، ويغسل وجهه، يحلق، ويزيل الرّوائح الكريهة، ويغسل أسنانه (بالفلورايد!)، وينشّف شعره، ويمشّط شعره، يوضع دهانًا على وجهه (أو تضع المكياج)، ويتأكّد من كل شيء في المرآة، ثم يختار ثيابه بناء على الطّقس أو الموقف، ثم يرتديها، فيتأكد من كل شيء في المرآة – فعل ذلك قبل الإفطار أيضًا. قيامهم من السّرير أعجوبة. لكنّهم يفعلون ذلك بتكرار، آلاف المرّات. أضف لهذا أنّهم يقومون بهذا بأنفسهم، بلا تكنولوجيا تعينهم. ربّما بعض النّشاط الكهربي البسيط في فراشي أسنانهم ومجفّفات شعرهم، لكن لا شيء أكثر من هذا. وكل هذا لتقليل روائح الجسم، والشّعر، والأنفاس، ومسببات الخجل.

أمر آخر زاد جاذبيّة الأرض التي لا هوادة فيها هو قلق إيزوبِل على غليڤر. ازداد عضها لشفّتها السّفلى مؤخرًا، وباتت تحدق بسهو في النّوافذ. اشتريت لغليڤر جيتار بيز، لكنّ الأغاني التي عزفها في غاية الاكتئاب كأنها أضافت عليه موسيقى تصويريّة تعيسة تأبى التوقّف.

«أفكر باستمرار بما حدث» قالت إيزوبِل حين أخبرتها أنّ القلق مضر بصحتها. «طًرد من المدرسة. وكانت تلك رغبته. أشبه بانتحار أكاديمي. أشعر بالقلق، فالتّواصل مع النّاس يُحزنه على الدوام. أتذكّر أول تقرير مدرسي استلمه في مرحلة الحضانة. ذُكر فيه أنّه قاوم كل تواصل معه. أعرف أنّ لديه أصدقاء، لكنّه يستصعب التّأقلم معهم. ألا يفترض أن تكون لديه صديقات الآن؟ إنّه وسيم».

«هل الأصدقاء مهمّون؟ ما نفعهم؟»

«التّواصل يا أندرو. فكر في آري. الأصدقاء سبيلنا للتّواصل مع العالم. أقلق، بعض الأحيان، أنّه لم يُقوّم في منزله. إلى العالم. إلى الحياة. إنه يذكرني بأنجوس».

أنجوس، على ما يبدو، شقيقها. كان قد انتحر في أوائل الثّلاثينيات من عمره لأزمات مالية. شعرت بالحزن عندما أخبرتني بذلك. حزنت لجميع البشر الذين يستسهلون الشّعور بالخجل من الأشياء. ليسوا المخلوق الوحيد في الكون الذي

انتحـر، لكنهـم كانـوا مـن أكثـر المخلوقـات حماسًـا للإقـدام عليـه. تسـاءلت عمّـا إذا كان يجـب أن أخبرهـا أنـه لـم يعـد يذهـب إلـى المدرسـة. قـرّرت أنْ أخبرهـا.

«مـاذا؟» سـألت إيزوبِل. لكنّهـا سـمعتني، فأردفـت: «يـا إلهـي. فيـمَ قضـى وقتـه؟»

قلت: «لا أعرف. أعتقد مجرّد التجوّل».

«تجوّل؟»

«كان يتمشى حين رأيته»

سـيطر عليهـا الغضـب الآن، والموسـيقا التـي كان يعزفهـا غليڤـر بصـوت عـالٍ لحظتئـذٍ لـم تكـن مفيـدة.

نظرات نيوتن أشعرتني بالذنب.

«اسمعي إيزوبِل. دعينا فقط ـ»

فـات الأوان. هـرعـت إيزوبِـل إلـى العليـة. الشـجار محتـوم، سـمعت صوتهـا، لأن صـوت غليڤـر هـادئ وخفيـض، وأعمـق مـن الجيتـار. «لمـاذا لـم تعـد تذهـب إلـى المدرسـة؟» صرخـت أمـه. لحقـت بهـا وبطنـي يؤلمنـي، وألـم فـي قلبـي.

خنت الفتى.

صـرخ علـى أمـه، وصرخـت أمـه عليـه أيضًـا. ذكـر شـيئًا يتعلـق بتشـجيعه الشـجار، لكـن لحسـن الحـظ لـم تفهـم إيزوبِـل مـا قـال.

قال فجأة: «أبي أيها الوغد».

«لكن الغيتار فكرتي»

«إذن فأنت تحاول شرائي الآن؟»

أدركت أنّ التعامل مع المراهقين صعب. بذات صعوبة النّاحية الجنوبيّة الشّرقيّة من مجرّة دريدين. أغلق باب غرفته بقوّة. «أحاول فعل ما في صالحك. أنا أتعلّم هنا. أتعلم يوميا أمرا ما، وأفشل في بعض الأحيان».

لم ينفع كلامي. إلا إذا كان النفع يعني ركل الباب بقدمه. نزلت إيزوبِل، وبقيت هنا. ساعة ونصف الساعة جالسًا على السجادة الصوفية ذات اللون البيج عند باب غرفته.

جلس نيوتن معي. مسحت شعره. لعق رسغي بلسانه الخشن. بقيت في موقعي ذاك، ورأسي مستند إلى الجدار.

«أنا آسف يا غليڤر. أنا آسف. أنا آسف. أعتذر لأني أحرجتك»

في بعض الأحيان القوة الوحيدة التي تحتاج إليها هي المثابرة. في النهاية، خرج من غرفته. حدق في ويداه في جيبه. اتكأ على إطار الباب. سألني: «هل فعلت شيئًا على فيسبوك؟»

«ربما»

حاول ألا يبتسم.

لم يتكلم كثيرًا بعدها، لكنه نزل إلى غرفة الجلوس وشاهدنا جميعًا التلفاز. كان برنامج مسابقات اسمه «من يريد أنْ يصبح مليونيرًا» (برنامج يستهدف البشر. السؤال في العنوان بلاغي)

بعد مدة وجيزة، ذهب غليڤر إلى المطبخ ليحدد الكمية الكافية من حبوب الإفطار في الوعاء (أكثر مما يمكنك التخيل) ثم صعد إلى العلية. كان هناك شعور بإنجاز شيء ما. أخبرتني إيزوبِل أنها حجزت لنا تذاكر لمشاهدة عرض هاملت في مسرح الفنون. يبدو أنها عن أمير شاب يريد قتل رجل احتل مكان أبيه.

«سيبقى غليڤر في المنزل»

«قرار حكيم»

«نسيت أخذ دوائي اليوم»

ابتسمت إيزوبِل. «ليلة واحدة لن تضر. هل تريد كأس نبيذ؟»

لم أجرب النبيذ من قبل، فوافقت، كأنه سيكون بديلًا في غاية التشريف. كانت ليلة لطيفة، فصبت لي النبيذ وجلسنا في الحديقة. قرر نيوتن البقاء داخل المنزل. نظرت إلى السائل الأصفر في الكأس. تذوقته، فتذوقت التخمر. أي تذوقت الحياة على الأرض. فكل شيء يعيش هنا يتخمر سنوات طويلة يصبح مميتًا، إلا أن نضج بعضها رائع المذاق.

ثم تفكرت بالكأس. الزجاج من الصخور، ولهذا يعرف الكثير. عرف عمر الكون لأنه الكون بحد ذاته.

رشفة أخرى.

بعد الرشفة الثالثة، بدأت أفهم الغاية من الشرب. بدأت أنسى آلام جسدي، ومخاوف تفكيري. مع نهاية الكأس الثالثة كنت في غاية الثمالة. كنت مخمورًا لدرجة أني تخيلت رؤية أقمار حين نظرت إلى السماء.

قالت له: «تدرك أنك تشرب نبيذًا أستراليا، صحيح؟»

أجبتها: «أوه».

«أنت تكره النبيذ الأسترالي»

«حقًا؟ لماذا؟»

«لأنك نفاج»

«ما معنى نفاج؟»

ضحكت. نظرت إليَّ من الجهتيْن. «شخص لم يجلس مع أهله لمشاهدة التلفاز بتاتًا»

«أوه»

شربت المزيد، كما شربت هي. «لعلي نفاج أقل الآن».

«كل شيء ممكن» ابتسمت. لا تزال مذهلة بالنسبة إليّ. هذا واضح، لكنه ذهول يجلب السرور. أكثر من السرور في الواقع.

«في الواقع، كل شيء ممكن+ قلت لها بتأكيد، لكن لم أناقش تفاصيل الرياضيات.

طوقتني بذراعها. لم أعرف أصول التهذيب. هل هذه لحظة قراءة إلقاء قصائد ألقاها أموات أم يفترض تمسيد أعضائها الجسدية؟ لم أفعل شيئًا. تركت لها حرية لمس ظهري وأنا أنظر إلى أعلى، ما وراء طبقة الثيرموسفير، وشاهدت اتحاد القمرين.

خُمار في اليوم التالي.

اكتشفت أن الشرب هي طريقة البشر لنسيان أنهم فانون، والثمالة ليتذكروا. استيقظت بصداع، وفم جاف، ومعدة مضطربة. تركت إيزوبِل في السرير ونزلت لأشرب كأس ماء، ثم استحممت. ارتديت ثيابي وتوجهت إلى غرفة المعيشة لقراءة الشعر.

انتابني شعور غريب وحقيقي بأني مراقب. ازداد هذا الشعور. وقفت، ذهبت إلى النافذة. الشارع خاوٍ. المنازل الضخمة ذات الطوب الأحمر في مكانها، كأنها مركبات فضائية على محطة هبوط. لكني ظللت أراقب. اعتقدت أن بإمكاني رؤية انعكاس في إحدى النوافذ، أو شيء ما قرب سيارة. إنسان ربما. لربما عيناي تخدعانني. أنا ثمل في نهاية المطاف.

ضغط نيوتن أنفه في ركبتي. ثم تنهد تنهيدة مرتفعة التردد.

«لا أعرف» قلت له. حدقت خارج النافذة مرة أخرى، بعيدًا عن الانعكاسات، في الواقع مباشرة. حينها شاهدته. أظلم، يطير فوق ذات السيارة المركونة. عرفت حقيقة. كان رأس إنسان. كنت على حق. شخص ما يحاول التواري عن ناظري.

«انتظر هنا» قلت لنيوتن. «احرس المنزل».

ركضت خارجًا. عبر الباب الأمامي إلى الشارع، لحظة مشاهدة شخص يعدو مبتعدًا عند زاوية الطريق. رجل، يرتدي بنطال جينز وبلوزة سوداء. من الخلف، ومن تلك المسافة، بدا الرجل مألوفًا، لكن لم أتذكر أين رأيته.

استدرت عند الزاوية، لكن لم أجد أحدًا. مجرد شارع خاو ممتد. مسافة يستحيل ركض أحد عليها. حسنًا، لم يكن خاويًا تمامًا. هناك أنثى عجوز، تمشي باتجاهي، تسحب عربة تسوق. توقفت عن الركض.

«مرحبًا» قالت مبتسمة. جلدها مجعد، كما يحدث للبشر. (أفضل طريقة لتخيل عملية التقدم في العمر مقارنة بوجه إنسان هي تخيل خريطة موقع لأرض تمرّ تدريجيًا لتصبح مدينة فيها طرق كثيرة ممتدة وتعرجات).

أعتقد أنها تعرفني. «مرحبًا» رددت تحيتها.

«كيف حالك؟»

كنت أعاين المكان، تحديد الطرق الممكنة للهرب. إذا تمكن مَن يراقبني من اجتياز أي رواق فقد يكون في أي مكان. كان هناك ما يقارب مئتي احتمال واضح.

قلت لها: «أنا، أنا بخير».

حدقت في المكان ولم أعثر على شيء. من هذا الرجل؟ تساءلت. ومن أين جاء؟

أحيانًا، في الأيام التالية، انتابني ذلك الشعور مجددًا، بأني مراقب. لكن لم ألمح من يراقبني، وهذا غريب، فاستنتجت أمرين لا ثالث لهما. إما أني أصبحت في غاية الغباء وإنسانًا، وإما إني أبحث عن شخص في غاية الذكاء لدرجة عدم مشاهدته.

بعبارة أخرى؛ كائن ليس بشريًا.

حاولت إقناع نفسي بسخف أفكاري، وأني لست إلا بشريًا. أني البروفسور أندرو مارتن حقيقة، وما عدا ذلك حلم.

أجل، يمكنني فعل ذلك تقريبًا.

تقريبًا.

كيف تبصر إلى الأبد؟

لن يأتِ بتاتًا،

ما يجعل الحياة في غاية العذوبة.

- إيميلي ديكنسون

إيزوبِل إلى حاسبها الآلي في غرفة المعيشة. كانت تكتب تعليقًا عن بلاد الرافدين على تدوينة كتبها أحد أصدقائها عن التاريخ القديم. شاهدتها، مأخوذًا بها.

قمر الأرض مكان لا حياة فيه، ولا أوكسجين.

يستحيل عليه معالجة ندوبه. على عكس الأرض، أو سكانها. تعجبت، طريقة الزمن في التئام الأشياء سريعة جدًّا على هذا الكوكب.

نظرت إلى إيزوبِل وشاهدت معجزة. سخيفة أعرف. لكن الإنسان، بكينونته الصغيرة، إنجاز معجز، من الناحية الحسابية.

بداية، لم يكن من المرجح التقاء أمها وأبيها، وحتى لو التقيا فإن فرص أنْ يكون لهما ابن ضئيلة، نظرًا إلى الآلام المحيطة بعملية المواعدة.

في داخل أمها مئة ألف بويضة تقريبًا، وفي داخل أبيها خمسة ترليونات حيوان منوي في ذات المدة الزمنية. لكن حتى لو حدث هذا اللقاء، فإن تلك الفرصة من خمسمئة مليون مليون مليون من فرص الوجود ضئيلة، ولا توجد مصادفة عادلة في الحياة البشرية.

كما ترى، حين نظرت إلى وجه الإنسان، يجب أنْ تفهم الحظ الذي أتى بالبشر إلى الوجود. إيزوبِل مارتن لديها 150,000 جيل قبلها، وهذا يشمل البشر فقط. أي أن هناك 150.000 اتصالا جنسيا مُستبعدا؛ ما أدى إلى تزايد احتمال عدم وجود أطفال. كانت تلك فرصة واحدة في كوادريليون مضروبة في كوادريليون أخرى لكل جيل.

أو نحو عشرين ألف مرة أكثر من عدد الذرات في الكون. لكن حتى هذه كان بدايتها فقط، لأن البشر عاشوا على الأرض منذ ثلاثة ملايين سنة أرضية فقط، وقت قصير جدًّا بالتأكيد مقارنة بثلاثة بلايين ونصف منذ ظهور الحياة لأول مرة على هذا الكوكب.

لذلك، حسابيًا، بربط المعلومات ببعضها، لا توجد فرصة لها نهائيًّا في الوجود. صفر أُس فرصة أبدية. ومع ذلك، ها هي هنا، أمامي، وهذه الفكرة قد سلبت لُبي حقيقة. جعلتني أدرك فجأة سبب تعظيم الدين هنا. لأن، أجل طبعًا. لم يكن هناك مجال للرب للعيش.. إذن فإذا آمنوا بأنفسهم فلماذا لا يؤمنون به.

لا أعرف كم من الوقت نظرت إليها هكذا.

«ما الذي يدور في ذهنك؟» سألتني، وهي تغلق الحاسب الآلي المحمول. (تفصيل مهم. تذكر: لقد أغلقت الحاسب الآلي المحمول)

«أوه، مجرد أشياء».

«أخبرني».

«أُفكر في أن الحياة إعجاز لا يستحق أي شيء منه لقب «واقع»».

«أنـدرو تدهشـني كيـف أن نظرتـك إلـى العالـم كلـه قـد أصبحـت فـي غايـة الرومانسـية»

من السخف أني لم أنتبه لهذا من قبل قط.

كانـت جميلـة. فـي الحاديـة والأربعيـن مـن عمرهـا، تتأرجـح بيـن الشـباب والنضـج. هـذه المؤرخـة الذكيـة المـلأى بالجـروح. هـذه المـرأة التـي تتسـوق نيابـة عـن أخـرى دون أي دافـع غيـر المسـاعدة. أعـرف أمورًا أخـرى عنهـا الآن. أعـرف أنهـا كانت رضيعـة باكيـة، وطفلـة تعلمت المشـي، وفتـاة فـي مدرسـة تتـوق إلـى التعلـم، ومراهقـة تسـتمع إلـى (توكنغ هيـدز)[1] فـي غرفـة نومهـا فـي أثنـاء قـراءة كتـاب للمؤرخ آلان جون تايلـور.

عرفـت أنهـا كانـت طالبـة جامعيـة ودرسـت الماضـي وحاولـت تفسـير أنماطـه.

كانـت، فـي الوقـت نفسـه، امـرأة شـابة فـي حالـة حـب، مليئـة بألـف أمـل، تحـاول قـراءة المسـتقبل وكذلـك الماضـي.

ثـم درسَـت التاريـخ البريطانـي والأوروبـي. النمـط الكبيـر الـذي اكتشـفته هـو أن الحضـارات التـي سـادت قـد فعلـت ذلـك عبـر اسـتخدام العنـف والاسـتعمار أكثـر مـن التقـدم العلمـي والتحديـث السياسـي والفهـم الفلسـفي.

حاولـت بعـد ذلـك الكشـف عـن مكانـة المـرأة فـي هـذا التاريـخ، وكان الأمـر صعبًـا لأن التاريـخ كتبـه دائمًـا المنتصـرون فـي الحـروب، وكان المنتصـرون فـي الحـروب مـن الذكور، وبالتالـي هُمّشـت النسـاء.

ومـع ذلـك، كانـت المفارقـة أنهـا سـرعان مـا وضعـت نفسـها علـى الهامـش طواعيـة، وتخلـت عـن العمـل مـن أجـل الأسـرة، لأنهـا تخيلـت

---

1 - فرقة روك أمريكية.

أنها عندما وصلت في النهاية إلى فراش الموت، ستشعر بالندم على الأطفال الذين لم يولدوا بعد أكثر من الكتب غير المكتوبة. ولكن ما إن قامت بهذه الخطوة، شعرت أن زوجها بدأ يأخذها كأمر مسلم به.

كان لديها أمور لتمنحها، لكنها كانت غير قابلة للمنح؛ مخبأة بعيدًا.

شعرت بإثارة لا تصدق لقدرتي على مشاهدة عودة الحب بداخلها، لأنه كان حبًا كاملًا في أوجه. من النوع الذي يمكن أنْ يكون ممكنًا فقط في شخص سيموت في المستقبل، وأيضًا في شخص قد عاش بما يكفي ليعرف أن يُحِب ويُحَب هما أمران صعبان، لكن إذا فهمتهما فستُبصر إلى الأبد.

مرآتان، متقابلتان ومتوازيتان، ينظر أحدهما إلى ذاته من خلال الآخر، المنظر عميق مثل اللا نهاية.

نعم، كان هذا ما كان الحب من أجله. (ربما لم أفهم الزواج، لكنني فهمت الحب، كنت متأكدًا منه).

الحب وسيلة للخلود في لحظة واحدة، إنه سبيلك لترى نفسك التي لم تعرفها قط. أكبر نكتة هي أن إيزوبِل مارتن تحسبني أندرو مارتن الذي ولد على بعد مئة ميل في شيفيلد، وليس في الواقع 8653178431 بعد سنوات ضوئية.

«إيزوبِل، يجب أن أقول لك شيئًا في غاية الأهمية»

اعتراها القلق. «ماذا؟ ما الأمر؟»

هناك نقص في امتلاء شفتها في إحدى الزوايا. كيف اعتبرتها قبيحة في السابق؟ كيف؟

لم أستطع إخبارها. يجب أن أفعل، لكنني لم أفعل. فقلت لها: «أعتقد أن علينا شراء أريكة جديدة»

«هذا هو الشيء المهم الذي تريد إخباري به؟»

«نعم. أنا لا أحبها. لا أحب اللون الأرجواني»

«لا تحبه؟»

«نعم. إنه قريب جدًا من البنفسج. كل الألوان ذات الطول الموجي القصير تعبث بعقلي»

«أنت مضحك. «ألوان ذات الطول الموجي القصير»»

«هذه حقيقتها»

«لكن اللون الأرجواني هو لون الأباطرة. وكنت دائمًا تتصرف مثل إمبراطور، ولهذا...»

«حقًا؟ ما السبب؟»

«الإمبراطورات البيزنطينيات أنجبن في غرف بنفسجية اللون. اكتسب أطفالهن لقب «Porphyrogenitos» التشريفي، الذي يعني «وُلد للبنفسج» لفصلهم عن الجنرالات الذي جلسوا على العروش بكسب الحروب. أما في اليابان، فالبنفسجي هو لون الموت»

فتنني صوتها في أثناء حديثها عن التاريخ. اشتهيّت أكله، كل جملة ذراعًا نحيلة طويلة تحمل الماضي كأنه بورسلان. شيء يمكن إخراجه وتقديمه أمامك، لكنه قد ينكسر إلى مليون قطعة في أي لحظة. أدركت أن كونها مؤرخة لهو جزء طبيعتها العطوفة.

قلت: «حسنًا، أعتقد أنه يمكننا صنع بعض الأثاث الجديد».

«تعرف تصنيع الأثاث الآن؟» حدجتني بنظرة جادة.

شرح أحد أذكى البشر –فيزيائي ألماني صاحب نظريات يُدعى ألبرت أينشتاين– النظرية النسبية إلى أفراد بني جنسه الأغبى بقوله: «ضع يدك على موقد ساخن لدقيقة وستبدو لك كأنها ساعة من الزمن. اجلس مع فتاة لساعة وستبدو لك كدقيقة».

ماذا إذا نظرت إلى فتاة جميلة وشعرت بأنك تضع يدك على موقد؟ ما هذا؟ ميكانيكا الكم؟

بعد مدة من الوقت، مالت إلي وقبلتني. كنت قد قبلتها من قبل، لكن الآن للقبلة تأثير خفيف في معدتي كالخوف. في الواقع، أحد أعراض الخوف، لكنه خوف مُحبب، خطر ممتع.

ابتسمت، وحكت لي قصة قرأتها في كتاب تاريخ، لكن في مجلة سيئة في عيادة الطبيب. زوج وزوجة لم يعودا يحبان بعضهما، لكل منهما علاقات منفصلة على الإنترنت. حين توجهَا لمقابلة عشاقهما غير الشرعيين أدركَا في الواقع أنهما على علاقة ببعضهما. لكن عوضًا عن هدم الزواج، استعاداه، وهما يعيشان بسعادة أكبر من ذي قبل.

قلت لها بعد هذه القصة: «أريد أنْ أقول شيئًا لكِ».

«ماذا؟»

«أنا أحبكِ»

«أحبكَ أيضًا»

«أجل، لكن من المستحيل أنْ أحبك»

«شكرًا لك. بالتجديد ما تريد الفتاة سماعه»

«لا. أقصد، من حيث جئت. لا يمكن لأي شخص أنْ يُحب»

«ماذا؟ شفيلد؟ ليست بذاك السوء»

أمسَكَت رأسي بين يديْها، كما لو أنه شيء رقيق أرادت الحفاظ عليه. كانت بشرية. عرفت يومًا ما أن زوجها سيموت ومع ذلك تجاسرت وأحبته. أمرٌ مذهل.

قبلات أخرى.

كان التقبيل يشبه الأكل إلى حد كبير، لكن عوضًا عن تقليل الشهية، زاد الطعام المستهلك. الطعام ليس المشكلة، ليست له كتلة، ومع ذلك بدا أنه يتحول إلى طاقة لذيذة داخلي.

قالت: «لنذهب إلى غرفتنا».

قالت الجملة بنبرة اقتراح، كما لو أن الغرفة ليس مكانًا، بل واقعًا آخر؛ مصنوعة من مادة أخرى من الزمكان. هبوط ممتع دخلنا زمكانًا افتراضيًا على الدرجة السادس. كانت محقة بلا شك.

* * *

بعد ذلك، استلقينا على السرير دقائق، ثم قررت أننا نحتاج إلى بعض الموسيقى.

قلت لها: أي موسيقى، باستثناء الكواكب.

«معزوفتك المفضلة الوحيدة»

«لم تعد كذلك»

شغلت معزوفة اسمها ثيمة الحب للموسيقار إينيو موريكوني. حزينة، لكن جميلة.

«أتتذكر حين شاهدنا فيلم سينما باراديسو؟»

«أجل» كذبت.

«كنت قد كرهته. قلت إنه عاطفي كثيرًا وأردت الاستفراغ. قلت إنه يسترخص المشاعر بمبالغته بالهوس إلى ذلك القدر. هذا لا يعني أنك أردت مشاهدة الأشياء العاطفية. أعتقد، إذا تجرأت وقلت، إنك قد خشيت دائمًا المشاعر، وقولك إنك لا تحب الشاعرية هو طريقة لقول إنك لا تحب الرومانسية»

«لا تقلقي. ذلك الجزء مني قد مات»

ابتسمت. لم تبد قلقة بتاتًا.

لكن لا بد أنها قلقة. لا بد أننا قلقون.

ومدى قلقنا اتضح لي بعد ساعات فقط.

المُتسلل

أيقظتني بعد منتصف الليل.

قالت: «أعتقد أني قد سمعت صوتًا».

صوتها يدل على ضيق حبالها الصوتية داخل حنجرتها. خوف متنكر بالهدوء.

«ماذا تقصدين؟»

«أقسم بالرب يا أندرو. أعتقد أن هناك أحدًا في المنزل»

«لعلك سمعتِ غليڤر»

«لا، لم ينزل غليڤر إلى أسفل. لم أنم»

انتظرت في الظلام، ثم سمعت شيئًا. خطوات أقدام. كأن أحدًا يمشي في غرفة معيشتنا. الساعة الرقمية أظهرت الوقت 04:22.

أزحت البطانية وخرجت من السرير.

نظرت إليها، ثم قلت: «ابقي هنا. مهما حدث، لا تبرحي مكانك».

قالت لي: «توخى الحذر». أنارت مصباح سريرها وبحثت عن الهاتف الذي كان في مكانه على الطاولة معظم الأحيان، لكنها لم تجده. «هذا غريب».

غادرتُ الغرفة وانتظرت لحظة قبل النزول؛ ساد المنزل صمت الآن. صمت لا يوجد إلا في المنازل عند الرابعة والعشرين دقيقة فجرًا. فاجأتني مدى بدائية العيش في منازل لا تستطيع فعل أي شيء لحماية نفسها.

باختصار، شعرت بالرعب.

ببطء وهدوء نزلت على رؤوس أصابعي إلى الطابق السفلي. أي شخص آخر كان سينير مصباح الردهة، لكني لم أفعل. لصالح إيزوبِل، لا لصالحي. فلو أنها نزَلت ورأتهم ورأوها، لكان الموقف خطِرًا. كما أن تنبيه المُتسلل إلى المنزل عن وجودي على السلالم –هذا إذا لم ينتبه حتى الآن– أمر غير حكيم. زحفت إلى المطبخ وشاهدت نيوتن نائمًا بعمق (ربما بشكل مريب) في سلته. لم أرَ أحدًا هناك، ولا في دورة المياه، فزحفت لتفقد غرفة الجلوس. لا أحد هناك، أو لا أحد في مرمى بصري على أي حال. مجرد كتب، الأريكة، ووعاء فاكهة فارغ، ومكتب، ومذياع. فتوجهت عبر الرواق إلى غرفة المعيشة. قبل فتح الباب، انتابني شعور قوي بوجود أحد، لكني دون قدراتي لم أعرف إذا كانت حواسي تخدعني.

دب الرعب في أوصالي بعد فتح الباب. شعور لم أختبره قبل حصولي على جسد بشري، وهل من سبب يدعونا نحن الفوندوريين إلى الهلع، في عالم يخلو من الموت أو الفقد أو الألم لا سبيل للسيطرة عليه؟

وتارة أخرى، لم أرَ إلا الأثاث: الأريكة والكراسي والتلفزيون المغلق وطاولة القهوة. لا أحد. ليس في تلك اللحظة، لكن بالتأكيد اقتحم منزلنا أحد. عرفت هذا لأن حاسوب إيزوبِل على منضدة القهوة. قلقت لأنه كان مفتوحًا. وينبعث ضوء منه؛ ما يعني أن شخصًا قد استخدمه خلال الدقيقتين الأخيرتين.

استدرت حول منضدة القهوة بسرعة لأرى الشاشة، لكن لم يُحذف شيء. أغلقتها وذهبت إلى الطابق العلوي.

«ما مصدر الصوت؟» سألتني إيزوبِل خلال استلقائي على السرير.

«أوه، لا شيء. لا بد أننا نتخيل»

نامت، وبقيت محدقًا في السقف، متمنيًا استجابة الرب لدعائي.

أحضر غليڤر غيتاره إلى أسفل في اليوم التالي، وعزف لنا. كان قد تعلم معزوفة كل الاعتذارات لفرقة اسمها نرڤانا[1]. بتركيز شديد على وجهه. حافظ التزامن. كان ماهرًا، فصفقنا له.

للحظة، نسيت كل هاجس من هواجسي.

1- All Apologies by Nirvana

تبين أن مشاهدة مسرحية هاملت تبعث على الإحباط، خاصة بعد استغنائي عن الخلود منذ مدة قريبة، وخلال مراقبة شخص لي.

أفضل جزئية كانت في منتصفها حين قلب البطل بصره في السماء، ثم قال:

«هاملت: أترى تلك السحابة التي تكاد تشبه جميلًا؟

بولونيوس: والقربان، إنها حقًا كالجمل.

هاملت: أظن أنها كابن عِرس؟

بولونيوس: ظهرها كابن عرس.

هاملت: أو كالحوت؟

بولونيوس: كالحوت تمامًا

ثم حدق هاملت وخدش رأسه. «أو كالحوت».

بولونيوس: كالحوت تمامًا.»[1]

لم يتناغم بولونيوس مع خفة ظل هاملت السريالية.

* * *

ذهبنا بعدها إلى مطعم اسمه تيتوس. تناولت سلطة بالخبز اسمها «بانزانيلا». كان فيها «بلم»، وهو سمكة، فأمضيت الدقائق

1- هاملت: أمير الدانمارك بترجمة جبرا إبراهيم جبرا (المشهد الثاني من الفصل الثالث).

الخمس الأولى باستخراجها بعناية ووضعها في طبق جانبي، ثم حزنت عليها بصمت.

إيزوبِل: «يبدو أنك قد استمتعت بالمسرحية».

اعتقدت أني سأكذب عليها، لكن قلت: «استمتعت. أجل. ماذا عنكِ؟»

«لم تعجبني. كانت مريعة. أعتقد أن الخطأ الأساسي يكمن في تمثيل مذيع مهتم بالبستنة لدور أمير دنمارك»

«صحيح. أنت على حق. كانت مريعة»

ضحكت. بدت أكثر استرخاءً كما لم تبدُ من قبل. أقل قلقًا عليّ وعلى غليڤر.

قلت: «فيها الكثير من الموت أيضًا»

«صحيح»

«أتهابين الموت؟»

ارتبكت. «بالطبع، أهابه. أنا كاثوليكية غير متدينة. الموت والمعاصي هما كل ما لدي». اكتشفت أن الكاثوليكية فرع من المسيحية للبشر الذي أحبوا ورق الذهب، واللاتينية، والذنوب.

«أعتقد أنك بارعة، لأن جسدك قد بدأ مرحلة بطيئة من الاضمحلال الفيزيائي الذي يقود في النهاية إلى...»

«حسنًا، حسنًا. كفانا حديثًا عن الموت»

«لكني اعتقدت أنك تحبين الحديث عنه. اعتقدت أن هذا سبب مشاهدتك لهاملت»

«أفضل أنّ يكون موتي على خشبة مسرح، لا على معكرونة (بيني أرابياتا)»

فتحدثنا عن أمور أخرى، وشربنا النبيذ الأحمر مع دخول وخروج الناس من المطعم. حدثتني عن الموضوع الذي طلبوا منها تدريسه في العام القادم: الحياة المتحضرة المبكرة في بحر إيجة.

«إنهم يعيدونني إلى عصور غابرة. أظنهم يحاولون قول شيء ما لي. في المرة المقبلة سيكون الموضوع عن الديبلوكسيس [الديناصور النباتي] المتطور»

ضحكت، فضحكت أيضًا.

قلت لها في محاولة لتغيير دفة الحديث: «يجب أنْ تنشري الرواية. «أوسع من السماء». إنها جيدة. الجزء الذي قرأته منها».

«لا أعرف. رواية خاصة وحميمية. تخص مرحلة معينة من حياتي كنت فيها مكتئبة. حين كنتَ... تعرف قصدي. تجاوزنا ذلك الآن. أشعر أني إنسانة جديدة. كأني متزوجة بشخص جديد أيضًا».

«أوه، لا أعرف. تحتاج إلى مزيد من الأفكار»

لم أرد إخبارها عن امتلاكي أفكارًا كثيرة يمكنني منحها لها.

قالت: «لم نفعل هذا منذ سنوات».

«نفعل ماذا؟»

«نتكلم على هذا النحو. كأنه موعدنا الغرامي الأول أو شيء من هذا القبيل. بطريقة جيدة. أشعر أني أعرفك»

«صحيح»

«يا إلهي» قالت بحزن.

إنها مخمورة الآن. أنا مخمور أيضًا، رغم أني ما زلت في كأسي الأولى.

تابعت حديثها: «موعدنا الأول. هل تتذكره؟»

«طبعًا. طبعًا»

«كان هنـا. لكنـه كان مطعمًـا هنديًـا آنـذاك. مـا كان اسـمه؟ ... آه، تـاج محـل. غيـرت رأيـك علـى الهاتـف بعـد عـدم تحبيـذي مطعـم بيتـزا هـت. لـم يكـن فـي كمبـردج مطعـم بيتـزا إكسـبرس حينـذاك. يـا إلهـي... عشـرون عامًـا. هـل تصـدق هـذا؟ تكلـم عـن تكثيـف الزمـن عبـر الذاكـرة. أتذكـره أكثـر مـن أي شـيء آخـر. كنـت متأخـرة. انتظرتنـي سـاعة. خارجًـا فـي المطـر. اعتقـدتُ أن ذلـك كان شـاعريا».

نظـرت فـي المـدى البعيـد، كمـا لـو أن عشـرين عامًـا عبـارة عـن شـيء فيزيائـي يمكنـه الجلـوس إلـى مائـدة فـي زاويـة القاعـة. فـي أثنـاء تحديقـي فـي عينيْهـا المتوانيتيْـن فـي مـكان مـا فـي الأبديـة بيـن الماضـي والحاضـر، بسـعادة وحـزن، تمنيْـت حقيقـة أنْ أكـون الرجـل الـذي تتحـدث عنـه. الشـخص الـذي تحـدى المطـر، وابتـل قبـل عقديـن. لكنـي لسـت هـو، ولـم أكـن هـو إطلاقًـا.

شعرت أني مثل هاملت. لا أملك أدنى فكرة عما يجب فعله.

قلت لها: «لا بد أنه قد أحبك».

توقفت عن أحلام اليقظة. انتبهت فجأة. «ماذا؟»

«أنا... أنا» قلت وأنا أحدق في مثلجات الليمون يذوب ببطء.

«ومـا زلـت أحبـك. كمـا كنـت أفعـل آنـذاك. كنـت فقـط، كمـا تعلميـن، أرانـا، الماضـي، بضميـر الغائـب. بعيـدًا عـن الزمـن...»

أمسـكت يـدي علـى الطاولـة. ضغطتهـا. للحظـة بإمكانـي أنْ أحلـم أنـي البروفسـور مارتـن، كمـا حلـم المذيـع المهتـم بالبسـتنة بكـل يسـر عـن هاملـت.

«أتذكر ركوبنا القارب؟ حين سقطت في النهر.. يا إلهي، كنا مخمورَين. هل تتذكر؟ قبل حصولك على منحة جامعة برينستون وسفرنا إلى أمريكا. استمتعنا فعلًا، صحيح؟»

أومأت بالإيجاب، لكني شعرت بعدم الراحة، كما لم أرغب في ترك غليڤر وحيدًا، فطلبت الفاتورة.

قلت لها في أثناء خروجنا من المطعم: «هناك شيء من واجبي أنْ أطلعك عليه...»

«ما هو؟» سألتني وهي ترفع ناظرَيْها لتراني. ممسكة بذراعي وهي تجفل من الرياح. «ما هو؟»

تنفست بعمق، ملأت رئتيّ، بحثًا عن شجاعة بين النيتروجين والأوكسجين. فراجعت في ذهني المعلومات التي سأنقلها إليها.

لست من كوكب الأرض.

في الحقيقة، لست زوجك.

أنا من كوكب آخر، من نظام شمسي آخر، من مجرة بعيدة.

«الأمر هو... حسنًا، الأمر هو...»

قالت إيزوبِل: «أعتقد أن علينا عبور الشارع»، تأبطت ذراعي، فيما اقترب منا ظلان -امرأة تصرخ ورجل- على الرصيف. عبرنا بزاوية لنتجنبهما ونخفي خوفنا.

في منتصف ذلك الطريق الخاوي من المارة، التفت ورأيت زُوي. المرأة التي كانت في المستشفى والتقيتها في أول يومٍ على هذا الكوكب. كانت تصرخ على رجل ضخم، قوي البنية، حليق الرأس. للرجل وشم دمعة على وجهه. تذكرت اعترافها بأنها تحب الرجال العنيفين.

«أقول لك إن فهمك خاطئ! أنت المجنون! ولست أنا! لكن إذا أردت التجول كإنسان بدائي فلا بأس! افعلها يا قطعة سميكة من الخراء!»

«أيتها المتغطرسة...»

ثم شاهدتني.

زوي: «أنت!».

همست إيزوبِل: «أتعرفها؟»

«نعم. من المستشفى»

«أوه، لا»

قلت للرجل: «أرجوك، كن لطيفًا».

حدق في. أقبل برأسه الحليق مع باقي جسمه باتجاهي.

«وما شأنك بحق الأرض؟»

«أوه، الأرض. من الرائع اجتماع الناس مع بعضهم عليها»

«ماذا تقول أيها اللعين؟»

قالت إيزوبِل بلا خوف: «عد أدراجك، واترك الجميع في حال سبيلهم. هيّا، إذا أقدمت على أي تصرف آخر، فستندم في الصباح».

حينها التفت إلى إيزوبِل وأمسكَ وجهها، وضغط خديها بقوة، وشوه جمالها. اعتراني الغضب حين قال لها: «أغلقي فمك اللعين، أيتها العاهرة المتطفلة».

سكن الخوف عينيْ إيزوبِل.

يجب التصرف بعقلانية على الأرض، لكني قطعت شوطًا بعيدًا عن العقلانية.

قلت له: «اتركنا جميعًا في حال سبيلنا»، نسيت للحظة أن كلماتي مجرد كلمات.

نظر إليّ وضحك، حينها أدركت الحقيقة المرعبة؛ لا أملك مثقال ذرة من قوة. سلبوني قدراتي. كنت مجرد بروفسور رياضيات غير مؤهل لمصارعة رجل ضخم مفتول العضلات.

ضربني، كان ضربًا جيدًا. لا يشبه ضرب غليڤر لي، ذاك الذي أردت تجريبه. لو أتيح لي اختيار عدم الشعور بالخواتم المعدنية الزهيدة التي في أصابع هذا الرجل الذي له قوة مذنب، لاخترته. كما كنت لاختاره بعدما أطاح بي أرضًا وركل معدتي؛ ما أدى إلى إزعاج الطعام الإيطالي غير المهضوم الموجود فيها. آخر دليل على وحشيته، كان ركل رأسي. أكثر من ركلة، في الواقع.

لم أر شيئًا بعدها.

مجرد ظلام وهاملت.

كان هذا زوجك. تعرفين الآن ما سيحدث.

سمعت نحيب إيزوبِل، حاولت التكلم معها، لكنها لم تسمع كلماتي. التلاقي المموه لأخوين[1].

يمكنني سماع صعود وهبوط صفير، وعرفت أنه من أجلي. ها هو زوجك، كسنبلة عفنة، يرزأ سليم أنفاسه[2]

استيقظت في سيارة إسعاف ولم يكن هناك أحد غيرها. وجهها فوقي، كشمس يُطاق النظر إليها.

قالت: «أنا أحبك».

عرفت حينها الغاية من الحب.

الحب طوق نجاة.

1- هاملت: أمير الدانمارك بترجمة جبرا إبراهيم جبرا.

2- المصدر السابق.

الحب هو التيه في المعنى. التوقف عن البحث وبدء العيش. هو الإمساك بيد شخص تهتم به وعيش الحاضر. الماضي والمستقبل أسطورتان. كان الماضي زمنًا مضارعًا لكنه انصرم مع الأيام، والمستقبل ليس موجودًا بعد، وسيصير زمنًا مضارعًا مع انطواء الأيام. الزمن الحالي هو كل ما نملك. حاضر متغير على الدوام. حاضر متبدل. لا يقبض المرء على حاضره إلا إذا تخلى عنه.

فتخليت عنه.

تخلّيت عن كل ما في الكون.

عن كل شيء؛ باستثناء يدها.

استيقظت في المستشفى.

المرة الأولى التي أستيقظ فيها والألم يفتك بي. الوقت ليل. بقيت إيزوبِل مدة ثم نامت على كرسي بلاستيكي. لكن أمروها بالذهاب إلى المنزل. فبقيت وحيدًا، مع ألمي، شاعرًا بالعجز التام لكوني بشريًا. بقيت مستيقظًا في الظلام، متمنيًا استدراة الأرض بسرعة أكبر لتواجه الشمس من جديد؛ إذ إن مآسي الليل تمحوها كوميديا النهار. لم أكن معتادًا على الليل. جربته على كواكب أخرى حتمًا، لكن ليل الأرض هو الأعتم. ليس الأطول، ولكن الأعمق، والأوحد، والأجمل بمأساويته. واسيت نفسي بأرقام أولية عشوائية: 73. 131. 977. 1213. 83719. كل منها غير قابل للقسمة إلا على نفسه تمامًا كالحب. أدركت أن مهاراتي الحسابية قد هجرتني أيضًا.

فحصوا أضلاعي، عيني، أذني، وداخل فمي. كما فحصوا مخي وقلبي. لم يقلقهم قلبي، رغم أنهم اعتبروا تسعًا وأربعين ضربة في الدقيقة بطيئة إلى حدّ ما. أما بالنسبة إلى مخي، فقد أقلقهم الفص الصدغي الأوسط قليلًا، وذلك لوجود نشاط غير معتاد في التكيف العصبي.

«كما لو أن هناك شيئًا قد انتزع من مخك وخلاياك تحاول تعويضه بإفراط، لكن من الواضح لم يؤخذ شيء أو يتلف. لكنه نشاط خطِر».

أومأت بإيجاب.

انتُزع شيء بالتأكيد، لكني عرفت أن لا بشر أو طبيب على الأرض سيفهمه على الإطلاق.

كان تشخيصًا صعبًا، لكني اجتزته. كنت جيدًا كإنسان. أعطوني باراسيتامول وكودين[1] للألم الذي في رأسي وعلى وجهي.

عدت إلى المنزل في نهاية المطاف.

في اليوم التالي، زارني آري. كنت في السرير. كانت إيزوبِل في العمل، وغليڤر في المدرسة.

«شكلك تعيس يا رجل»

ابتسمت، رفعت كيس البازلاء المتجمدة عن رأسي. «وهذه مصادفة لأني أشعر بأن شكلي تعيس أيضًا»

«كان من المفترض أنْ تذهب إلى مركز الشرطة».

«أجل، فكرت في هذا. تعتقد إيزوبِل أن عليّ الإبلاغ عن الواقعة، لكني أخافهم بعض الشيء. كما تعلم، منذ اعتقالي لعدم ارتدائي الثياب»

«لا يمكن السماح لمعتوهين بالتجول ليضربوا من شاؤوا»

«لا، أعرف. أعرف»

«اسمع يا صاحبي، أريد فقط أنْ أثني على شجاعتك. دفاعك عن زوجتك وتلك الشابة تصرف شهم ونبيل من الطراز القديم. فاجأتني. لا أقصد الاستهزاء أو الاستهانة، لكني لم أعرفك أنك مقدام»

«لقد تغيرت. هنالك نشاط مفرط في فصي الصدغي الأوسط. أعتقد أن للأمر علاقة به»

---

1 - مخدر من الأفيون

بدا آري مُشككًا. «أيًا كان السبب، أنت تصبح رجلًا نبيلًا، وهذا نادر بين معشر علماء الرياضيات. تقليديًا، نحن —الفيزيائيين- شجعان دائمًا. لا تفشل مع إيزوبِل. هل تفهم قصدي؟»

أمعنت في آري بعض الوقت. كان رجلًا صالحًا، أعرف هذا. يمكنك الوثوق به. «اسمع، آري، أتعرف ذلك الأمر الذي كنت على وشك قوله لك؟ في مقهى الكلية؟»

«حين عانيت من الشقيقة؟»

«أجل» ترددت. كنت منفصلًا عن حقيقتي، فأخبرته. أو بالأحرى، اعتقدت أن بإمكاني إخباره. «أنا من كوكب آخر، من نظام شمسي آخر، من مجرة أخرى»

ضحك ضحكة عالية. ضحكة عميقة لا يوجد فيها أي نبرة تشكيك. «حسنًا، أيها المخلوق الفضائي، لا بد أنك تريد مهاتفة كوكبك الآن. ليتنا نملك طريقة للتواصل مع مجرة أندروميدا»

«لست من مجرة أندروميدا. جئت من مجرة أبعد. سنوات ضوئية كثيرة جدًا».

بالكاد سمع جملتي الأخيرة لأنه واصل ضحكه الهستيري.

حدق في بتركيز زائف. «كيف وصلت إلى هنا؟ سفينة فضائية؟ ثقب دودي؟»

«لا، لم أسافر بأي طريقة عادية تفهمها. عبر تكنولوجيا تناقض المادة. منزلي بعيد جدًا، وهو أيضًا على بعد ثوان. لكني لا أستطيع العودة إليه الآن»

لا فائدة. آري، آمن باحتمال وجود حياة خارج الأرض، لم يتقبل بعد أن الفضائي يقف —أو مستلقٍ— أمامه.

«لدي قدرات مميزة بسبب تلك التكنولوجيا. مَلَكات».

قال وهو يحاول التحكم في ضحكه: «تابع كلامك. أرني».

«لا أستطيع. فقدتها. أنا كالبشر تمامًا الآن»

أضحكته هذه الجزئية أكثر. بدأ يزعجني الآن. لا يزال رجلًا صالحًا، لكنه صالح للإزعاج.

«تمامًا كالبشر! أنت إنسان يا رجل، أليس كذلك؟»

أومأت بالإيجاب. «أجل. أعتقد أنه بإمكاني أنْ أكون».

ابتسم آري، بدا قلقًا. «اسمع، احرص على أخذ كل حبوب الدواء. لا مسكنات الألم فقط. جميعها، اتفقنا؟»

أومأت. اعتقدَ أني مجنون. لربما من الأسهل عليّ أن ما حدث وهم. كل هذا حلم. «اسمع» قلت له. «لقد بحثت عنك. أعرف أنك تفهم الفيزياء الكمية، وأعرف أنك قد كتبت عن فرضية المحاكاة. تقول إن هناك فرصة نسبتها ثلاثون بالمئة بأن هذا ليس حقيقيًا. أخبرتني في المقهى أنك تؤمن بوجود الفضائيين. ولهذا أعلم أن بإمكانك تصديق كلامي».

هز آري رأسه نافيًا. على الأقل توقف عن الضحك. «لا، أنت مخطئ. لا يمكنني».

«لا بأس» قلت له، مدركًا أن عدم تصديق آري لكلامي يعني عدم تصديق إيزوبِل أيضًا. لكن ماذا عن غليڤر؟ هناك أمل في غليڤر دائمًا. سأخبره ذات يوم الحقيقة. لكن ماذا حينها؟ هل سيتقبلني كأب، إذا عرف أني قد كذبت عليه؟

كنت بلا حيلة. يجب أنْ أكذب، وأستمر في الكذب.

قلت له: «لكن يا آري، إذا احتجت إلى خدمة في يوم ما، إذا احتجت إلى إبقاء غليفر وإيزوبِل في منزلك، فهل ستقبل؟»

ابتسم. «أكيد يا زميلي. أكيد».

في اليوم التالي، توجهت إلى الكلية والكدمات في وجهي.

أزعجني وجودي في المنزل، حتى مع وجود نيوتن. انزعاج لم أشعر به من قبل. أشعرني الآن بوحدة تامة. عدت إلى العمل، فأدركت أهمية العمل على الأرض. العمل يمنعك من الشعور بالوحدة. لكن الوحدة انتظرتني هناك، في المكتب، حيث عدت بعد محاضرة عن نماذج التوزيع. آلمني رأسي، وأعترف أني قد رحبت بالسلام.

سمعت طرقًا على الباب بعد مدة. تجاهلته. الوحدة بلا صداع اختيار مفضل. لكن الطرق قد تكرر. تكرار عرفت منه أنه سيستمر، فوقفت وتوجهت نحو الباب. فتحته بعد مدة من الزمن.

إنها ماغي

الزهرة البرية اليانعة. ذات الشعر الأحمر المموج والشفتيْن الممتلئتين. كانت تلف شعرها حول إصبعها أيضًا. تنفست بعمق، كأنها تتنفس هواء مختلفًا؛ يحتوي على منشط جنسي غامض، يشي بحدوث انتشاء.

ابتسمت.

«إذن» قالت لي.

انتظرت دقيقة لتستكمل جملتها، لكنها لم تفعل. «إذن؟» كانت بداية، ومنتصف، ونهاية. كانت تعني شيئًا ما أجهله.

سألتها: «ماذا تريدين؟»

ابتسمت من جديد. عضت شفتيها. «مناقشة توافق منحنيات الجرس ونماذج توزيع التفلطح».

«حسنًا»

«بلاتيكورتِك» أضافت، وهي تشير من قميصي إلى بنطالي. «من الإغريق. بلاتوس يعني مسطح، كورتوس يعني... مُنتفخ بارز».

«أوه»

أبعدت إصبعها عني. «لنذهب أيها المصارع جاك لاموتا»

«اسمي ليس جاك لاموتا»

«أعرف. كنت أشير إلى وجهك»

«أوه»

«إذن، هل سنذهب؟»

«إلى أين؟»

«قبعة وريش»

لم أفهم قصدها، أو لم أفهم علاقتها بي أو بالبروفسور أندرو مارتن.

قلت لها: «حسنًا. لنذهب».

ها هي هناك. غلطتي الأولى في ذلك اليوم.

سـرعان مـا اكتشـفت أن قبعـة وريـش اسـم فيـه تضليـل؛ إذ لا توجـد قبعـة ولا ريش فيـه. فيـه فقـط أشـخاص مخموريـن، وجوههـم حمـراء، ويضحكون على نكاتهم الشـخصية. سـرعان مـا اكتشـفت أن المـكان مجـرد حانـة نموذجيـة. «الحانـة» اختـراع بشـري للمقيميـن فـي إنجلتـرا، مصممـة كتعويـض لحقيقـة أنهـم بشـر يعيشـون فـي إنجلتـرا. أحببـت المـكان.

«لنجد مكانًا هادئًا» قالت لي ماغي.

هنالـك زوايـا كثيـرة، كمـا هـو الحـال فـي البيئـات التـي مـن صنـع البشـر دائمًـا. لا يـزال سـكان الأرض بعيديـن جـدًّا عـن فهـم الصلـة بيـن الخطـوط المسـتقيمة والأشـكال الحـادة والذهـان، وهـو مـا قـد يفسـر سـبب امتـلاء الحانـات بأشـخاص عدوانييـن. هنالـك خطـوط مسـتقيمة تلتقـي ببعضهـا دائمًـا فـي كل أنحـاء المـكان. كل طاولـة، كل كرسـي، فـي المقهـى، عنـد «ماكينـة القمـار». (استفسـرت عـن تلـك الأجهـزة. مـن الواضـح أنهـا تسـتهدف الرجـال المعجبيـن بالمربعـات المضيئـة الذيـن لهـم فهـم ضئيـل بنظريـة الاحتمـالات). مـع وجـود زوايـا كثيـرة للاختيـار بينهـا، فاجأنـي جلوسـنا قـرب جـدار مسـتقيم متصـل، إلـى مائـدة بيضاويـة الشـكل علـى مرسـيين دائريّـن.

ماغي: مكان جيد.

- هل هو جيد؟

- أجل.

- حسنًا.

- ماذا ستشرب؟

قلت بلا تفكير: نيتروجين سائلًا.

- أتريد ويسكي أم مشروبًا غازيًّا؟

- أجل. أحدهما.

شربنا وتبادلنا الأحاديث مثل صديقيْن قديميْن. رغم أن أسلوبها في الحديث مختلف تمامًا عن أسلوب إيزوبِل.

قالت فجأة: عضوك الذكري في كل مكان.

نظرت حولي. «حقًّا؟»

- نال مئتين وعشرين ألف إعجاب على يوتيوب.

- فهمت.

- أعتموا صورته. تصرفهم حكيم برأيي، خاصة مع تجربته الأولى». ضحكت أكثر عند جملتها هذه. ضحكة لم تخفف الألم الضاغط داخل وخارج وجهي.

غيرت الحديث. سألتها عما يعنيه -بالنسبة إليها- أنْ تكون بشرية. أردت أنْ أسأل العالم كله هذا السؤال، لكنها تكفي الآن. فأخبرتني.

مكتبة
t.me/soramnqraa

القلعة النموذجية

قالت إن كونك إنسانًا أشبه بكونك طفلًا صغيرًا يُهدى قلعة رائعة في عيد الميلاد. هناك صورة مثالية لهذه القلعة على علبتها، فتنتابك رغبة عارمة للعب بها مع الفرسان والأميرات لأنها تطابق عالم البشر، لكن المشكلة الوحيدة هي أن القلعة لم تُشيد بعد. هناك قطع صغيرة مُعقدة، وعلى الرغم من وجود كتاب إرشادات، إلا أنك لن تفهمه، ولا يمكن لوالديك أو العمة سيلفي مساعدتك. فتبكي وحيدًا على القلعة النموذجية التي رأيت صورتها، ولم يتمكن أحد من تشييدها.

شكرت ماغي على تأويلها، ثم شرحت لها أنني اعتقدت أنني سأفهم قصدها، كلما تناسيته. بعد ذلك، تكلمتُ كثيرًا عن إيزوبِل. رأيت انزعاجها، فغيرت الموضوع.

قالت وهي تُدير إصبعها حول الجزء العلوي من كوبها: «هل سنذهب إلى مكان آخر؟».

أعرف نبرة الصوت هذه: «في مكان آخر». لها ذات تردد الجملة التي قالتها إيزوبِل: «الطابق العلوي» يوم السبت السابق. «هل سنمارس الجنس؟»

ضحكت مرة أخرى. أدركت أن الضحك هو صوت ارتطام حقيقة بكذبة. يعيش البشر داخل أوهامهم الشخصية والضحك مخرج منها؛ الجسر الوحيد الممكن بينهم وبين الآخر. الضحكة والحب. لكن لا حب بيني وبين ماغي، أريدكم أنْ تعرفوا هذا.

على أي حال، اتضح أننا سنمارس الجنس. لذلك غادرنا وسرنا على امتداد بضعة شوارع حتى وصلنا إلى طريق ويلو، ثم إلى شقتها. بالمناسبة، شقتها أكثر مكان فوضوي رأيته على الإطلاق. فوضى لم تكن بفعل انشطار نووي. كمية كبيرة من الكتب، والملابس، وزجاجات النبيذ الفارغة، والسجائر المُطفأة، والخبز المحمص القديم، والمظاريف غير المفتوحة.

اكتشفت أن اسمها الكامل هو مارغريت لويل. لست خبيرًا في أسماء أهل الأرض، لكنني عرفت أنه غير ملائم بتاتًا. كان

يُفترض تسميتها لانا بيلكيرف، أو آشلي برينسكس، أو شيء من هذا القبيل. على أي حال، من الواضح أني لم أنادِها مارغريت. («لا أحد باستثناء الشركة التي توفر الإنترنت لها»). إذن فهي ماغي.

وماغي إنسانة غير تقليدية. على سبيل المثال، حين سألتها عن دينها، أجابتني «فيثاغورث». كانت «كثيرة الأسفار»، الإجابة الأكثر سخفًا لكائن لم يغادر لزيارة القمر التابع لكوكبه (وماغي لم تزره بعد). في هذه الحال، سفرها يعني أنها تعلمت اللغة الإنجليزية في إسبانيا، وتنزانيا، وأرجاء متفرقة من جنوب إفريقيا مدة أربع سنوات قبل عودتها لدراستها الرياضيات. تبين أيضًا أنها لا تخجل من جسدها –حسب معايير البشر– وقد عملت راقصة في أحضان العملاء لتدفع رسوم دراستها الجامعية.

أرادت ممارسة الجنس على الأرض، وكان طريقة غير مريحة. قبلنا بعضنا في أثناء تعريتنا لبعضنا. تقبيلٌ ليس من النوع الذي يُقربك من الآخر كالذي تجيده إيزوبِل، بل كان تقبيلًا يُحيلك إلى ذاتك، تقبيل لمجرد التقبيل؛ درامي وسريع ومكثف وزائف. كما كان مؤلمًا. ما زال وجهي يؤلمني، وقبلاتها لم تراعِ احتمال التوجع. تعرينا بعدها. أو بالأحرى، تعرت الأجزاء التي يجب تعريتها، وصار الأمر عراكًا. نظرت إلى وجهها ورقبتها وثدييها، وتذكرت غرابة جسم الإنسان الجوهرية. مع إيزوبِل، لم أشعر بنومي مع غريبة بتاتًا، ولكن مع ماغي أعقب الإثارة فزع. هناك متعة فسيولوجية، قدر كبير منها في بعض الأحيان، لكنها كانت في مواضع محددة. شممت رائحة بشرتها، وأحببتها؛ مزيج بين

مستحضر معطر بجوز الهند والبكتيريا. لكن عقلي شعر بالرهبة، لسبب تجاوز الألم الذي في رأسي.

شعرت باضطراب معدتي بعد المعاشرة مباشرة، كما لو أن ارتفاعي عن الأرض قد تغير. توقفت، وهربت منها.

سألتني: «ما الأمر؟»

«لا أعرف. لكن هناك شيئًا خاطئًا. أدركت أني لا أريد بلوغ النشوة الآن»

«أزمة ضميرك تأخرت بعض شيء»

لم أفهم قصدها. بعد كل، فالمسألة مجرد جنس.

ارتديت ثيابي وانتبهت إلى وجود أربع مكالمات فائتة على هاتفي المحمول.

«وداعًا ماغي»

ضحكت أكثر من ضحكها السابق. «بلغ زوجتك محبتي».

لم أفهم سبب ضحكها الشديد، لكني قررت أن أكون مهذبًا وضحكت أيضًا عندما خرجت في هواء المساء البارد الذي كان ملوثًا بثاني أكسيد الكربون أكثر قليلاً مما لاحظته من قبل.

إيزوبِل: «تأخرت. قلقت عليك. اعتقدت أن ذلك الرجل قد تعقبك».

- أي رجل؟

- ذلك الحيوان الذي ضربك على وجهك.

كانت في غرفة المعيشة، في منزل جدرانه مملوءة بكتب التاريخ والرياضيات. رياضيات على الأغلب. كانت تضع الأقلام في وعاء، وتحدق في بإمعان، ثم نظرت إليّ برفق، وقالت: «كيف كان يومك؟»

قلت: «أوه»، ثم وضعت الحقيبة. «لا بأس. درست، وقابلت مجموعة الطلبة، ومارست الجنس مع تلك التي اسمها ماغي».

هذا مضحك. شعرت أن كلماتي تقودني إلى واد خطِر، لكني قلتها. احتاجت إيزوبِل إلى بعض الوقت لتفهم هذه المعلومة. اضطراب معدتي لم يهدأ، بل ازداد.

«هذا ليس مضحكًا»

«لم أحاول أنْ أكون مضحكًا»

تأملتني مدة طويلة، ثم أسقطت قلم الحبر على الأرض، ففتح غطاؤه، وتناثر حبره.

«عم تتحدث؟»

أعدت كلامي. الجزئية التي أثارت اهتمامها هي تلك الأخيرة؛ تلك المتعلقة بممارسة الجنس مع ماغي. في الواقع، كانت مهتمة جدًّا لدرجة أن سرعة أنفاسها زادت، ورمت حامل الأقلام باتجاه رأسي، ثم أجهشت في البكاء.

سألتها: «لماذا تبكين؟»، لكني بدأت أفهم. اقتربت منها أكثر. بدأت بمهاجمتي، تحركت يداها بأقصى سرعة أتاحتها لها قوانين الحركة الجسدية. خدشت أظافرها وجهي، وأضافت جروحًا جديدة. ثم وقفت هناك، تنظر إلي، كما لو كانت مصابة بجروح أيضًا. جروحها غير مرئية.

«آسف يا إيزوبِل، عليكِ أن تفهمي أني لم أدرك فعلي لأي شيء خاطئ. هذا كله جديد. تجهلين مدى غرابة كل هذا بالنسبة إليّ. أعلم أن عشق امرأة أخرى غير أخلاقي، لكني لا أحبها. للمتعة فقط، كمتعة تناول شطيرة الفول السوداني. تجهلين تعقيد ونفاق هذا النظام...»

توقفت عن البكاء. تباطأت أنفاسها وازدادت عمقًا، وأصبح سؤالها الأول هو السؤال الوحيد: «من هي؟»، ثم: «من هي؟»، بعدها بوقت قصير: «من هي؟»

ترددت في الكلام. أدركت أن التكلم مع إنسان يهمك شأنه محفوف بخطر خفي، ما جعلني أتعجب من تجشم الناس عناء التكلم مع أحبائهم عما يقض مضاجعهم. كان بإمكاني الكذب. كان بإمكاني التراجع. لكنني أدركت أن الكذب، رغم أنه ضروري لضمان استمرار محبة شخص لك، ليس لازمًا لحبي. حبي يحتاج إلى الحقيقة.

فقلت بأبسط الكلمات: «لا أعرف. لكني لا أحبها. أنا أحبك أنتِ. لم أدرك فداحة فعلي. علمت إلى حدٍّ ما، في أثناء حدوثه. أخبرتني معدتي، بطريقة لم تخبرني بها عند تناول الفول السوداني، حينها توقفت عن فعلي». المرة الوحيدة التي صادفت

فيها مفهوم الخيانة كانت في مجلة كوزموبوليتان، حيث لم يُشرح بشكل جيد. اعتمدوا على السياق. الخيانة مفهوم غريب عني. يشبه محاولة تبسيط معنى العلاج بعبور الخلايا للبشر.

«أنا آسف»

لم تصغِ إليّ. لديها ما تقوله. «أنا لا أعرفك. لا أملك أدنى فكرة عن هُويتك. لا فكرة. إذا فعلت هذا، فأنت فعلًا غريب عني...»

«أنا؟ اسمعي يا إيزوبِل. أنت على حق. أنا غريب. لست من هذا الكوكب. لم أعشق من قبل. كل هذا جديد علي. لست محترفًا في العشق. اسمعي، كنت خالدًا لا أموت، لا أتألم، لكني تخليت عن كل هذا...»

لم تستمع لما أقول كأنها في مجرة أخرى.

«كل ما أعرفه، كل ما أعرفه دون أدنى شك، هو أني أريد الطلاق. فعلًا. هذا ما أريد. لقد دمرتنا. دمرت غليڤر من جديد».

جاء نيوتن عند تلك اللحظة، محركًا ذيله لتلطيف الحال.

تجاهلته إيزوبِل، ثم ابتعدت عني. كان عليّ السماح لها بالمغادرة، لكني لم أستطع. تمسكت بمعصمها.

رجوتها أن تبقى.

لكن، اقترب شهاب راحة يدها من كوكب وجهي بسرعة فائقة. ليست صفعة أو خدشًا هذه المرة بل لطمة. أهكذا ينتهي الحب؟ بإصابة تعلو إصابتي السابقة؟

«سأغادر المنزل الآن. غادر قبل عودتي. هل تفهم؟ غادر. أريدك خارج المنزل، وخارج حياتيْنا. انتهى. كل شيء. انتهى كل شيء. اعتقدت أنك قد تغيرت. صدقًا اعتقدت أنك قد أصبحت شخصًا آخر. وسمحت لك بالدخول من جديد! يا لي من مغفلة!»

أبقيت يدي على وجهي. آلمني خدي. سمعت خطوات قدميْها تبتعد عني. فُتح الباب. أغلق الباب. بقيت وحيدًا مع نيوتن.

قلت: «خسرت فعلًا الآن».

بدا أنه يؤيدني، لكني لم أعد أستطيع فهمه. لعلي كنت أي إنسان يحاول فهم أي كلب. لكنه يشعر بأمر آخر غير الحزن، إذ نبح باتجاه غرفة المعيشة. نظرت خارج النافذة. لا يوجد شيء. فلمست جسده مرة أخرى مُقدمًا اعتذارًا لا غاية ترجى منه، ثم غادرت المنزل.

الفصل الثالث

الغزال الجريح يثب بأقصى ارتفاع

يكتمل الإنسان بنيله رغباته عبر تجربة نقيضها.

- سورين كيركيغارد، خوف ورعدة

مشيت إلى أقرب متجر، مكان نوره ساطع ولا يلائم مزاجي اسمه مترو تيسكو. ابتعت لنفسي قنينة نبيذ أسترالي.

مشيت على طول مسار مخصص للدراجات وأنا أغني «الرب وحده يعلم». المكان هادئ. جلست إلى شجرة وأنهيت القنينة.

دخلت وابتعت أخرى. جلست عل مقعد الحديقة، إلى جانب رجل ملتحٍ. كان الرجل الذي رأيته من قبل. في يومي الأول. ذلك الرجل الذي ناداني «يسوع» حين رآني. ارتدى ذات المعطف الطويل وانبعثت منه ذات الرائحة. أذهلني هذه المرة. جلست هناك مدة من الزمن محاولاً تمييز الروائح المختلفة؛ الكحول والعرق، والسجائر، والبول، والالتهاب. روائح بشرية بامتياز، ومميزة بطريقتها.

«أجهل سبب إقدام الناس عليها» في محاولة لبدء حديث.

- على ماذا؟

- الثمالة. يبدو أن لجلوسي على مقعد في حديقة هو الطريقة المُثلى لحل المشكلات.

- هل تمزح يا رجل؟

- لا أحب هذا التصرف، ويبدو أنك تحبه.

كلامي غبي، فالبشر لا يفعلون إلا ما يكرهون. فقط 0.03% يفعلون شيئًا يحبونه بنشاط، وحتى عندما فعلوا ذلك، شعروا بوخز ضمير شديد، فوعدوا أنفسهم بالقيام بفعل خبيث في القريب العاجل.

حمل هبوب الرياح كيسًا بلاستيكيا أزرق. لف الرجل الملتحي سيجارة. ارتجفت أصابعه.

قال: لا خيار لي في الحب والحياة.

- لا. هذا ليس صحيحًا. حتى حين تعتقد أن هناك اختيارات، لا توجد حقيقة. لكني أعتقد أن البشر ما زالوا يؤمنون بوهم حرية الإرادة؟»

«لا أومن بها» ثم بدأ يغني، بتردد خفيض جدًا. «لا توجد أشعة للشمس إذا غادرت...»

«ما اسمك؟»

«أنا أندرو. تقريبًا»

«ما الذي يزعجك؟ هل ضُربت؟ وجهك مأساة»

«أجل، ضُربت بطرائق متعددة. كانت لدي امرأة تحبني، وكان حبها أثمن شيء. منحتني أسرة. أشعرتني بالانتماء، ثم أفسدتُ كل هذا»

أشعل الرجل السيجارة. نفخها. قال: «تزوجت مدة عشر سنوات، ثم فقدت وظيفتي فتركتني زوجتي في ذات الأسبوع. عندها لجأت إلى الشرب وبدأت آلام ساقي».

رفع بنطاله. ساقه اليسرى منتفخة وأرجوانية. لاحظت أنه قد توقع اشمئزازي. قال: «تجلط الأوردة العميقة. ألم لا يطاق حقيقة. وسوف يقتلني في يوم ما».

ناولني السيجارة. استنشقتها. كنت أعلم أنني لا أحب التدخين، لكني واصلت تدخينها.

سألته: «ما اسمك؟»

ضحك وقال: «ونستون تشرشل».

«أوه، مثل اسم رئيس الوزراء في زمن الحرب». شاهدته وهو يغمض عينيْه ويدخن. سألته:

- لماذا يدخن الناس؟

- لا أعرف. اسألني سؤالًا آخر.

- حسنًا. كيف تتعامل مع من تحبه ويكرهك؟ ولا يريد رؤيتك مرة أخرى؟

- لا أعرف. نكص متألمًا. لاحظت ألمه منذ اليوم الأول، لكني أتمنى لو أفعل شيئًا له الآن. شرب بما يكفي لأومن بقدرتي على شفائه، أو لأنسى عدم قدرتي على ذلك.

كان على وشك إنزال بنطاله، لكني أخبرته أنْ يتوانى عن فعل ذلك بعد أنْ لاحظت توجعه. وضعت يدي على ساقه.

- ماذا تفعل؟

- لا تقلق. إجراء بسيط جدًا لنقل مجموعة حيوية تشتمل على استماتة عكسية، وتعمل على المستوى الجزيْئي بهدف استعادة وإعادة تجديد الخلايا الميتة. يبدو سحرًا بالنسبة إليك، أليس كذلك؟»

ركزت ولم يحدث شيء. بدا الأمر أبعد ما يكون عن السحر.

- من أنت؟

- أنا كائن فضائي. أُعتَبر فاشلًا في مجرتيْن.

- حسنًا، هلا أبعد يدك اللعينة عن ساقي؟

أبعدتها. «أعتذر. صدقًا. اعتقدت أني لا أزال أمتلك القدرة على شفائك».

- أنا أعرفك.

- ماذا؟

- شاهدتك من قبل.

- أجل. أعرفك. مررت بك خلال يومي الأول في كمبردج. لعلك تتذكرني. كنت عاريًا.

أرجع ظهره إلى الخلف، حدق في، أمال رأسه. «لا. لا. ليس السبب. شاهدتك اليوم».

- لا أعتقد. متأكد كنت سأتذكرك لو كنت قد قابلتك.

- متأكد اليوم. أتذكر الوجوه جيدًا.

- هل كنت مع أحد؟ امرأة شابة؟ شعرها أحمر؟

فكر. «لا. كنت وحيدًا».

- أين كنت؟

- كنتَ في طريقك. دعني أفكر. كنت في طريقك إلى نيوماركت رود.

«نيوماركت رود؟» أعرف اسم الشارع لأن آري يقيم فيه، لكني لم أذهب إليه وحيدًا بتاتًا. ليس اليوم. إطلاقًا. من المحتمل طبعًا أن أندرو مارتن الحقيقي قد ذهب إلى هناك مرات كثيرة. أجل، لا بد أن هذا ما حدث. اختلط الأمر على الرجل. «أعتقد أنك مخطئ».

هز رأسه نافيًا. «شاهدتك أنت مفهوم. هذا الصباح. ربما منتصف النهار. لا أكذب عليك نهائيًا».

وبهذا وقف الرجل وعرج ببطء مبتعدًا عني، تاركًا أثرًا من دخان وكحولًا مسكوبًا.

غطت الشمسَ غيمةٌ. نظرت إلى السماء. في ذهني فكرة مظلمة مثل ظل. وقفت. أخرجت الهاتف من جيبي واتصلت بآري. رد أخيرًا شخص ما. امرأة. أنفاسها لاهثة، تستنشق مخاط أنفها، تكافح لتحويل الضوضاء إلى كلمات متماسكة.

«مرحبا، أنا أندرو. أتساءل إذا كان آري في البيت»

ثم انهالت كلماتها في تتابع مروع: «لقد مات، مات، مات».

ركضت.

تركت النبيذ وجريت قدر استطاعتي، عبر الحديقة، على طول الشوارع، على الطرق الرئيسة، لم آبه لحركة المرور. هذا الجري مؤلم. أوجع ركبتي ووركي وقلبي ورئتي. كل هذه الأعضاء، تذكرني بأنها ستفشل يومًا ما. كما أنها، بطريقة ما، أدت إلى تفاقم آلام وجهي المختلفة التي كنت أعانيها. لكن، على الأغلب، عقلي هو الذي كان في حالة اضطراب.

الخطأ خطئي. لا علاقة له بفرضية ريمان وكل ما يتعلق بحقيقة أنني أخبرت آري بحقيقة المكان الذي أتيت منه. لم يصدقني، لكن هذا ليس بيت القصيد. كنت قادرًا على إخباره، دون تلقي تحذير مؤلم ملوث بالبنفسج. فصلوني عنهم، لكن لا بد أنهم ما زالوا يشاهدوني ويستمعون إلي، ما يعني أنه ربما يمكنهم سماعي الآن.

«لا تفعل ذلك. لا تؤذي إيزوبِل أو غليڤر. إنهما لا يعرفان شيئًا»

وصلت إلى المنزل الذي عشت فيه حتى صباح هذا اليوم مع الشخصيّن اللذين نما حبي لهما. سحقت حصى مدخل المنزل بخطواتي المتسارعة. السيارة ليست موجودة. نظرت عبر نافذة غرفة المعيشة، لا أثر لأي شخص. المفتاح ليس معي، فقرعت جرس الباب.

وقفت وانتظرت متسائلًا عما يمكنني فعله. بعد مدة، فُتح الباب، لكني ما زلت لا أستطيع رؤية أي شخص. من فتح الباب يتعمد التواري عن النظر.

دخلت المنزل. مررت إلى جانب المطبخ. نيوتن نائم في السلة. ذهبت إليه، وهززته بلطف. «نيوتن! نيوتن!» ظل نائمًا، ويتنفس بعمق، لم يستيقظ لسبب مجهول.

«أنا هنا» قال صوتٌ مصدره غرفة المعيشة.

توجهت إليه. كان صوتًا مألوفًا. نظرت إلى رجل جالس على الأريكة واضعًا ساقًا على ساق. عرفته على الفور. لا يمكن أنْ يكون أحدًا غيره، ومع ذلك أرعبتني مشاهدته.

كنت أنظر إلى نفسي.

ثيابه مختلفة (بنطال من الجينز عوضًا عن القطن السميك، وقميص بكمين قصيريْن عوضًا عن الكمين الطويليْن، وحذاءان رياضيان عوضًا عن حذاءين رسميين) لكنه ليس أندرو مارتن حتمًا. شعره بني اللون، مفروق من المنتصف بشكل طبيعي. عيناه مرهقتان، وله نفس الوجه باستثناء عدم وجود كدمات.

«أنا الرابح!» قال مبتسمًا. «هذا ما يقولونه هنا، أليس كذلك؟ حين يلعبون الورق! أنا وأنت توأمان متطابقان».

- من أنت؟

عبس، كما لو أن من المفترض عدم طرح هذا السؤال الجوهري. «أنا بديلك».

«بديلي؟»

«هذا ما قلته. أنا هنا لفعل ما عجزت عن القيام به».

تسارعت نبضات قلبي. «ماذا تقصد؟»

«لتدمير المعلومات»

للخوف والغضب ذات أحيانًا. «قتلت آري؟»

«أجل»

- إذن كانوا يتجسسون علي؟ قالوا إني انفصلت عنهم.

أشار إلى يدي اليسرى؛ إلى مكان التكنولوجيا. «سلبوك قواك، وبقيت قواهم. يستمعون إليك أحيانًا. يتفقدونك».

حدقت فيها؛ في يدي. بدت فجأة عدوة لي.

- منذ متى وأنت هنا؟ على الأرض أقصد؟

- منذ وقت قصير.

اقتحم شخص ما المنزل قبل أيام قليلة. ودخل حاسوب إيزوبِل.

- أنا الفاعل.

- فلماذا التأخير إذن؟ لماذا لم تنه المهمة تلك الليلة؟

- كنت موجودًا في المنزل. لم أرغب في إيذائك. الفوندريان لا يقتل شخصًا من بني جنسه. ليس بشكل مباشر.

- لست ڤوندريان تمامًا. أنا بشر. تكمن المفارقة في أني على بعد سنوات ضوئية من المنزل، ومع ذلك يبدو هذا المنزل كمنزلي. شعور غريب. فيم أمضيت الوقت؟ أين أقمت؟

تردد. ابتلع ريقه. «كنت أعيش مع أنثى».

- أنثى بشرية؟ امرأة؟

- أجل.

- أين؟

- خارج كمبردج. قرية. إنها تجهل اسمي. تعتقد أن اسمي (جوناثان روبر). أقنعتها أننا متزوجان.

ضحكت. فاجأني هذا الضحك.

- لماذا تضحك؟

- لا أعرف. لقد اكتسبت روح الدعابة. أمر حدث عندما فقدت قدراتي.

- سأقتلهما، هل تعلم ذلك؟

- لا. في الواقع، لا أعرف. أخبرت القادة أنه لا فائدة من قتلهما. هذا آخر ما قلته لهم. اعتقدت أنهم قد فهموني.

- أمروني بهذا، وسأنفذ الأمر.

- ألا تعتقد أن لا فائدة من قتلهما؟ لا يوجد سبب حقيقي لهذا الفعل؟

تنهد وهز رأسه نافيًا. قال بصوت يشبه صوتي، ولكنه أعمق بطريقة ما، وأكثر مداهنة:

- لا، لا أعتقد ذلك. لا أرى انفصالاً. عشت مع إنسانة أيامًا قليلة، لكني رأيت العنف والنفاق فيها.

- صحيح، ولكن منهم من هو صالح. الصالحون كُثر.

- لا. أنا لا أرى ذلك. يمكنهم الجلوس ومشاهدة الجثث البشرية على شاشات التلفاز، دون أي تأثر.

- هذا ما لاحظته في البداية، ولكن ـ

- يمكنهم قيادة سيارة مسافة ثلاثين ميلًا كل يوم وهم يشعرون بالرضا عن أنفسهم لإعادة تدوير اثنين من عبوات المربى الفارغة. يمكنهم التحدث عن أن السلام شيء جيد ولكنهم يمجدون الحرب في ذات الوقت. يمكنهم احتقار الرجل الذي يقتل زوجته، ولكنهم يعبدون الجندي اللا مبالي الذي أسقط قنبلة قتلت مئة طفل.

- نعم، يوجد منطق سيئ هنا، أتفق معك، لكني أعتقد حقًا ـ

- لم يُصغِ إلي. وقف الآن، وحدق في وجهي بعينيّن عازمتيّن وهو يسير في الغرفة، ثم ألقى موعظة قال فيها: إنهم يؤمنون بأن الرب إلى جانبهم دومًا، حتى لو جانبوا الصواب. ليست لديهم طريقة للتوافق مع أهم حدثيّن بيولوجيين يحدثان لهم؛ الإنجاب والموت. يدعون بأنهم يعرفون أن المال لا يمكنه شراء السعادة لهم، لكنهم سيختارون المال في كل مرة. إنهم يحتفلون بالسطحية في كل مكان، ويحبون رؤية «سوء طالع الآخرين». عاشوا على هذا الكوكب لأكثر من مئة ألف جيل ومع ذلك يجهلون هُويتهم الحقيقية أو كيف يجب أن يعيشوا حقًا. في الواقع، إنهم يعرفون الآن أقل مما كانوا يعرفون من قبل.

- أنت على حق، ولكن ألا تعتقد أن هناك شيئًا جميلًا في هذه التناقضات، شيئًا غامضًا؟

- لا. لا، أنا لا أعتقد. ما أعتقده هو أن إرادتهم العنيفة ساعدتهم على السيطرة على العالم و«الحضارة»، ولكن الآن لم يتبق لهم مكان يذهبون إليه، وبهذا تحول العالم البشري إلى عدو لذاته؛ كوحش يأكل يديه. ما زالوا لا يرون الوحش، أو إذا فعلوا، فهم لا يرون أنهم داخله؛ جزيئات في هذا الوحش.

نظرت إلى أرفف الكتب، وسألته: هل قرأت الشعر البشري؟ البشر يعون هذه الإخفاقات. لم يُصغِ إلي.

- فقدوا أنفسهم، ولم يفقدوا طموحاتهم. ألا تعتقد أنهم لن يغادروا هذا المكان إذا سنحت لهم الفرصة. بدؤوا يدركون أن الحياة خارج كوكبهم موجودة، وأننا -أو كائنات مثلنا- موجودون في الكون، ولن يتوقفوا عند هذا الحد. سيرغبون في الاستكشاف،

ومع توسع فهمهم للرياضيات، سينجحون في نهاية المطاف. سيجدوننا، في النهاية، وعندما يفعلون ذلك، لن يرغبوا في أنْ نكون أصدقاء، حتى لو اعتقدوا -كما يفعلون دائمًا- أن أهدافهم الخاصة خَيرة تمامًا. سيجدون سببًا لتدمير أو إخضاع أشكال الحياة الأخرى لسيطرتهم.

مرت فتاة قرب منزلي. سيعود غليڤر عما قريب.

- لكن لا توجد علاقة بين قتل هذين البشريّن ووقف التقدم، أعدك. لا رابط بينهما.

توقفَ عن المشي بسرعة الغرفة واقترب مني، ثم انحنى على وجهي. «رابط؟ سأخبرك عن الرابط. توصل فيزيائي ألماني هاو يعمل في مكتب براءات اختراع في برن في سويسرا إلى نظرية. بعد نصف قرن، مسحت مدنًا يابانية عن بكرة أبيها، وأبادت سكانها؛ الأزواج، الزوجات، الأبناء، البنات إنهم يرفضون تشكل العلاقات.

- أنت تتحدث عن مسألة مختلفة تمامًا.

- «لا. لا أفعل هذا. هذا كوكب يمكن أن تنتهي فيه أحلام اليقظة بالموت، ويمكن لعلماء الرياضيات القضاء عليه. هذا هو رأيي في البشر. هل يختلف عن رأيك؟

- البشر يتعلمون من أخطائهم، وهم يهتمون ببعضهم أكثر مما تعتقد.

- أعلم أنهم يهتمون ببعضهم عندما يكون الآخر مثلهم، أو يعيش تحت سقفهم، لكن أي اختلاف يبعدهم عن التعاطف مع الآخر. يجدون سهولة غير معقولة في معاملة بعضهم بجفاء وعداء. تخيل ماذا سيفعلون بنا إذا امتلكوا الأسباب.

بالطبع، كنت قد تخيلت هذا بالفعل وكنت خائفًا من الإجابة. بدأت أشعر بالضعف، وبالتعب والارتباك.

- لكننا أرسلناك إلى هنا لقتلهم. ما الذي يجعلنا أفضل منهم؟

- نحن نتصرف تبعًا للمنطق والتفكير العقلاني. نحن هنا لحمايتنا، وحماية البشر. فكر في الأمر. التقدم أمر خطير جدًّا بالنسبة إليهم. يجب قتل الفتى، حتى لو كان من الممكن إنقاذ المرأة. الولد يعرف. لقد أخبرتنا بنفسك.

- أنت ترتكب خطأ صغيرًا.

- ما خطئي؟

- لا يمكنك قتل الابن دون قتل أمه.

- تتكلم بألغاز. لقد أصبحت مثلهم.

نظرت إلى الساعة. كانت الرابعة والنصف. سيعود غليڤر إلى المنزل في أي لحظة. حاولت التفكير ماذا أفعل. لعل أناي الأخرى، «جوناثان» هذا على حق. حسنًا، لا توجد ربما. كان على حق تمامًا؛ لم يستطع البشر التعامل مع التقدم بشكل جيد جدًّا، ولم يكونوا جيدين في فهم مكانهم في العالم. لقد كانوا، في النهاية، خطرًا كبيرًا على أنفسهم والآخرين.

أومأت بالإيجاب، ثم جلست على الأريكة البنفسجية. شعرت بالحكة، وبوعي تام بألمي.

قلت له: أنت على حق. أنت على حق، وأريد مساعدتك.

قلت له للمرة السابعة عشرة، وأنا أنظر في عينيه مباشرة، «أعلم أنك على حق، لكني كنت ضعيفًا. أعترف لك بذلك الآن كنت وما زلت غير قادر على إيذاء المزيد من البشر، خاصة من عشت معهما. لكن ما قلته لي قد ذكرني بهدفي الأسمى. لم أعد قادرًا على تحقيق غايتي، ولم أعد أمتلك قدرات، لكني أدرك أيضًا أهمية تنفيذه، وبالتالي أنا ممتن لوجودك هنا. كنت غبيًّا. حاولت وفشلت.

جلس جوناثان على الأريكة وتأملني. حدق في كدماتي وشم الهواء الفاصل بيننا. «شربت الكحول».

نعم. لقد فسدت. من السهل جدًّا محاكاة البشر في عاداتهم السيئة إذا عشت بينهم؛ شربت الكحول، ومارست الجنس، ودخنت السجائر، وأكلت شطائر زبدة الفول السوداني، واستمعت إلى موسيقاهم البسيطة. شعرت بالعديد من الملذات الفجة التي يمكن أن يشعروا بها، وكذلك الألم الجسدي والعاطفي. لكن على الرغم من فسادي، ما زلت أحتفظ بشيء من حقيقتي، ما يكفي من ذاتي العقلانية الواضحة لمعرفة ما يجب القيام به.

راقبني، وصدقني، لأن كل كلمة نطقت بها حقيقية. «أشعر بالراحة لسماع كلامك».

لم أهدر أي لحظة. «الآن أعرني انتباهك. سيعود غليڤر إلى المنزل قريبًا. لن يكون في سيارة أو على دراجة. سيمشي. إنه يحب المشي. سنسمع صوات خطوات قدميْه على الحصى، وبعد ذلك

سنسمع مفتاحه في الباب. يتوجه عادة مباشرة إلى المطبخ ليحضر لنفسه مشروبًا أو وعاء في حبوب إفطار وحليب. على أي حال، لا علاقة لنا بأفعاله. المهم هو أنه من المرجح أن يدخل المطبخ أولاً.»

أصغى جوناثان باهتمام ظاهر لكل كلامي. شعرت بالغرابة، والرهبة أيضًا؛ لإعطائه هذه المعلومات، لكني لم أتمكن من التفكير في أي طريقة أخرى.

قلت له: «تصرف بسرعة؛ لأن أمه ستعود إلى المنزل قريبًا. أيضًا، هناك فرصة أنْ يتفاجأ من رؤيتك. كما تعلم، لقد طردتني والدته من المنزل لأني خنتها. أو بالأحرى لم أخلص لها تمامًا. نظرًا لغياب تقنية قراءة الأفكار، يؤمن البشر بالزواج الأحادي فقط. حقيقة أخرى يجب مراعاتها هي أن غليڤر قد حاول، بمحض إرادته، الانتحار من قبل. لذا، أقترح أنه أيًّا كانت طريقة قتله، أنْ تجعلها تبدو كانتحار. ربما بعد توقف قلبه، يمكنك تقطيع أحد معصميْه والأوردة. وبهذه الطريقة، لن تثير الشكوك».

أومأ جوناثان بالإيجاب، ثم نظر إلى الغرفة، إلى التلفاز، وكتب التاريخ، والأريكة، واللوحات الفنية المؤطرة المعلقة على الحائط، والهاتف.

قلت له: «تشغيل التلفاز فكرة جيدة، حتى لو لم تكن في هذه الغرفة. لأني أشاهد الأخبار دائمًا ولا أغلقه.»

شغل التلفاز.

جلسنا وشاهدنا لقطات للحرب في الشرق الأوسط دون أنْ ننطق بأي كلمة. سمع صوتًا لم أسمعه.

قال: خطوات على الحصى.

قلت: «إنه هنا. اذهب إلى المطبخ، وسأختبئ».

90.2 ميغاهرتز

انتظرت في غرفة الجلوس. الباب مغلق. لا سبب يدعو غليڤر للدخول إلى هنا. دخوله نادر إلى هنا. لا أعتقد أنني سمعته يفعل ذلك من قبل.

لذلك بقيت في مكاني، ساكنًا وهادئًا، حين فتح الباب الأمامي، ثم أغلقه. لم يتحرك في الردهة. لا خطى.

- هل من أحد هنا؟

أجاب صوتي الذي ليس صوتي من المطبخ. «أهلًا يا غليڤر».

- ماذا تفعل هنا؟ أخبرتني أمي أنك قد غادرت المنزل نهائيًا. هاتفتني أمي لتخبرني أنكما قد تشاجرتما.

سمعته -(أندرو؟ جوناثان؟)- يتكلم بكلمات منتقاة. «هذا صحيح. تشاجرنا. لا تقلق، لم يستفحل الجدال».

«حقًّا؟ اعتقدت أنه جدال حاد من حديث أمي». سكت غليڤر لثوان، ثم سأل: «ثياب من التي ترتديها؟»

- أوه مجرد ثياب قديمة. لم أعلم أنها بحوزتي حتى الآن.

«لم أرها من قبل. ووجهك، لقد شفي تمامًا. تبدو سليمًا معافى»

«حسنًا، ها قد بدأت».

«صحيح، على أي حال، سأصعد إلى الطابق العلوي. سآكل لاحقًا»

« لا، لا. ستبقى في مكانك»

بدأ تحكم جوناثان بعقل غليڤر. كلماته كبحت وعي الفتى.

- ستبقى هنا وستأخذ سكينًا؛ سكينًا حادًا، والأكثر حدة في هذه الغرفة ـ»

على وشك أنْ يقتل نفسه. أشعر بهذا، ففعلت ما خططت له. توجهت إلى رفوف الكتب، وأمسكت بالمذياع -الساعة، وأدرت القرص 360 درجة، ثم ضغطت على الزر الذي بالدائرة الخضراء الصغيرة. أضيئت الشاشة: 90.2 ميغاهرتز. صوت عال من الموسيقى الكلاسيكية. حملت المذياع إلى الردهة. أعتقد أنها موسيقى للموسيقار ديبوسي.

- ستغرس تلك السكين في معصمك بقوة كافية لقطع أوردتك.

سأل غليڤر بعد استعادته وعيه: ما هذه الضوضاء؟

ما زلت عاجزًا عن رؤيته، إذ لم أصل إلى المطبخ.

- افعلها وأنهِ حياتك يا غليڤر.

دخلت المطبخ، ورأيت شبيهي يبتعد عني وهو يضغط على رأس غليڤر. سقطت السكين على الأرض. كان الأمر أشبه بمشاهدة نوع غريب من المعمودية البشرية. كنت أعلم أن ما يفعله صحيح ومنطقي من وجهة نظره، لكن منظوره مضحك.

انهار غليڤر؛ تشنج جسده كله. وضعت المذياع على المنضدة. للمطبخ مذياع خاص به. شغلته أيضًا. ما زال التلفاز يعمل في الغرفة الأخرى، كما أردت تمامًا. ملأ تداخل الموسيقى الكلاسيكية، والأخبار، وموسيقى الروك الهواء حين وصلت إلى جوناثان وسحبت ذراعه حتى لا يكون على اتصال بجوناثان.

استدار، وقبض على حلقي، وضغطني بالثلاجة.

ندد: ارتكبتَ خطأ.

توقفت تشنجات غليڤر ونظر حوله مرتبكًا. رأى رجليّن، كلاهما متطابق، يشبهان والده، يضغطان على أعناق بعضهما بقوة متكافئة.

كنت أعلم أن عليّ إبقاء جوناثان في المطبخ مهما حدث. إذا بقي في المطبخ، مع تشغيل المذياعيّن والتلفاز في الغرفة المجاورة، فسنكون متطابقين بذات القدر.

ناديته: غليڤر. غليڤر، أعطني السكين. أي سكين. تلك. ناولني تلك السكين.

- أبي؟ هل أنت أبي؟

- نعم، أنا أبوك. أعطني السكين الآن.

جوناثان: تجاهله يا غليڤر إنه ليس والدك. أنا أبوك.

- إنه محتال. ليس من تعتقد. إنه وحش. كائن فضائي. علينا تدميره.

في أثناء استمرار تصارعنا غير المجدي بقوى متماثلة، رأيت الارتياب في عيني غليڤر.

نظر إلي.

حان وقت الحقيقة.

- لست أبوك، ولا هو أبوك. فارق والدك الحياة يا غليڤر. مات يوم السبت، السابع عشر من أبريل. قتله....» فكرت بتبسيط الأمر لفهمه. «... أشخاص نعمل تحت إمرتهم. استخلصوا معلومات منه، ثم قتلوه. أرسلوني بعدها إلى هنا، بمثل مظهره الخارجي، لأقتلك وأمك. وكل من عرف شيئًا عن إنجازه في ذلك اليوم، لكني لم

أتمكن من فعل ذلك. لم أقتلكما لأني بدأت... بدأت أشعر بشيء كان مستحيلًا... تعاطفت معكما. بدأت أحبكما، وأقلق عليكما. أحببتكما. فتخليت عن كل شيء... لا حول لي ولا قوة».

- «لا تصغِ إليه يا بني» قال جوناثان، ثم أدرك أمرًا فأضاف: «أطفئ المذياعيْن. أصغ إلي، أطفئهما الآن».

حدقت في غليڤر بعينيْن تتوسلان إليه. «لا تطفئهما نهائيًا. الإشارة تتداخل مع التكنولوجيا. إنها يده اليسرى. كل شيء في يده اليسرى...»

جاهد غليڤر للوقوف. بدا مُخدرًا. لا يمكن قراءة وجهه.

فكرت مليًّا.

صرخت: «الورقة! غليڤر، كنت على حق. الورقة، تذكر، الورقة! وفكر في -»

عندئذٍ ضرب شبيهي رأسه بأنفي، بقوة سريعة ووحشية. ارتد رأسي على باب الثلاجة واختفى كل شيء، تلاشت الألوان، وتوحد ضجيج المذياعيْن والتلفاز البعيد بعضهما في بعض. مزيج صوتي.

قضي الأمر.

- «غليڤـ»

أطفأ شبيهي أحد المذياعيْن. اختفت موسيقى ديبوسي. بمجرد اختفاء الموسيقى سمعت صراخًا. بدا كصوت غليڤر. كان صوته، لكنه لم يكن صوت توجع. كان صرخة عزم. صرخة غضب، بعثت فيه الشجاعة لاستخدام ذات السكين التي كان سيقطع فيها أوصاله لطعن ظهر الرجل الذي يشبه أباه تمامًا.

غُرست السكين بعمق.

مع تلك الصخرة، وذلك المشهد، حاولت التركيز في الغرفة. تمكنت من الوقوف قبل وصول إصبع جوناثان إلى المذياع الثاني. سحبته إلى الخلف من شعره. رأيت وجهه. تقاسيم وجهه تُعبر عن الألم بوضوح كما يفعل البشر. عيناه متفاجئتان لكنهما تتوسلان إلي. بدا أن الفم يتلاشى.

يتلاشى. يتلاشى. يتلاشى.

لـن أنظـر إلـى وجهـه مـرة أخـرى. لـن يمـوت وتلـك التكنولوجيـا بداخلـه. سـحبته إلـى الطبـاخ.

أمرت غليڤر: ارفعه. ارفع الغطاء.

- غطاء؟

- الطبق الساخن.

فعـل ذلـك. رفـع الفـولاذ الدائـري وشـغله. فعـل ذلـك دون أي اسـتفهام فـي عينيـه.

قلت له: ساعدني. إنه يقاوم. ساعدني بيده.

بتعاوننـا امتلكنـا قـوة تكفـي لضغـط يـده علـى المعـدن السـاخن. صمّـت صرختـه الآذان. أعلـم علـم اليقيـن فداحـة فعلـي، كأنـي أبصـرت نهايـة الكـون بـأم عينـي.

كنـت أرتكـب الجريمـة الكبـرى. دمـرت القـدرات، وقتلـت أحـد بنـي جنسـي.

بصـراخ قلـت لغليڤـر: يجـب أنْ نبقيـه هنـا. أمسـك! أمسـك! أمسـك!

ثم نقلت انتباهي إلى جوناثان.

همسـت لـه: أخبِرهـم أن الأمـر قـد انتهـى. أخبرهـم أنـك قـد أنجـزت مهمتـك. أخبرهـم أن هنـاك مشـكلة فـي قدراتـك ولـن تتمكـن مـن العـودة. أخبرهـم، وسـأوقف الألـم.

كذبة، مجازفة، لكنها ضرورية. أخبَرَهم، ومع ذلك استمر ألمه.

كم بقينا؟ ثواني؟ دقائق؟ كأنه لغز أينشتاين. الموقد الساخن في مواجهة موعد مع فتاة جميلة. في النهاية تقريبًا، ركع جوناثان، وكاد يفقد وعيه.

انهمرت الدموع على وجهي حين أبعدت يدي عن تلك اللزوجة. تحققت من نبضه؛ مات. اخترقت السكين صدره عندما سقط. نظرت إلى يده، ووجهه، وكان انفصاله عن القادة والحياة واضحًا.

الوضوح مآله إلى أنه كان يعود إلى حقيقته؛ إعادة التشكيل الخلوي التي تعقب الموت تلقائيًا. تغير شكله بالكامل، وتكور، وتسطح وجهه، وطالت جمجمته، وأصبحت بشرته مرقطة بدرجات اللون الأرجواني. ظلت السكين في مكانها. كان غريبًا. هذا المخلوق في المطبخ، حيث كنت من قبل، بدا غريبًا عليّ تمامًا.

مسخ. وحش. شيء آخر.

حدق غليڤر، لكنه لم يقل شيئًا. صدمته شديدة لدرجة أن التنفس كان تحديًا، ناهيك بالكلام.

لم أرغب في التحدث أيضًا، ولكن لأسباب عملية أكثر. في الواقع، كنت قلقًا من أنني ربما قد قلت الكثير بالفعل. ربما سمع المضيفون كل كلامي. لا أعرف. ما كنت أعرفه هو أنه كان لدي شيء آخر لأفعله.

لقد أخذوا قواك، لكنهم لم يأخذوا قواهم.

لكن قبل أن أتمكن من فعل أي شيء، توقفَت سيارة خارج المنزل. وصلت إيزوبِل.

غليفر، إنها أمك. أبعدها. حذرها.

غادر الغرفة. استدرت نحو المعدن الساخن، ووضعت يدي عليه، حيث لا يزال لحم جوناثان يذوب. وضعت يدي، فشعرت بألم لا يُحتمل؛ ألمٌ ألغى المكان والزمان والذنب.

طبيعة الواقعية

الحياة المتحضرة، كما تعلم، مبنية على عدد كبير من الأوهام التي نتعاون فيها جميعًا عن طيب خاطر. المشكلة هي أننا ننسى بعد مدة أنها أوهام ونشعر بصدمة عميقة هُدِم الواقع المحيط بنا.

– ج. ج. بالارد

ما هي الواقعية؟

حقيقة موضوعية؟ أم وهم جماعي؟ أم رأي الأغلبية؟

نتاج الفهم التاريخي؟ حلم؟ حلم. حسنًا، نعم، ربما. ولكن إذا كان هذا حلمًا، فهو حلم لم أستيقظ منه بعد.

ولكن ما إن يدرس البشر الأشياء بعمق -سواء في المجالات المنقسمة اصطناعيًّا لفيزياء الكم أم علم الأحياء أم العلوم العصبية أم الرياضيات أم الحب- سيقتربون أكثر فأكثر من الهراء واللا عقلانية والفوضى. كل ما يعرفونه يتم دحضه مرارًا وتكرارًا. الأرض ليست مسطحة، وليس للعَلقات قيمة طبيّة؛ والتقدم أسطورة؛ والحاضر هو كل ما يملكون.

وهذا لا يحدث فقط على نطاق واسع. يحدث للبشر فرادى أيضًا.

في كل حياة هناك لحظة. أزمة. شخص يقول: ما أومن به خطأ. يحدث ذلك للجميع، والفرق الوحيد هو كيف ستغيرهم تلك المعرفة. في معظم الحالات ستوءد تلك المعرفة وسيتظاهرون

بعدم وجودها. هكذا يكبر البشر. وزن هذا الإنكار والتوتر الناجم عنه هو ما يجعد وجوههم، ويُحني ظهورهم، ويقلص أفواههم وطموحاتهم. هذا لا يُميز البشر وحدهم. أكبر عمل شجاع أو مجنون يمكن لأي شخص القيام به هو الإقدام على التغيير.

كنت شيئًا، وأصبحت شيئًا آخرَ.

كنت وحشًا والآن أنا وحش من نوع مختلف. أحدهما سيموت ويشعر بالألم، لكنه سيعيش أيضًا، وربما سيجد السعادة يومًا؛ فالسعادة ممكنة بالنسبة إليّ الآن. إنها نقيض الضرَر.

غليڤر شاب، ولهذا تقبل الأمر على نحو أفضل من أمه. لم يكن لحياته معنى بالنسبة إليه، ولهذا فإن الإثبات النهائي على عبثيتها بعث في نفسه الراحة. كان قد فقد والده، وقتل، لكنه قتل شيئًا لا يعرفه وغير مألوف بالنسبة إليه. كان من الممكن أنْ يبكي على كلب نافق، لكن شخص ڤونادوزي لم يعنِ له شيئًا. بمناسبة موضوع الحزن، صحيح أن غليڤر كان قلقًا على أبيه، وأراد أنْ يعرف أنه لم يشعر بأي ألم. أخبرته بأنه لم يتألم. هل هذه حقيقتي؟ لا أعرف. اكتشفت أن هذا جزء من طبيعة البشر. اختيار الكذبة الأنسب لقولها، ووقت قولها. أنْ تحب شخصًا يعني أنْ تكذب عليه. لكني لم أره باكيًا على أبيه يومًا. أجهل السبب. لربما من الصعب الشعور بالأسى على شخص لم يكن له أثر فاعل في حياتك. على أي حال، ساعدني في سحب الجثة إلى الخارج بعد حلول الظلام. كان نيوتن مستيقظًا حينذاك. استيقظ بعد ذوبان تكنولوجيا جوناثان، وتقبل ما رآه؛ فالكلاب تتقبل وتعتاد كل شيء. بدأ يحفر الأرض فجأة، كأنه يحاول مساعدتنا، لكن هذا لم يكن مطلوبًا. لم يكن هناك حاجة إلى حفر قبر، لأن الوحش -وهكذا أشرت إليه في ذهني، الوحش- سيتحلل بسرعة في حالته الطبيعية في هذا الغلاف الجوي الغني بالأكسجين. عانينا كثيرًا في جره، بسبب يده المحترقة، وإعياء غليڤر. شكله كان مروعًا. أتذكر مشاهدته، وتحديقه فيّ بين أصابعه. كان وجهه مصعوقًا كالقمر.

لم يكن نيوتن وحده من يراقبنا.

شاهدتنا إيزوبِل بذهول. لم أردها أن تخرج لترانا، لكنها فعلت. في تلك المرحلة لم تحط علمًا بكل شيء؛ لم تعرف أن زوجها قد مات، أو أن الجثة التي سحبتها هي جثة شبيهي.

عرفت هذه الأمور بتدريج بطيء، ولكن ببطء ليس كافيًا. كانت ستحتاج إلى قرنين على الأقل لاستيعاب هذه الحقائق، وربما أكثر من ذلك. كان الأمر أشبه بأخذ شخص من فندق ريجنسي إنجلترا إلى القرن الحادي والعشرين في وسط مدينة طوكيو. لم تتقبل الأمر ببساطة. بعد كل شيء، هي مُؤرخة. وظيفتها إيجاد الأنماط والاستمرارية والدوافع، وتحويل الماضي إلى سرد له ذات المسار المنحني. لكن على هذا الطريق، ألقى شخص ما الآن شيئًا ما من السماء سقط بقوة لدرجة أنه كسر الأرض، وأمال الأرض، وجعل الطريق مستحيلًا للإبحار.

وهذا يعني أنها ذهبت إلى الطبيب وطلبت بعض أقراص الدواء. لم تساعدها الحبوب التي أعطيت لها وانتهى بها المطاف بالبقاء في السرير مدة ثلاثة أسابيع نتيجة الإرهاق، ثم رجح الطبيب أنها قد تكون مصابة بمرض يسمى ME. لم تصب به بلا شك. كانت حزينة. حزنٌ منبعه فقدانها زوجها، وواقعها المألوف.

كرهتني خلال تلك المدة الزمنية. شرحت لها كل شيء: لم أتخذ القرار في أي من هذا، وأني أرسلت إلى هنا على مضض بهدف وقف التقدم البشري والعمل من أجل الصالح العام للكون برمته فقط. لكنها لم تستطع النظر إلي؛ لأنها تجهل ما كانت تنظر إليه. كذبت عليها. عاشرتها. اهتمّت بجروحي. لكنها لم تكن

تعرف مع من كانت تنام. لا يهم أني أحببتها، وأن فعل التحدي الخالص هو الذي أنقذ حياتها وحياة غليڤر. لا يهم بتاتًا.

كنت قاتلًا، وكائنًا فضائيًا بالنسبة إليها.

شفيت يدي ببطء. ذهبت إلى المستشفى وأعطوني قفازًا بلاستيكيًا شفافًا لأرتديه، مليئًا بكريم مطهر. سألوني في المستشفى كيف حرقت يدي، فقلت لهم اتكأت على الموقد الساخن دون تفكير، ودون الشعور بالألم حتى فوات الأوان في أثناء ثمالتي. أصبحت الحروق بثورًا فقعَتها الممرضة، وشاهدت سائلًا شفافًا يتدفق.

وددت بأنانية في مرحلة ما أن تثير يدي المصابة شيئًا من تعاطف إيزوبِل معي. أردت رؤية عينيْها مرة أخرى، عينيها اللتين حدقتا في بقلق بعد أن هاجمني غليڤر في أثناء نومه.

استأنست بفكرة المحاولة لإقناعها بأن لا شيء مما قلته لها صحيحًا. أننا واقعية سحرية أكثر من كوننا خيالًا علميًا، وتحديدًا في ذلك الفرع من الخيال الأدبي الذي يسرده راوٍ غير موثوق به. أني لم أكن فضائيًا حقيقيًا. أني بشر مر بانهيار، ولا يوجد شيء خارج كوكب الأرض أو خارج نطاق الزواج يخصني. لعل غليڤر يعرف ما رآه، لكن تفكيره هش. كان بإمكاني إنكار كل شيء بسهولة. صحة الكلب تتذبذب، والناس يسقطون من فوق سقوف منازلهم وينجون. إذن، يريد البشر -خاصة البالغين- تصديق أكثر الحقائق الدنيوية الممكنة. إنهم بحاجة إليها لكبح آرائهم السائدة، وسلامة عقولهم من الغرق في محيط الجهل الواسع.

لكن الكذب خلق غير حميد، والأكاذيب في كل مكان على هذا الكوكب. وإذا أخبرك قائل بأنه كان مجرد حلم فسترغب في أنْ تقول له ببساطة أنه قد انتقل من وهم إلى آخر، ويمكنه الاستيقاظ من هذا الواقع الجديد في أي وقت.

كما تعلم، قبل المجيء إلى الأرض، لم أكن أرغب أبدًا في الاهتمام أو لم أحتج إليه، لكني أتعجب الآن من شعوري بالانتماء من خلال حب الآخرين لي.

لربما كنت أتوقع الكثير. لربما كان السماح لي بالبقاء معها في نفس المنزل أكثر مما أستحق، حتى لو اضطررت إلى النوم على تلك الأريكة الأرجوانية البشعة.

حسبت أن السبب الوحيد لمنحي الحب غليڤر. أرادني غليڤر أنْ أبقى. أنقذت حياته. ساعدته على الوقوف في وجه المتنمرين. لكن مسامحته لي تفاجئني.

لا تفهمني خطأ. لم يكن فيلم سينما باراديسو، لكن بدا أنه يتقبلني كشكل من أشكال الحياة خارج كوكب الأرض بسهولة أكبر بكثير مما تقبلني كأب له.

سألني: «من أين أنت؟»، صباح أحد أيام السبت، عند السابعة إلا خمس دقائق، قبل استيقاظ أمه.

« من مكان بعيد، بعيد، بعيد، بعيد، بعيد، بعيد، بعيد، بعيد».

ما بعد بعيد؟

قلت له: «من الصعب جدًا شرح ذلك. أعني، أنت تعتقد أن فرنسا بعيدة»

قال: «فقط حاول».

لاحظت وعاء الفاكهة. ذهبت البارحة إلى المتجر لشراء طعام صحي أوصى به الطبيب لإيزوبل. موز، وبرتقال، وعنب، وجريب فروت.

«حسنًا»، أمسكت بالجريب فروت الكبيرة. «هذه هي الشمس».

وضعت الجريب فروت على طاولة القهوة، ثم بحثت عن أصغر حبة عنب يمكنني العثور عليها. وضعتها في الطرف الآخر من الطاولة.

«هذه هي الأرض، صغيرة جدًّا مقارنة بما تراه»

اقترب نيوتن من الطاولة، محاولاً بوضوح الفتك بالأرض بفكيه. قلت: «لا يا نيوتن! دعني أنهي كلامي».

تراجع نيوتن، وذيله بين ساقيه.

عبس غليفر في أثناء دراسته للجريب فروت وحبة العنب الصغيرة الهشة. نظر حوله. «إذن أين كوكبك؟»

اعتقد أنني سأضع البرتقالة التي في يدي في مكان آخر في الغرفة. عند التلفاز، أو على أحد أرفف الكتب، أو ربما، في الطابق العلوي.

«للدقة، علينا وضع هذه البرتقالة على طاولة قهوة في نيوزيلندا».

سكت برهة، محاولاً فهم مستوى البُعد الذي تكلمت عنه. بانتشاء سألني: «هل يمكنني الذهاب إلى هناك؟»

«لا. مستحيل».

«لماذا؟ لا بد من وجود سفينة فضائية».

هززت رأسي نافيًا. «لا. لم أسافر. لعلي وصلت إلى الأرض لكني لم أسافر إليها».

كان مرتبكًا، لذلك شرحت، لكن تفكيره تشوش أكثر.

«على أي حال، المهم هو أنه لم يعد لدي فرصة لعبور الكون. مثلي مثل أي إنسان آخر. هذا ما أنا عليه الآن، وهذا هو المكان الذي يجب أن أبقى فيه.»

«لقد تخليت عن الكون من أجل حياة على الأريكة؟»

«لم أكن أدرك ذلك حينها».

نزلت إيزوبِل إلى الطابق السفلي. كانت ترتدي منامة بيضاء اللون، وشاحبة البشرة، لكن شحوبها دائم في الصباح. نظرت إليّ وإلى غليڤر ونحن نتكلم، ولحظة بدت كأنها ترحب بالمشهد بمحبة نادرة. لكن سرعان ما تلاشى هذا الشعور بعد أنْ تذكرت كل شيء.

سألت: «ماذا يحدث؟»، فأجابها غليڤر: «لا شيء».

سألت وأثر النوم موجود في صوتها الهادئ: «ماذا تفعلان بالفاكهة؟»

«كنت أشرح لغليڤر من أين جئت. ما مدى كلمة بعيد.

«هل جئت من الجريب فروت؟»

«لا. الجريب فروت هو الشمس. شمسك. شمسنا. لقد عشت على البرتقالة. التي يجب أن تكون في نيوزيلندا. الأرض الآن في معدة نيوتن».

ابتسمت لها. اعتقدت أنها قد تجد هذا مضحكًا، لكنها حدقت في وجهي بالطريقة التي كانت تحدق بها في وجهي لأسابيع. كأني على بعد سنوات ضوئية منها.

غادَرت الغرفة

قلت: «غليفر، أعتقد أنه من الأفضل أن أغادر. ما كان يجب أن أبقى، حقًا. كما ترى، هذا ليس فقط حول كل هذه الأشياء. أتذكر ذلك الجدال الذي كان بيني وبين والدتك؟ الذي لم تعرف تفاصيله قط؟»

«أجل»

«لم أخلص لها. مارست الجنس مع امرأة تدعى ماغي. إحدى طالباتي؛ طالبات والدك. لم أستمتع، لكن لا يهم. لم أكن أدرك أنه سيؤذي والدتك. لم أكن أعرف قواعد الإخلاص الدقيقة، لكن هذا ليس عذرًا حقًا، أو لا يمكنني استخدامه، حين كنت أكذب عمدًا بشأن العديد من الأشياء الأخرى. عندما كنت أُعرض حياتها وحياتك للخطر. تنهدت، ثم قلت: «أعتقد، أعتقد أني سأغادر».

«لماذا؟»

جذبني هذا السؤال، ووصل إلى معدتي.

«أعتقد أن هذا من صالح الجميع، الآن»

«إلى أين ستذهب؟»

«لا أعرف بعد. لكن لا تقلق، سأخبرك عندما أصل إلى أي مكان»

عادت والدته إلى مدخل المنزل.

قلت لها: «سأغادر».

أغمضت عينيها. تنفست بعمق. قالت بالفم الذي قبلته يومًا: «أجل ربما من الأفضل أنْ تغادر». تغضن وجهها كله، كما لو أن جلدها هو المشاعر التي أرادت سحقها والتخلص منها.

شعرت بوجود شيء دافئ ولطيف في عيني. رؤيتي غير واضحة. ثم سال شيء ما على وجنتي، وصولًا إلى شفتيّ. سائل كالمطر، لكنه أكثر دفئًا. محلول ملحي.

ذرفت دمعة.

صعدت إلى العلية قبل المغادرة. الغرفة مظلمة، باستثناء شاشة الحاسوب. كان غليفر مستلقيًا على سريره، يحدق في النافذة.

«لست أباك يا غليفر. ليس لدي الحق في أن أكون هنا»

«أعرف» تأملت إسوارة معصمه، العداء يشعشع في عينيّه كزجاج مهشّم.

«أعرف أنك لست أبي، لكنك مثله تمامًا. لا مبالٍ. خنت أمي. خانها هو أيضًا كما تعلم»

«اسمع يا غليفر، أنا لا أحاول التخلي عنك، أنا أحاول إعادة والدتك، مفهوم؟ إنها تائهة بعض الشيء، ووجودي هنا لا يساعدها»

«فشلت فشلًا ذريعًا. أشعر بالوحدة تمامًا»

أشرقت الشمس فجأة عبر النافذة، غافلة عن مزاجنا. «الوحدة يا غليفر، حقيقة كونية مثل الهيدروجين».

تنهد تنهيدة يتنهدها شخص أكبر سنًّا منه. «كل ما هنالك أني لا أشعر بأني مناسب؛ مناسب للحياة. أعني، الناس في المدرسة، كثير من أهاليهم منفصلون، لكن يبدو أن لديهم علاقة جيدة مع آبائهم. والجميع يتساءلون ما العذر الذي لدي لأكون مختلفًا عنهم؟ ما الخطأ في حياتي؟ أعيش في منزل جميل مع والدين لم ينفصلا عن بعضهما. ما العلة في حياتي؟ كلام فارغ. لم يحب أمي وأبي أحدهما الآخر، حسب ذاكرتي على أي حال.

ماما تغيرت بعد انهياره النفسي –أعني، بعد مجيئك– لكن ذلك وهم من أوهامها. أقصد، لست من اعتقدت. كان حثالة. صدقًا، لا يمكنني تذكر نصيحة واحدة أسداها لي. باستثناء ألا أصبح معماريًا؛ لأن المعماريين ينالون التقدير بعد مئة عام».

«اسمع، لست بحاجة إلى إرشاد يا غليڤر. كل ما تحتاج إليه موجود في رأسك. تعرف عن الكون ما لا يعرفه آخر على كوكبك». أشرت إلى النافذة. «شاهدت ماذا يوجد في الخارج، أعترف لك أنك قد برهنت قوتك»

حدق خارج النافذة مرة أخرى. «ما شكل عالمك؟»

«شديد الاختلاف. كل شيء مختلف»

«لكن كيف؟»

«مجرد وجودك فيه مختلف. لا أحد يموت. لا أوجاع. كل شيء جميل. الدين الوحيد هو الرياضيات. لا توجد أسر. هناك قادة يعطون إرشادات. تطور الرياضيات والأمن هما حاجتانا الوحيدتان. لا حقد ولا ضغينة. لا آباء ولا بنون. لا حد يفصل بين البيولوجيا والتكنولوجيا، وكل شيء بنفسجي اللون»

«يبدو رائعًا»

«إنه باهت. أبهت حياة يمكنك تخيلها. هنا، لديك أوجاع وفقد وهذا هو الثمن. لكن النتائج يمكن أنْ تكون رائعة يا غليڤر»

نظر إلي؛ دون تصديق. «أجل، حسنًا، ليس لدي أي دليل عن كيفية العثور عليهم»

رن الهاتف. أجابت إيزوبِل. بعد لحظات، هاتفت العلية»

«غليڤر. المكالمة لك. فتاة اسمها نات»

لاحظت ابتسامته المواربة. ابتسامة حرج حاول إخفاءها بادعاء عدم الرضا في أثناء مغادرة الغرفة.

جلست وتنفست، برئتيْن ستتوقفان يومًا ما عن أداء دورهما، لكن ما زال فيهما هواء دافئ نقي لتنفسه. ثم التفت إلى حاسوب غليفر البدائي وبدأت أطبع أكبر قدر من النصائح التي أعتقد أنها ستعين البشر.

نصائح للإنسان

1. الشعور بالعار قيْد؛ فحرر نفسك منه.
2. لا تقلقنك مخاوفك؛ يكفيك أنك قادر على أنْ تحب.
3. تلطف مع الناس؛ لا فضل لأحد على أحد على المستوى الكوني.
4. البشر هم من سينقذون البشرية، لا التطور التقني.
5. اضحك؛ فالضحك يليق بك.
6. كن فضوليًّا. استفسر عن كل شيء. الحقيقة في الزمن الحالي مجرد خيال في المستقبل.
7. لا بأس في التهكم، لكن التأثر والحنو أفضل منه.
8. النبيذ الأبيض يلائم زبدة الفول السوداني. لا تسمح لأحد بأنْ يخبرك بالعكس.
9. عليك أنْ تنسى نفسك وتصبح شيئًا آخر لتتصرف على طبيعتك فيما بعد. شخصيتك مُتغيرة
10. التاريخ فرع من فروع الرياضيات، وكذلك الأدب. أما الاقتصاد فهو فرع من فروع الدين.
11. الجنس قد يفسد المحبة، لكن المحبة لن تفسده.
12. الأخبار يجب أن تبدأ بالرياضيات، ثم الشعر، فباقي الموضوعات.
13. كان يمكن ألا تولد. وجودك أقرب إلى المستحيل. رفضك للمستحيل هو رفض لنفسك.

14. في حياتك 25,000 يوم، فاحرص على تذكر بعضها بسعادة.
15. التكبر هو الطريق إلى التعاسة، والعكس صحيح.
16. المأساة محض ملهاة لم تتضج بعد. اليوم سنضحك على شيء، وفي يوم ما سنضحك على كل شيء.
17. ارتدِ ثيابك طبعًا، لكن تذكر أنها مجرد ثياب [لن تُحدد قيمتك].
18. الحياة التي تكون الذهب، هي حياة أخرى ستكون عبوات الصفيح.
19. اقرأ الشعر؛ خاصة قصائد إيميلي ديكنسون. قد تنقذ حياتك. آن ساكستون تعرف التفكير، ووالت وايتمان يعرف العشب، أما إيميلي ديكنسون فتعرف كل شيء.
20. إذا أصبحت معماريًا، فتذكر هذا: المربع والمستطيل جميلان، ويمكنك الإفراط في استخدامهما.
21. لا ترهق نفسك بالذهاب إلى الفضاء ما لم تغادر النظام الشمسي. اذهب بعدها إلى «زابي».
22. غضبك مهلكة إذا عجزت عن كظمه؛ لأنه سيستهلك طاقتك.
23. السعادة ليست في الخارج، بل داخلك.
24. التقنية الحديثة على الأرض تعني أنك ستضحك عليها بعد خمسة أعوام. قدر الأشياء التي لن تضحك عليها بعد خمسة أعوام: كالحب، أو قصيدة جيدة، أو أغنية، أو السماء.
25. هناك نوع واحد من الخيال، واسمه «كتاب».
26. لا تبتعد كثيرًا عن المذياع، فقد ينقذ حياتك.

27. الكلاب شديدة الوفاء، وهذا النوع من النبوغ محمود.

28. يجب أنْ تكتب أمك رواية. شجعها.

29. إذا كان هناك غروب، فتوقف وتأمله. المعرفة تنتهي، والدهشة لا تنتهي.

30. لا تصبو نحو الكمال. التطور والحياة عشوائيان.

31. الفشل حيلة من حيل النور.

32. أنت بشري وسيهمك المال، لكن تذكر أنه لن يسعدك؛ لأن السعادة ليست للبيع.

33. لست أذكى مخلوق في الكون، ولست أذكى مخلوق على كوكبك. اللغة النغمية في أغنية الحوت الأحدب أكثر تعقيدًا من جُملة أعمال شكسبير. ليست منافسة؛ لا، بل هي منافسة. لا تشغل نفسك بهذا الموضوع!

34. أغنية ديفيد بُوي (Space Oddity) لا تكلمك عن الفضاء، لكن أنماطها الموسيقية محببة للأسماع.

35. إذا نظرت إلى السماء في ليلة صافية، ورأيت آلاف النجوم والكواكب، تذكر أن القليل يحدث فيها. الأمور الأهم تحدث في نطاق أبعد.

36. سيعيش البشر يومًا ما على كوكب المريخ، لكن لن يحدث شيء أكثر إثارة من ليلة واحدة على كوكب الأرض.

37. لا تحاول أنْ تكون هادئًا. كل الكون بارد. الحرارة هي التي تمدد المادة.

38. كان والت وايتمان محقًّا بشأن شيء واحد على الأقل؛ ستناقض نفسك. أنت ضخم، وفيك عوالم متعددة.

39. لا أحد على حق تمامًا. في أي مكان.
40. كل شخص عبارة عن ملهاة. يضحك الناس عليك، وفي الواقع هم يضحكون على أنفسهم.
41. عقلك مُتَفتح، فلا تسمح له بالانغلاق.
42. في غضون ألف عام -إذا نجت البشرية- فإن كل ما تعرفه سيُنقض، ويُستبدل به أساطير أكبر.
43. كل شيء يهم.
44. تملك قوة إيقاف الوقت؛ من خلال التقبيل، أو الإصغاء إلى الموسيقى. الموسيقى بالمناسبة، سبيلك لرؤية ما لا يمكنك رؤيته إلا عبرها. إنها أكثر شيء متطور تملكه. قوى عظمى. استمر في العزف على غيتار الباس. أنت ماهر. انضم إلى فرقة.
45. صديقي آري كان أحد حكماء البشر. اقرأ ما كتبه.
46. مفارقة؛ الأشياء التي لا تحتاج إليها لتعيش -الكتب والفن والسينما والنبيذ إلخ- هي الأشياء التي تحتاج إليها لتعيش.
47. البقرة هي البقرة مهما غيروا اسمها.
48. لا يوجد خُلقان متطابقان. تقبل أشكالًا مختلفة، طالما أنها ليست بالحدة التي تجرحك.
49. لا تخف من أي شخص. لقد قتلت منفّذ اغتيالات فضائي أُرسل من الجانب الآخر من الكون بسكين تقطيع الخبز. أضف إلى هذا، لكمتك قوية جدًّا.
50. في مرحلة ما، ستحدث أمور سيئة، ليكن لديك من يؤازرك.
51. الكحول في المساء شديدة جدًّا. الثمالة في المساء غير محبذة. في مرحلة زمنية معينة، ستُجبر على الاختيار، في المساء أو الصباح.

52. إذا ضحكت، تأكد من أنك لا تريد البكاء حقيقة، والعكس صحيح.

53. لا تخش أبدًا من إخبار الآخرين عن حبك لهم. هنالك أشياء خاطئة في عالمك، لكن الإفراط في الحب ليس من بينها.

54. تلك الفتاة التي هاتفتك لن تكون آخر فتاة، لكني أتمنى أنها لطيفة.

55. البشر ليسوا وحدهم من يملكون التكنولوجيا على الأرض. انظر إلى النمل. انظر إليه حقيقةً. ما يفعله بالأفانين والأوراق يسلب الألباب.

56. أمك قد أحبت أباك. حتى لو ادعت أنها لم تحبه.

57. هنالك الكثير من الحمقى من بني البشر. عددهم لا يحصى، لكنك لست منهم. تمسك برأيك مهما هاجمك الآخرون.

58. عمق الحياة هو المهم؛ لا طولها. لكن إذا حفرت حفرة، فحافظ على وجود الشمس فوقك.

59. الأرقام جميلة. الأرقام الأولية جميلة. افهم هذا.

60. أطع عقلك. أطع قلبك. أطع حدسك. أطع كل شيء باستثناء الأوامر.

61. إذا تبوأت منصبًا في يوم ما، فقل للناس هذا: قدرتك على فعل شيء ما لا تعني أنك مجبر على فعله. هناك قوة وجمال في الفرضيات غير المثبتة، والشفاه التي لم تُقبل، والزهور التي لم تُقطف.

62. جادل وناقش من يعارضونك.

63. ليست تقنية؛ بل منهجًا. ليست كلمات، بل لحنًا.

64. ابق على قيد الحياة. هذا واجبك الأسمى تجاه العالم.
65. لا تعتقد أنك تعرف. اعرف أنك تفكر.
66. عندما يتشكل الثقب الأسود فإنه يولد انفجارًا هائلًا لأشعة جاما، تملأ مجرات برمتها بضوء يُسبب العمى ويدمر ملايين العوالم. قد تموت في أي لحظة. هذه. أو تلك. فاحرص على فعل ما يسعدك قبل أن تموت.
67. الحرب إجابة عن سؤال خاطئ.
68. الانجذاب الجسدي انجذاب غريزي بالضرورة.
69. آمن آري بأننا جميعًا محاكاة. المادة وهم. كل شيء مصنع. قد يكون محقًا، لكن ماذا عن المشاعر؟
70. المشكلة فيهم وليست فيك.
71. نزه نيوتن كلما استطعت. إنه يحب الخروج من المنزل، وهو كلب رائع.
72. أغلب الناس لا يتدبرون الحياة، ويفكرون فقط باحتياجاتهم ورغباتهم. لا تكن منهم. احذر.
73. لن يفهمك أحد، والفهم ليس مهمًا. المهم هو أنك تفهم ذاتك.
74. الكوارك أو الركين ليس أصغر جُسيم. أمنيتك الأخيرة على سرير الموت هي أصغر شيء.
75. التهذيب خوف على الأغلب. اللطف شجاعة، لكن الرحمة هي التي تجعلك إنسانًا. تعاطف مع الآخرين أكثر، وكن أكثر إنسانية.
76. في عقلك الباطن، غير كل يوم من أيام الأسبوع إلى يوم سبت، وغير كل كلمة «عمل» إلى «لهو».

77. إذا شاهدت الأخبار، وشاهدت أشخاصًا من بني جنسك في صعاب، فلا تحسب أنك عاجز عن فعل شيء لمساعدتهم. لكن تأكد أن مساعدتهم ليست بمشاهدة الأخبار.

78. تستيقظ من نومك. ترتدي ثيابك، ثم ترتدي شخصيك، فاخترها بدقة.

79. ليوناردو دافنشي ليس منكم؛ بل منا.

80. اللغة تلطيف لغوي. الحب حقيقة.

81. لن تجد السعادة بالبحث عن معنى الحياة. المعنى يحتل المرتبة الثالثة بعد المحبة والكينونة.

82. إذا وجدت شيئًا قبيحًا، فأمعن فيه. القبح ليس إلا فشلك في الرؤية.

83. الوعاء الذي يُراقب لن يغلي. هذا كل ما تحتاج إلى معرفته عن فيزياء الكم.

84. أنت أكثر من مجموعة جزيئات تكونك، رغم عددها الكبير.

85. العصور المظلمة قد انتهت، لكن لا تخبر والدتك.

86. تفضيلك لشيء إهانة له؛ إما أن تحبه وإما أن تكرهه. كن عاطفيًّا. الحضارة تتطور، وكذلك اللا مبالاة. إنها مرض. اعصم نفسك منها بالفن والحب.

87. المادة المعتمة مطلوبة لربط المجرات ببعضها. عقلك مجرة. ظلمة أكثر من النور، لكن هذا النور يمنحه قيمته.

88. أي، لا تقتل نفسك، حتى لو كانت الظلمة كلية. اعلم أن الحياة لا تستقر على حال. الزمن هو المساحة. أنت تتحرك باتجاه تلك المجرة. انتظر النجوم.

89. كل شيء معقد عند المستوى دون الذري. لكنك لا تعش فيه. لديك الحق في تبسيطه. ستصاب بالجنون إن لم تفعل.

90. اعلم أن الرجال ليسوا من المريخ، والنساء لسن من كوكب زهرة. لا تنجرف وراء التصنيفات. كل شخص هو كل شيء. كل مكون داخلك، وكل شخصية عاشت فيك تتنافس في مسرح عقلك على دور البطولة.

91. أنت محظوظ لكونك عل قيْد الحياة. خذ شهيقًا وتنفس أعاجيب الحياة. لا تُسلم جدَلًا بوجود أي شيء ولو كان بتلة وردة.

92. إذا كان لديك أبناء، فحذار من أنْ تحب أحدهم أكثر من الآخرين. سيشعرون حتى لو كان. حبك لأحدهم أقل بمقدار ذرة. ذرة واحدة هي كل ما تحتاج إليه لصنع انفجار كبير.

93. المدرسة مزحة، لكن حاول التوافق معها، لأنك كنت قد أوشكت أن تفهم معناها.

94. ليس من المفترض أنْ تكون أكاديميًا. ليس من المفترض أنْ تكون أي شيء. لا إجبار. تلمس طريقك، ولا تتوقف عن فعل ذلك حتى تجد ما يلائمك. ربما لن يلائمك شيء. ربما أنت طريق، لا مقصد. لا بأس. كنت طريقًا. لكن احرص على أنْ يكون لديك من تنظر إليه خارج النافذة.

95. عامل أمك بلطف، وحاول إسعادها.

96. أنت إنسان طيب يا غليڤر مارتن.

97. أنا أحبك. تذكر هذا.

عناق سريع

حزمتُ حقيبة ممتلئة بثياب أندرو مارتن، ثم غادرت.

إيزوبِل: «إلى أين ستذهب؟»

- لا أعرف. سأجد مكانًا. لا تقلقي.

بدا أنها كانت ستقلق. تعانقنا. اشتقت إلى سماع ترنمها بموسيقى فيلم سينما براديسو، وكلامها عن ألفريد الأكبر، وإعداد شطيرة أو سكب المطهر على القطن. اشتقت إلى أنْ تشاركني قلقها من شؤون العمل أو على غليڤر. لكنها لم تفعل. لم تستطع.

انتهى العناق. نيوتن إلى جانبها، نظر إليَّ بعينين كئيبتيْن.

ودعتهما.

ومشيت على الحصى، نحو الطريق وفي مكان ما في كون روحي انهار نجم ناري يمنح الحياة، وبدأ ثقب حالك السواد في التكون.

محافظتك على إنسانيتك قد تكون أصعب فعل.

(مايكل فرانتي)

المميز في الثقوب السوداء، بالطبع، هو أنها أنيقة جدًّا ومرتبة. لا فوضى داخل ثقب أسود. تُضغط كل الأشياء المضطربة فيها، كل تلك المادة المتساقطة والإشعاع، إلى أصغر حالة يمكن أن تكون. حالة يمكن أن تسمى بسهولة «عدم».

بعبارة أخرى، تمنح الثقوب السوداء الوضوح. تفقد دفء ونار النجم، لكنك تكتسب النظام والسلام. التركيز الكلي.

هذا يعني أني كنت أعرف ماذا أفعل.

سأبقى مثل أندرو مارتن. هذا ما أرادته إيزوبِل. كما تعلم، أرادت أقل ضجة ممكنة. لم ترغب في فضيحة أو تحقيق عن شخص مفقود أو جنازة. لذلك، عند القيام بما اعتقدت أنه الأفضل، تركت المنزل، واستأجرت شقة صغيرة في كمبردج مدة من الزمن، ثم تقدمت بطلب للحصول على وظائف في أماكن أخرى من العالم.

في النهاية، حصلت على وظيفة تدريس في أمريكا، في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا. بمجرد وصولي إلى هناك، فعلت ما يجب فعله مع التأكد من أني لم أفعل أي شيء لتعزيز أي فهم للحساب من شأنه أن يؤدي إلى قفزة في التقدم التكنولوجي.

في الواقع، كان لدي ملصق على جدار مكتبي عليه صورة لألبرت أينشتاين، وأحد تصريحاته الشهيرة: «التقدم التكنولوجي كالفأس في يد حيوان مريض».

لم أذكر أي شيء عن دليل على فرضية ريمان، باستثناء إقناع أقراني باستحالتها التامة. دافعي الرئيس للقيام بذلك هو التأكد من عدم حاجة أي ڤونادوري إلى زيارة الأرض. لكن كان أينشتاين على حق؛ لم يُجِد البشر التعامل مع التقدم ولم أرغب في رؤية دمار أكثر مما هو موجود على هذا الكوكب أو بسببه.

عشت وحيدًا؛ في شقة لطيفة في (بالو ألتو) ملأتها بالنباتات.

شربت، فثملت، وهويت تحت الحضيض

رسمت، وأكلت وجبات الإفطار بزبدة الفول السوداني، وذهبت مرة إلى السينما لمشاهدة ثلاثة أفلام [للمخرج فيليني] على التوالي.

أصبت بنزلة برد، وبطنين الأذن وتسممت من تناول الجمبري. اشتريت لنفسي مجسم كرة أرضية، وجلست في كثير من الأحيان وأنا أديرها. شعرت باللون الأزرق مع الحزن، والأحمر مع الغضب والأخضر مع الحسد.

نزهت كلب سيدة مسنة شقتها فوق شقتي، لكن الكلب لم يكن قط مثل نيوتن. تكلمت عن الشمبانيا الدافئة في المهام الأكاديمية الخانقة. صرخت في الغابات لأسمع صدى صوتي فقط، وكل ليلة كنت أعود وأعيد قراءة إميلي ديكنسون.

كنت وحيدًا، لكني في نفس الوقت قدرت البشر الآخرين أكثر مما قدروا أنفسهم بقليل. بعد كل شيء، علمت أنه يمكنك السفر

سنوات ضوئية دون أنْ تصادف أيًّا منهم. في أثناء جلوسي في إحدى المكتبات الواسعة في الحرم الجامعي، بكيت لمجرد النظر إليهم.

استيقظت أحيانًا في الثالثة صباحًا وأنا أبكي دون سبب محدد. في أوقات أخرى كنت أجلس على الكرسي القماشي (بين باغ) الخاص بي وأحدق في الفضاء، أشاهد ذرات غبار عالقة في ضوء الشمس.

تجنبت تكوين صداقات. كنت أعلم أنه مع تقدم الصداقات، ستصبح الأسئلة أكثر فضولًا، ولم أرغب في الكذب على الناس. كان الناس يسألون عن ماضي، ومن أين أتيت، وطفولتي. في بعض الأحيان، كان كل طالب أو زميل محاضر ينظر إلى يدي، إلى الجلد الندبي والأرجواني، لكنهم لم يتطفلوا قط.

كانت جامعة ستانفورد مكانًا سعيدًا. جميع الطلاب يبتسمون، ويرتدون السترات الصوفية الحمراء، بشراتهم مُسمرة من أثر الشمس، ويتمتعون بصحة جيدة مقارنة بمن أمضوا أيامهم كلها أمام شاشات الحاسوب. مشيت كشبح في تلك الساحة الصاخبة، تنفست ذلك الهواء الدافئ، وحاولت ألا أشعر بالرعب من حجم الطموح البشري المحيط بي.

شربت الكثير من النبيذ الأبيض، ما جعلني نادرًا. يبدو أن لا أحد يثمل في هذا المكان. أيضًا، لم أحب الزبادي المُجمد – مشكلة كبيرة، يأكله الجميع هنا.

اشتريت لنفسي موسيقى. ديبوسي، إنيو موريكوني، ذا بيتش بويز، ألغرين. شاهدت فيلم سينما باراديسو. كانت هناك أغنية

لفرقة توكنغ هيدز، بعنوان: «This Must Be the Place» [لا بد أن هذا هو المكان]، التي سمعتها مرارًا وتكرارًا، على الرغم من أن القيام بذلك زاد حزني وجعلني أتوق إلى سماع صوتها مرة أخرى، أو سماع خطى غليڤر على الدرج.

قرأت الكثير من الشعر أيضًا، على الرغم من أن ذلك كثيرًا ما كان له تأثير مماثل. ذات يوم كنت في مكتبة الجامعة ورأيت نسخة من المظلمة من تأليف: إيزوبِل مارتن. وقفت هناك أفضل نصف ساعة قرأت فيها كلماتها بصوت عالٍ. كنت أقول، وأنا أقرأ الصفحة قبل الأخيرة، «لقد دمرها الفايكنج حديثًا، وكانت إنجلترا في حالة تعيسة، فردت بمذبحة وحشية للمستوطنين الدنماركيين في عام 1002. على مدى العقد التالي، ولدت هذه الاضطرابات عنفًا أكبر مع شروع الدنماركيين في سلسلة من الأعمال الانتقامية، وبلغت ذروتها في الحكم الدنماركي لإنجلترا عام 1013». ضغطت الصفحة على وجهي، متخيلًا أنها بشرتها.

سافرت بداعي العمل. ذهبت إلى: باريس، وبوسطن، وروما، وساو باولو، وبرلين، ومدريد، وطوكيو. أردت أن أملأ ذهني بوجوه بشرية، من أجل نسيان إيزوبِل. لكن كان لها تأثير معاكس. من خلال دراسة الجنس البشري كله، شعرت بميْلٍ أكثر تجاهها تحديدًا. فكرت في السحاب، وأنا متعطش لقطرة المطر.

أوقفت رحلاتي وعدت إلى ستانفورد، وجربت تكتيكًا مختلفًا. حاولت الانغماس في الطبيعة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أصبح أبرز ما في يومي هو المساء، عند ركوب سيارتي والخروج من المدينة. توجهت على الأغلب إلى جبال سانتا كروز. كان هناك مكان يسمى حديقة Big Basin Redwoods State. كنت أركن سيارتي وأتجول، أحدق في الأشجار العملاقة بدهشة، وأكتشف الطائر أبا زريق ونقار الخشب والسنجاب والراكون، وأحيانًا غزال أسود الذيل. في بعض الأحيان، إذا كنت مبكرًا بما فيه الكفاية، سرت في المسار شديد الانحدار بالقرب من شلالات بيري كريك، مستمعًا إلى اندفاع الماء الذي كثيرًا ما ينضم إليه نعيق ضفادع الأشجار الخفيض.

في أوقات أخرى قدت سيارتي على طول الطريق السريع الأول، وذهبت إلى الشاطئ لمشاهدة غروب الشمس. الغروب جميل هنا. سلب لُبي. في الماضي لم يعنِ لي شيئًا. فغروب الشمس ليس إلا تباطؤ الضوء. عند غروب الشمس، يكون هناك المزيد لتجاوزه، ويتناثر بقطرات السحب وجزيئات الهواء. لكن منذ أن أصبحت إنسانًا، بدأت ألوانه تُذهلني؛ أحمر، وبرتقالي، ووردي. في بعض الأحيان تكون هناك آثار مؤلمة للبنفسجي أيضًا.

كنت أجلس على الشاطئ، حيث تكسرت الأمواج وتراجعت فوق الرمال المتلألئة مثل الأحلام الضائعة. كل تلك الجزيئات الغافلة، تتّحد معًا، تخلق شيئًا من العجب غير المحتمل.

الدموع شوشت هذه المشاهد على الأغلب. شعرت بالحزن الجميل لكوني إنسانًا، مأخوذٌ تمامًا بغروب الشمس. لأنه، كما هو الحال مع غروب الشمس، أن تكون إنسانًا يعني أنْ تكون بين البيْنين؛ يوم، مليء بالألوان الكئيبة وهو يتجه بشكل لا رجعة فيه نحو الليل.

ذات ليلة بقيت جالسًا على الشاطئ عند حلول المساء. سارت امرأة في الأربعينيات، حافية القدميْن، مع كلبها وابنها المراهق. على الرغم من اختلاف شكل هذه المرأة عن إيزوبِل، وعلى الرغم من أن الابن كان أشقر، إلا أن المشهد تسبب في تلبك معدتي وارتخاء جيوبي الأنفية.

أدركت أن ستة آلاف ميل يمكن أن تكون مسافة طويلة بلا حدود.

قلت لحذائي: «أنا إنسان».

كنت أعني ذلك. لم أفقد قدراتي فحسب، بل كنت عاطفيًّا ضعيفًا مثلهم. فكرت في إيزوبِل، جالسة وتقرأ عن ألفريد العظيم، أو أوروبا الكارولنجية، أو مكتبة الإسكندرية القديمة.

أدركت أن هذا الكوكب جميل. ربما كان الأجمل على الإطلاق. لكن الجمال يخلق مشكلاته الخاصة. تنظر إلى شلال أو محيط أو غروب الشمس وتجد نفسك ترغب في مشاركته مع شخص ما.

قالت إميلي ديكنسون: «ليس للجمال سبب».

كانت مخطئة بطريقة ما؛ ينتج عن تشتت الضوء على مسافة طويلة غروب الشمس. يتسبب المد والجزر في تحطم موجات المحيط على الشاطئ، التي هي نفسها نتيجة لقوى الجاذبية التي تمارسها الشمس والقمر ودوران الأرض. هذه أسباب.

يكمن اللغز في كيف تصبح هذه الأشياء جميلة.

لم تكن جميلة، بالنسبة إليّ على الأقل. لتجربة الجمال على الأرض، كنت بحاجة إلى تجربة الألم ومعرفة الوفيات. هذا هو السبب في أن الكثير مما هو جميل على هذا الكوكب له علاقة بمرور الوقت وتحول الأرض. وهو ما قد يفسر أيضًا سبب النظر إلى مثل هذا الجمال الطبيعي هو الشعور بالحزن والرغبة في حياة لم تُعش.

كان هذا! النوع من الحزن الذي شعرت به في تلك الأماسي.

جاء بجاذبيته الخاصة، وجذبني شرقًا نحو إنجلترا. قلت لنفسي إني أريد رؤيتهما مرة أخرى، للمرة الأخيرة. أردت فقط أن أراهما من مسافة بعيدة، لأرى بأم عيني أنهما بأمان.

وبالمصادفة البحتة، بعد نحو أسبوعين دُعيت إلى كمبردج للمشاركة في مجموعة محاضرات تناقش العلاقة بين الرياضيات والتكنولوجيا. أخبرني رئيس القسم، وهو زميل مرن ومرح يُدعى كريستوس، أنه يعتقد أنني يجب أن أذهب.

قلت: «حاضر يا كريستوس». بينما كنا نقف على أرضية ممر مصنوعة من خشب الصنوبر المصقول. «أعتقد أني قد أفعل».

بقيت في سكن الطلاب في كوربوس كريستي، من بين كل الأماكن، وحاولت أن أبقى بعيدًا عن الأنظار. نمت لي لحية، واكتسبت سُمرة بفعل الشمس، وقليلًا من الوزن، لذلك لم يتعرف إلي أغلب الناس.

قدمت محاضرتي.

إلى عدد غير قليل من المتهكمين، أخبرت زملائي الأكاديميين أنني اعتقدت أن الرياضيات منطقة شديدة الوعورة، وأن البشر قد استكشفوها بالكامل قدر الإمكان. أخبرتهم أن التقدم أكثر يعني التوجه نحو بقعة معزولة محفوفة بالمخاطر.

من بين الحضور امرأة جميلة ذات شعر أحمر تعرفت عليها على الفور. جاءتني بعد المحاضرة وسألتني إن كنت أرغب في الذهاب إلى (القبعة والريش). قلت لا، ففهمت قصدي، وبعد طرح سؤال مرح يتعلق بلحيتي، غادرت القاعة.

مشيت بعد المحاضرة، وانجذبت غريزيًا نحو كلية إيزوبِل.

مشيت مسافة بسيطة ثم رأيتها. كانت تمشي على الجانب الآخر من الشارع ولم ترني. لحظة غريبة ومهمة بالنسبة إليّ، وعديمة الأهمية بالنسبة إليها. لكن بعد ذلك ذكرت نفسي أن اصطدام مجرتيْن يعني اندماجهما.

بالكاد استطعت التنفس ومشاهدتها ولم ألحظ حتى أنها بدأت تمطر. فتنتني؛ كل الـ11 تريليون خلية التي في جسدها.

الغريب هو أن الغياب قد أجج مشاعري نحوها.

تقت لوجودي معها يوميًا، والتحاور معها حول شؤون يومنا. مشاركة الوجود؛ لم أجد هدفًا أفضل من وجودها في الكون.

فتحت مظلتها واستمرت في المشي، ولم تتوقف إلا لإعطاء بعض المال لرجل بلا مأوى يرتدي معطفًا طويلًا وساقًا سيئة.

كان ونستون تشرشل.

المنزل

لا يمكن للمرء أنْ يحب دون فعل شيء.

- غراهام غرين (نهاية علاقة)

لعلمي أني لا أستطيع اللحاق بإيزوبِل، شعرت بحاجة إلى التواصل مع أحد، تبعت وينستون تشرشل. لحقت به بهدوء، متجاهلاً المطر، شاعرًا بالسعادة لرؤية إيزوبِل وأنها بخير وأمان وجميلة كعادتها (حتى لو كنت عميت عن رؤيتها).

كان ونستون تشرشل يتجه إلى الحديقة. ذات الحديقة التي نزه فيها غليڤر نيوتن، لكني كنت أعلم أن الوقت باكر لمصادفتهما، فواصلت اللحاق بونستون. مشى ببطء، جارًا رجله كما لو أنها أثقل من جسده بثلاثة أضعاف. في النهاية، وصل إلى مقعد خشبي. كان مطليًا باللون الأخضر، لكن الدهان مقشر كاشفًا الخشب الذي تحته. قعدت عليه أيضًا. قعدنا مبللين بالمطر مدة من الزمن.

عرض عليّ جرعة كبيرة من النبيذ، أخبرته أني بخير. لعله تعرف عليّ لكني لم أكن متأكدًا.

قال: كنت أملك كل شيء في يوم ما.

- كل شيء؟

- منزل، وسيارة، ووظيفة، وامرأة، وطفل».

- أوه، كيف فقدتهم؟

- كنيستاي، ومتجر مراهنات، ومتجر مشروبات الروحية.

عيشة ميسرة. وها أنا الآن لا أملك شروى نقير، أنا بذاتي بلا شيء. لا شيء تمامًا.

- أعرف شعورك.

نظر إليّ بتشكيك، وقال: «أجل. كنت علي حق يا رفيق»

- تخليت عن الخلود.

- آه، إذن فقد كنت متدينًا؟

- شيء من هذا القبيل.

- والآن، أنت هنا تقترف المعاصي مثلنا.

- أجل.

- حسنًا. حاول فقط عدم لمس قدمي مرة أخرى وسنكون بخير.

ابتسمت. لقد تذكرني.

- لن أفعل. أعدك.

- بماذا قايضت الأبدية؟ اعذرني على هذا السؤال.

- لا أعرف. ما زلت أحاول معرفة الجواب.

- بالتوفيق في مسعاك يا رفيق. بالتوفيق في مسعاك.

- شكرًا.

خدش خده وصفر بعصبية. «لا تملك المال، صحيح؟»

سحبت عشرة باوندات من جيبي.

- أنت نجم يا رجل.

«لعلنا جميعًا نجوم» قلت، وأنا أنظر إلى السماء.

وكانت تلك نهاية حديثنا. انتهى مشروبه ولم يعد لديه سبب للبقاء. فوقف وابتعد، وهو يتألم من ساقه التالفة، فيما كان نسيم الهواء يميل الزهور نحوه.

شعور غريب. لماذا شعرت بالخواء داخلي؟ بالحاجة إلى الانتماء؟

توقف المطر، وصارت السماء صافية. بقيت في مكاني على مقعد مغطى بقطرات المطر بطيئة التبخر. كنت أعلم أن الوقت قد تأخر، وربما عليّ العودة إلى كوربوس كريستي، لكن لم يكن لدي الحافز للتحرك.

ما الذي أفعله هنا؟

ما دوري، الآن، في الكون؟

فكرت، فكرت، وشعرت بأمر غريب.

نوع التركيز.

أدركت، على الرغم من وجودي على الأرض، أني عشت العام الماضي كما عشته دائمًا. كنت أفكر فقط في أنني أستطيع الاستمرار، والمضي قدمًا. لكنني لم أعد كما كنت. أنا إنسان، أعطي أو آخذ. والبشر أوشكوا أن يتغيروا. هذه هي الطريقة التي يبقون بها على قيد الحياة؛ يخطؤون ثم يحاولون تصويب الأمور.

لقد فعلت بعض الأشياء التي لم أستطع تصويبها، لكن كان هناك أشياء أخرى يمكنني تعديلها. لقد أصبحت إنسانًا بخيانة العقلانية وطاعة الشعور. لأبقى كما أنا، كنت أعلم أنه ستأتي نقطة يجب أن أفعل فيها الشيء نفسه مرة أخرى.

مضى الوقت.

أمعنت مرة أخرى إلى السماء.

يمكن أن تبدو شمس الأرض شديدة الوحدة، ومع ذلك لديها أقارب في جميع أنحاء هذه المجرة، نجوم قد ولدت في ذات

المكان بالضبط، ولكنها الآن بعيدة جدًا عن بعضها بعضًا، وتضيء عوالم مختلفة جدًا.

كنت مثل الشمس.

كنت بعيدًا جدًا عن حيث بدأت. وقد تغيرت. ما إن اعتقدت أنه يمكنني المرور عبر الزمن كما لو أن النيوترينو يمر عبر المادة، بلا عناء، ودون توقف للتفكير، لأن الوقت لن ينفد أبدًا.

***

جاءني كلب في أثناء جلوسي على ذلك المقعد. لمس قدمي بأنفه.

همست: «مرحبًا»، متظاهرًا بأنني لا أعرف هذا الكلب الإنجليزي، لكنه لم يشح بعينيْه المتوسلتين عني، حتى وهو يميل أنفه نحو وركه. عاد التهاب المفاصل إليه. كان يتألم.

مسدته وثبت يدي بلا حراك، بشكل غريزي، لكنني بالطبع لم أستطع شفاءه هذه المرة. سمعت صوتًا خلفي: «الكلاب أفضل من البشر لأنهم يكتمون ما يعرفون».

استدرت. صبي طويل بشعر داكن وبشرة شاحبة وابتسامة مواربة. «غليڤر».

أبقى نظره على نيوتن. «كنت مُحقًا بشأن إميلي ديكنسون».

«عفوًا؟»

«جزء من نصيحتك أنْ أقرأ شعرها»

تحرك حول المقعد، جلس إلى جانبي. لاحظت أنه كان أكبر. لم يكن يقتبس الشعر فقط، لكن جمجمته قد أصبحت تشبه الرجال أكثر. كان هناك أثر واهن من السمرة أسفل الجلد على

فكه. طُبع على قميصه كلمة «ذا لوت» [التائه]؛ انضم إلى الفرقة الموسيقية أخيرًا.

قالت تلك الشاعرة: إذا كنت قادرة على إيقاف قلب واحد من الانكسار، فلن أعيش عبثًا.

«كيف حالك؟» سألته كما لو أنه أحد معارفي غير الرسميين الذين أتصادف معهم.

«لم أحاول قتل نفسي، إذا كان هذا قصدك»

«وكيف حالها؟ أمك؟»

جاء نيوتن بعصى، أفلتها لأرميها.

فعلت ما أراد.

«إنها تشتاق إليك»

«إليَّ؟ أم إلى أبيك؟»

«إليك. أنت من اعتنيت بنا»

«لا أملك أي قوى للاعتناء بكما الآن. قد تموت إذا اخترت القفز من سقف»

«لم أعد أقفز من السقوف»

«جيد. هذا تطور»

عم صمت طويل. «أعتقد أنها تريدك أنْ تعود. هل قالت هذا؟»

«لا. لكني أعتقد هذا»

كلماته مطر في صحرائي. بعد مدة قلت له، بنبرة هادئة ومحايدة، لا أعرف إذا كان رجوعي حكيمًا. من السهل أنْ تسيء فهم أمك، حتى لو لم تكن قد فهمت الأمر بشكل خاطئ، فقد

تكون هناك جميع أنواع الصعوبات. «أعني، ماذا ستدعوني حتى؟ ليس لدي اسم. سترتكب خطأ إذا نادتني أندرو» توقفت عن الكلام. «أتعتقد أنها فعلًا تشتاق إلي؟»

استهجن. «أجل. أعتقد هذا»

«ماذا عنك؟»

«أشتاق إليك أنا أيضًا»

التعاطف مثلبة بشرية أخرى. تشويه آخر.

نتاج ثانوي ملتوٍ للحب، لا يخدم أي غرض عقلاني. ومع ذلك، كانت هناك قوة وراءها حقيقية مثل أي قوة أخرى.

قلت: «أنا أفتقدك أيضًا. أفتقدكما».

كان المساء. كانت السحب برتقالية ووردية وأرجوانية. هل هذه رغبتي؟ أهذا سبب عودتي إلى كمبردج؟

تكلمنا.

تلاشى الضوء.

ربط غليڤر الحبل بطوق نيوتن. عينا الكلب أوحيتا بحزن شديد.

غليڤر: «تعرف أين نعيش».

أومأت. «أجل. أعرف».

شاهدته يغادر. نكتة الكون. إنسان نبيل، لديه آلاف الأيام ليعيشها. لم يكن من المنطقي أنني قد تطورت إلى شخص أراد أن تكون تلك الأيام سعيدة وآمنة قدر الإمكان، لكنك إذا جئت إلى كوكب الأرض بحثًا عن معنى منطقي، فقد فقدت الهدف. كنت تفتقد الكثير من الأشياء.

جلست وانشغلت في السماء وحاولت ألا أفهم أي شيء على الإطلاق. جلست هناك حتى حلول الليل. حتى أشرقت الشموس والكواكب البعيدة فوقي، مثل إعلان عملاق يدعو إلى حياة أفضل. على الكواكب الأخرى الأكثر استنارة، كان هناك السلام، والهدوء، والمنطق الذي يرافق الذكاء المتقدم على الأغلب. أدركت أني لم أعد أريده.

ما أردته هو ذلك الأكثر غرابة من بين كل الأشياء. لم يكن لدي أي فكرة إن كان ذلك ممكنًا. ربما لم يكن كذلك، لكنني كنت بحاجة إلى معرفة ذلك.

أردت أن أعيش مع أشخاص يمكنني الاهتمام بهم وسيهتمون بي. أردت عائلة. أردت السعادة، ليس غدًا أو أمس، ولكن الآن.

ما أردته، في الواقع، هو العودة إلى المنزل. لذلك، وقفت. كان على بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام.

Home – is where I want to be
But I guess I'm already there
I come home – she lifted up her wings Guess that this must be the place.

– Talking Heads, 'This Must Be the Place'

[الوطن هو حيث أريد أنْ أكون
لكني أعتقد أني فيه بالفعل
آتي إلى المنزل – رفعت جناحيْها
أعتقد أن هذا هو المكان.

من أغنية لا بد أن هذا هو المكان – فرقة (ذا توكينغ هيدز)]

مكتبة
t.me/soramnqraa

يـروي لنا مات هيغ ملاحظـاته عن البشر وعـالمهم على لســـان كائن فضائي يزور كوكب الأرض في مهمّة رسميّة لقتل البروفسور أندرو مارتن الذي أثبت نظرية العالم فريمان. تلك النّظرية ستؤدي إلى تطوّر هائل في جميع مجالات الحياة لو أُثبتت، وستقودهـم إلى احتـلال كـواكب أخرى. يتعرف هذا الكائن الفضائي على أسرة البروفسور التي لم تشك لحظة به. ثم تتطور الأحداث سريعًا ويُطلب منه قتلها فيرفض لأنه قد أحبَّهم، وهو ما لم يُعجب قادة كوكبه الذين أرسلوا بديلًا ليُنهي المهمة.

هذا الكتاب نادر في محتواه الوعظي غير المباشر، يُلائم مختلف الأعمار.

مكتبة سر من قرأ

telegram @soramnqraa

مات هيغ: كاتب وصحفي بريطاني ولد سنة 1975. له العديد من الروايات، كتب أدب الواقع، وكتب الأطفال. نشر أكثر من 24 كتابًا من بينها ملاحظات حول كوكب متوتر، كيف توقف الوقت، أسباب للبقاء حيًا. فاز بعدة جوائز عالمية، جاري العمل على تحويل عدد من رواياته إلى أفلام سينمائية. يعتبر أحد أهم الداعين للاهتمام بثقافة الصحة النفسية في العالم.

بيعت لــه أكثـر من مليوني نسخـة في بريطانيا و تُرجمت أعماله إلى أربعين لغة.

@matthaig1
@mattzhaig
www.matthaig.com

M A T T H A I G

الجنس البشري على أعتاب تغيير سيكفل له تطورًا هائلًا في شتى المجالات بفضل نظرية ريمان، وعلى البروفسور أندرو مارتن المزيف إعاقة هذا التقدم. بين دفتي هذه الرواية، رحلة استثنائية يقطعها بطل قصتنا من كوكبه إلى كوكب الأرض، وفيها ما يضطره إلى المسير ليلًا في ليلته الأولى عاجزًا عن التخاطب مع البشر والتعامل مع اضطراباتهم النفسية والاجتماعية.

قدَح مات هيغ خياله فكتب رواية البشر التي تندرج تحت تصنيف الخيال العلمي، وفيها أورد تأملاته عن البشر في كوكبهم بقالب كوميدي وفلسفي بسيط ووثيق الصلة بواقعنا الحالي. هذه تجربة روائية استثنائية يعتز بها كاتبنا، ويتمنى أن تنال استحسانك أنت يا من تحب كتابات مات هيغ!

يقول لك كاتبنا المبدع: "اعتزازي بهذا الكتاب شديد. لم أكتب شيئًا مثله، ولن أكتب على الأغلب. لا أعرف إذا كان سينال استحسانك، لكني أتمنى فعلًا أن يلق إعجابك. انتابني قلق شديد بعد الفراغ منه. اجتهدت في كتابته، فإذا لم يلقَ قبولك فهذا عائد إلى عدم حبّك لي، لأن أفضل ما أستطيع تقديمه إلى العالم موجود بين صفحاته. لا أريد أن أقول لك إنّه كتاب عن مخلوق فضائي، فقد لا تحب الكتب التي تحكى عن الفضائيين، مثلي. هذا كتاب عن الحب والقتل وعن سبب وجودنا على كوكب الأرض. إنّه عن البشر. ومن هذه الفكرة استوحيت العنوان".

kalemat
www.kalemat.com

جميع كتبنا متوفرة على تطبيق مكتبة كلمات
Google play
Available on the App Store